رابطة العالم الإسلامي

المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته

الحوار في السيرة النبوية

البحث الفائز بالجائزة العالمية للهيئة العالمية
للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته
التابعة لرابطة العالم الإسلامي

تأليف
د. محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن خزيمة

ح محمد بن إبراهيم أحمد الحمد ، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم أحمد

الحوار في السيرة النبوية . / محمد إبراهيم أحمد الحمد –

ط ٢ - الرياض، ١٤٣٤هـ

٢٨٨ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٠-٢٣-٨٠٣١-٦٠٣-٩٧٨

١- الحوار ٢- السيرة النبوية أ- العنوان

ديوي ٢١٦ ١٤٣٤/٥١٢٥

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٥١٢٥

ردمك: ٠-٢٣-٨٠٣١-٦٠٣-٩٧٨

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار ابن خزيمة

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ - الرِّيَاضُ

المَلْزُ - شَارِعُ الأَحْسَاءِ - غَرْبَ حَدِيقَةِ الحَيَوَانِ

هَاتِفٌ: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فَاكْسٌ: ٤٧٦٠٧٩٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الحاجة إلى الحوار ماسة، بل إن الضرورة إليه مُلِحَّةٌ؛ فكلُّ أحد من الناس يحتاج إلى الحوار؛ ليصل إلى مقصوده، وليحصل على مراداته ومطالبه.

ثم إن الحوار مطلبٌ لجميع الأطراف، ودعوى ينادي بها كل أحد، بغض النظر عن صدق تلك الدعوى من عدمها.

ونحن في عصر يكثر فيه الحديثُ عن الحوارِ، والدعوة إليه سواء على مستوى الأفراد، أو الجماعات، أو الدول.

هذا وإن الناظر في السيرة النبوية الشريفة بعدل وإنصاف ليرى رأْيَ العينِ أنها حافلةٌ بالحوار في أرفع درجاته، وأعلى مقاماته، وأروع آدابه، وأسمى طرائقه وأساليبه.

ولا غرو في ذلك؛ فالنبيﷺ هو خير الناس، وسيرته أرقى صورة للحياة البشرية.

ولقد مرت به -عليه الصلاة والسلام- أطوارٌ كثيرةٌ، وأحوالٌ شتى مِنْ سِلْمٍ وحرب، وعسر ويسر، وكان الرسولَ المجتبى، والسيدَ المطاعَ، والوالدَ الحاني، والزوجَ الوفيَّ، والمعلم القدوة، والصديق المخلص.

وهو الذي كان يعامل الصغير والكبير، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، والمحارب والمسالم، والرجل والمرأة، والقريب والبعيد؛ فكان في جميع تلك الأحوال والمعاملات يأخذ بالحوار أخذاً عملياً لا دعوى تقولها الألسنةُ دون أن

تتخلل منها مسلك الروح ، ودون أن يكون لها رصيد في الواقع.

وهذا ما سيتبين -بإذن الله- في هذا البحث الذي يحمل المسمى الآتي :

(الحوار في السيرة النبوية)

والذي جاءت خطته على النحو التالي :

- المقدمة

- تمهيد: في مفهوم الحوار ، وأهميته

- مدخل: في مفهوم السيرة النبوية ، وأسرارها ، ومناهج البحث فيها

الفصل الأول

أصول الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

تمهيد

المبحث الأول: سلامة المقاصد في الحوار النبوي

المبحث الثاني: التثبت في أثناء الحوار

المبحث الثالث: العلم بمادة الحوار

المبحث الرابع: لزوم العدل مع المحاور

الفصل الثاني

آداب الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وثلاثة مباحث:

تمهيد

المبحث الأول: إقباله ﷺ على محاوريه

المبحث الثاني: رفعه ﷺ من شأن محاوريه

المبحث الثالث: أخذه ﷺ بالرفق والإحسان وسعة الصدر حال الحوار

الفصل الثالث

أساليب الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وثلاثة مباحث:

تمهيد: في حسن البيان النبوي.

المبحث الأول: جمال العرض وقوة التأثير في الحوار النبوي.

المبحث الثاني: تقريب المعاني إلى الأذهان حال الحوار.

المبحث الثالث: مراعاة المآلات ومقتضيات الأحوال في الحوار.

الفصل الرابع

شمول الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول: حواراته -عليه الصلاة والسلام- مع النساء.

المبحث الثاني: حواراته ﷺ مع الشباب والصغار.

المبحث الثالث: حواراته ﷺ مع الشعراء.

المبحث الرابع: حواراته ﷺ مع المخالفين.

الفصل الخامس

الأماكن التي يجري فيها الحوار النبوي

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول: في ورود المجلس الرسولي في القرآن، وصفة ذلك المجلس.

المبحث الثاني: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التئامه وخروجه إليه.

المبحث الثالث: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه.

المبحث الرابع: وقت المجلس الرسولي، وآدابه.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي وردت في البحث، وعلى بعض التوصيات والمقترحات.

عمل الباحث: لقد روعي في هذا البحث مخاطبةُ غير المسلمين، وما لديهم من شبهات حول الرسول ﷺ مما هو داخل ضمن فصول هذا البحث.

ويتسنى ذلك بالتأكد من صحة المعلومة، والحرص على بيان الحق بدليله بعيداً عن لغة التعالي والاستفزاز، ولغة التبعية والانهزام؛ فالأُولى تصد عن قبول الحق، والثانية تخذله، أو تضعف جانبه.

ويتسنى -أيضاً- بالجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ فالأصالة تعطي البحث قوة، والمعاصرة تعين على فهم أحوال المخاطبين، وتنزيل الكلام على تلك الأحوال.

كما روعي في البحثِ الحرصُ على إظهاره في حُلَّة قشيبة، ومعرض حسن، وذلك من خلال أمور منها:

١- مراعاة قواعد البحث من عزو، وتخريج، وما جرى مجرى ذلك.

٢- الحرص على سلامة اللغة، ومراعاة قواعد الإملاء، وعلامات الترقيم.

٣- مراعاة لغة البحث، والحرص على أن تكون حالاً بين حالين: بين السوقي القريب، والوحشي الغريب.

٤- الرجوع إلى المصادر الأصيلة الموثوقة من كتب السنة والسيرة سواء كانت قديمة أو حديثة.

٥ـ ملاحظة مادة التشويق، وذلك من خلال وضع العناصر، والتنويع في الاستشهاد والنقل.

٦ـ الحرص على أن يكون البحث متسماً بالروح والمائية بعيداً عن الجفاء والجفاف وعنف الممارسة.

إلى غير ذلك مما يعين على فهم المقصود، وطرد الملل، وإمكانية تجزئة البحث، أو استلال مقالات منه.

وقبل الدخول في تضاعيف البحث هذه تنبيهات يسيرة:

١ـ أن موضوع الحوار في السيرة مترامي الأطراف بعيد الغور؛ فلو استرسل الكاتب فيه لجاء البحث في مجلدات دون أن يُوفِّى حَقَّه؛ فليس المقصودُ ـإذاً ـ من هذا البحث استيفاءَ موضوعِ الحوار، والإحاطة به بقدر ما هو بحث في الأصول والمعالم العامة للحوار في السيرة النبوية.

٢ـ أن القصة، أو الحادثة، أو الرواية في السيرة يمكن الاستدلالُ بها في أكثر من موضع؛ فقد تصلح لأن تكون شاهداً لأصول الحوار النبوي، أو أدبه، أو أسلوبه، بل قد تصلح لأن تكون شاهداً لأكثر من مبحث في الفصل الواحد.

وهذا ما يؤكد ضرورة السيطرة على البحث؛ حتى لا يَكْبُرَ حجمه، ويخرج عن مقصوده، وإن كان ذلك في بعض المباحث صعب المنال، بعيد المرتقى.

٣ـ أن عناصر البحث مترابطة، فيصعب فصل بعضها عن بعض.

وهذا ما يُحتاج فيه إلى الدقة أكثر فأكثر؛ فلا غرو ـإذاً ـ أن يُكَمِّلَ فصولُ البحث بعضها بعضاً.

٤ـ أن من أعظم مقاصدِ هذا البحثِ إبرازَ جانب مهم من جوانب السيرة النبوية، ألا وهو الحوار، ومحاولة تصحيحِ ما يقع من أخطاء تقع في هذا الجانب، وذلك من خلال الإفادة من الآداب والأساليب الحوارية النبوية؛ فيكون ذلك مُنْطَلَقاً للارتقاء بالحوار، وتفادياً لما يقع فيه من إخلال.

فإلى تفاصيل البحث، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. محمد بن إبراهيم الحمد
١٤٢٩/٣/١هـ
جامعة القصيم كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية قسم العقيدة
الزلفي ص.ب ٤٦٠
الرمز البريدي ١١٩٣٢
www.toislam.net
Alhamad@toislam.net

تمهيد: في مفهوم الحوار، وأهميته

تمهيد: في مفهوم الحوار، وأهميته

أولاً: مفهوم الحوار

١ـ تعريف الحوار: أـ تعريفه في اللغة: أصل هذه المادة حور، قال ابن فارس رحمه الله: «الحاء والواو والراء ثلاثة أصول أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً»[١].

أما معنى الحوار فيدور حول المرادَّة، والتجاوب، والمراجعة، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في تعريف الحوار: «والمحاور والحوار: المرادَّة في الكلام، ومنه التحاور، قال الله ـتعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[٢].

وقال ابن منظور رحمه الله: «وكلَّمته فما رجع إلي حَواراً، وحِواراً، ومحاورةً، وحَويراً، ومَحُوْرة ـبضم الحاء بوزن مَشُورة ـ أي جواباً»[٣].

وقال: «والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب»[٤].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «التحاور: تَفَاعُل من حار إذا أجاب؛ فالتحاور حصول الجواب من جانبين؛ فاقتضت مراجعة بين شخصين»[٥].

وفي المعجم الوسيط «الحوار: حديث يجري بين شخصين أو أكثر»[٦].

١ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ١١٦.

٢ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٤٠.

٣ـ لسان العرب لابن منظور ٤ / ٢١٨.

٤ـ لسان العرب ٤ / ٢١٨.

٥ـ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨ / ٩.

٦ـ المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وزملاؤه ١٥/ ٢٠٥.

فالحوار -إذاً- في اللغة يدور حول معاني المرادَّة، والتجاوب، والمراجعة في الحديث.

ب- تعريف الحوار في الاصطلاح: التعريف اللغوي للحوار يوضح مدلوله، ولكن كلمة الحوار -كما سيأتي- تطورت دلالتها، وصارت علماً على فن من فنون المخاطبات له أصوله، وآدابه، وأسلوبه.

ويمكن تعريفه بأنه كلام يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجَّحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الأدلة التي تنير له بعض النقاط التي كانت غامضة لديه[١].

ويمكن تعريف الحوار -أيضاً- بأن يقال: هو نوع من الحديث بين طرفين أو أكثر، بحيث يجري الكلام بينهما متكافئاً دون أن يستأثر به طرف دون غيره، مع غلبة الهدوء، ورحابة الصدر، وسماحة النفس، والبعد عن التعصب، والخصومة[٢].

٢- بين الحوار والجدال: لعل من المناسب أن يفرق بين الحوار والجدال تفريقاً يميز أحدهما عن الآخر، وذلك بعد الوقوف على تعريف الثاني.

فالجدال في اللغة يرجع إلى مادة جدل، قال ابن فارس رحمه الله: «الجيم، والدال، واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام»[٣].

١- انظر ضوابط المعرفة والاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن الميداني ص٣٦١.

٢- انظر في أصول الحوار إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص١١، وفقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د. رقية العلواني ص٣٧.

٣- معجم مقاييس اللغة ٤٣٣/١.

وقال الجرجاني رحمه الله: «الجدل: دفع المرءِ خصمَه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة»[١].

وقال: «والجدال عبارة عن مِراءٍ يتعلق بإظهار المذاهب، وتقريرها»[٢].

وقال الكفوي رحمه الله: «الجدل عبارة عن دَفْعِ المرءِ خَصْمَهُ عن فساد قوله بحجة أو شبهة، و هو لا يكون إلا بمنازعة غيره»[٣].

وقال ابن منظور رحمه الله: «الجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها، وقد جادلته مجادلة، وجدالاً، ورجل جَدِل، ومِجْدَل: شديد الجدال.

ويقال: جادلت الرجل فَجَدَلْته جَدْلاً: أي غلبته، ورجل جَدِل: إذا كان أقوى في الخصام، وجادله: أي خاصم مجادلة وجدالاً، والاسم: الجَدَل، وهو شدة الخصومة»[٤].

فخلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه يدور حول اللدد، والخصومة، والمغالبة، والمنازعة، ومراجعة الكلام[٥].

ومن هنا يتبين أن الحوار والجدال يلتقيان في كونهما حديثاً، أو مراجعة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك؛ فالحوار مَرَّ تعريفُه ومفهومه.

أما الجدل فيكون ـفي الأغلبـ اللدد في الخصومة، وما جرى مجرى ذلك، من

١ـ التعريفات للجرجاني ص ٧٤.

٢ـ التعريفات ص ٧٥.

٣ـ الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٣٥٣.

٤ـ لسان العرب ١١ / ١٠٥.

٥ـ انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر الألمعي ص ٢٤.

العناد، والشدة، والتمسك بالرأي، والتعصب له، ومحاولة إسقاط الخصم.

ولهذا كان أكثر وروده في القرآن في معرض الذم إلا إذا كان جدالاً بالتي هي أحسن؛ فيكون محموداً بهذا الاعتبار.

ومن هنا جاء الأمر القرآني بالإحسان بالجدل؛ نظراً لما يتخلله من المعاني المذمومة الآنف ذِكْرُها.

قال الله -عز وجل-: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وفي ذلك تأكيد على أن مِحْوَرَ الجدلِ الشدةُ، والخصومةُ وما جرى مجراهما[1].

وقد ورد لفظ الجدل في القرآن تسعاً وعشرين مرة، كلها في معرض الذم إلا في ثلاثة مواضع وهي التي مر ذكرها في آية النحل، وآيةِ العنكبوت، وأول آيةٍ من سورة المجادلة وهي قوله -تعالى-: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ الآية.

ويرى بعض الباحثين أن الجدال المذكور في قوله -تعالى- عن قوم نوح -عليه السلام-: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود: ٣٢).

وقولِهِ -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (هود: ٧٤) داخل في الجدل المحمود؛ لأن جدال رسل الله -عز وجل- جدال محمود، وليس فيه لجاج ولا خصومة.[2]

ولم يرد لفظ (الحوار) في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، وهي قوله

١- انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية ص ٣٠-٣١.

٢- انظر أدب الحوار في الإسلام للأستاذ غسان القين ص٣٣-٣٤.

-تعالى-: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾.

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

على أن الحوار يرد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جداً، وإن لم تستعمل مادته نفسها، وإنما تستعمل كلمة: ﴿قَالَ﴾ التي وردت في القرآن الكريم سبعاً وعشرين وخمسمائة مرة[1].

ومرادُة القول هي الحوار.

ومن هنا يتحصَّل أن الجدال مذموم في أغلب أحواله؛ لقيامه على اللدد، والمراء، والخصومة ونحوها من المعاني.

أما الحوار والمحاورة فهو مراجعة الكلام بين طرفين، بحيث ينتقل من الأول إلى الثاني، ثم يعود إلى الأول، وهكذا دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود نزاع، أو لدد.

فالحوار بهذا الاعتبار ضرب من ضروب الأدب الرفيع يغلب على أجوائه -في الجملة- الهدوءُ، وبرودة الأعصاب، والبعد عن التشنج، والتعصب[2].

١- انظر: في أصول الحوار ص ١٢، والحوار آدابه، وضوابطه في ضوء الكتاب و السنة للأستاذ يحيى زمزمي ص٢٤.

٢- انظر: في أصول الحوار ص ١١، ومناهج الجدل ص ٢٩-٣٠.

٣ـ **ألفاظ مرادفة للحوار:** هناك ألفاظ شائعة مقاربة للحوار في المفهوم العام، وإن كان بينها وبين الحوار فروق تتميز بها عنه.

ومن تلك الألفاظ ما يلي: الجدل، والمناظرة، والمناقشة، ونحوها؛ فهذه الألفاظ ـفي مآلاتهاـ ترجع إلى طريقة البيان والتبيين التي أودعها الله في البشر؛ فهي ـبهذا الاعتبارـ مترادفة.

وباعتبار الفروق التي تميز بعضها عن بعض يكون بينها شيءٌ من التباين.

فالجدل ـكما مرـ قد يراد منه إلزام الخصم، ومغالبته، ونحو ذلك.

والمناظرة مأخوذة من النظر، وتقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته.

ويقال: ناظرت فلاناً: أي جعلته نظيراً لك؛ فهي تجري بين نظيرين، أو متقاربين؛ فلو جرى حوار بين غير متماثلين لم يُسَمَّ ذلك مناظرة.

ثم إن المناظرة تَرَدُّدُ الكلام بين شخصين يَقْصِدُ كلٌّ واحدٍ منهما تصحيحَ قولِهِ، وإبطالَ قول صاحبه مع رغبة كلٍّ منهما في ظهور الحق.

وذلك لا يتسنى لجاهل مقابل عالم، بل لابد من التكافؤ[١].

على حين أن الجدال، والحوار يمكن أن يقعا بين نظيرين، أو غير نظيرين.

ومن هنا تميزت المناظرة عن الجدال والحوار[٢].

والمناقشة قد تكون من طرف على طرف، بحيث يُوْرِدُ أحدهما على صاحبه ما يوردُ من التعقيبات ونحوها، فيقوم الطرف الآخر بتبيين وجهة نظره حيال ما يُوْرَد

١ـ انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٣٢، والكليات للكفوي ص٨٤٩.

٢ـ انظر: فقه الحوار مع المخالف ص٣١، والحوار آدابه وضوابطه ص٢٧، وفن الحوار والإقناع د.فهد زايد ص١١٣ـ١١٦.

عليه، ولا يلزم أن يوردَ هو على صاحبه شيئاً؛ فالمناقشة تعني الاستقصاء في الحساب، والتدقيق في كل أمر صغيراً كان أو كبيراً.

ويغلب أن تكون المناقشة من الأعلى للأدنى، أو الأكبر للأصغر، أو العالم لمن دونه كما في مناقشات بعض الرؤساء لمرؤوسيه، أو مناقشة المعلم لطلابه، أو مناقشة مشرفي الرسائل العلمية للباحثين وهكذا...

أما الحوار ـكما مرـ فيمتاز بأنه المراجعة في الكلام بين طرفين دون أن يكون بينهما ما يقتضي خصومة، أو تعقيباً، أو استقصاءً، أو محاولة إبطال قول الآخر.

وخلاصة القول أن الفارق بين الحوار وما يقاربه من معانٍ أخرى يكمن في الموقف الحواري، وغاية المتحاورين، أو أسلوب الحوار، وآدابه[1].

وعلى كل حال فهذه ألفاظ متقاربة، وقدْ يَدُلُّ بعضها على بعض.

ولكن لفظ (الحوار) أعذبُها، وأرقُّها، وأسْيَرُها في الناس، وأكثرها عُلوقاً في النفس، خصوصاً في هذا العصر الذي تطور فيه مفهوم دلالة الحوار؛ فالألفاظ ـكما هو مقرر في علم فقه اللغة والصوتياتـ قد يعتريها التطور والانحطاط بحسب الأزمنة والأمكنة؛ فكلمة (العفش) على سبيل المثال كانت ـفي السابقـ تطلق على مهر العروس، فآلت إلى أن تطلق على سقط المتاع.

وكذلك لفظ (الإرهاب) حيث كان لها مدلول يعني الإخافة وما جرى مجرى ذلك؛ فصار الآن مصطلحاً عالمياً كلٌّ يفسره كما يريد.

١ـ انظر مناهج الجدل ص ٢٩ـ٣٠، وفي أصول الحوار ص ١٢، وفقه الحوار مع المخالف ص٣٣ـ٣٤، وأدب الحوار في الإسلام لغسان القين ص٢١ـ٢٢.

وهكذا الشأن في كلمة الحوار؛ حيث لم يكن لها ذلك البريق في كتابات الأوائل؛ إذ كانت مصطلحات الجدل، والمناظرة، ونحوها أَسْيَرَ من الحوار؛ فصار للحوار في هذا العصر دويٌّ، وحضور.

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا الصدد: أن كون الحوار متميزاً عن غيره لا يعني أن لا يستفاد من المؤلفات التي تبحث في الجدل، والمناظرة خاصة فيما يتعلق بآدابهما، وشروط المناظرين، ونحو ذلك مما يفيد في موضوع الحوار[١].

١ـ انظر فقه الحوار مع المخالف ص ٣٨.

ثانياً: أهمية الحوار

للحوار أهمية كبرى، وقد مر في المقدمة إشارة إلى ذلك، ومما يبين أهمية الحوار ما يلي:

١ـ **شدة الحاجة إلى الحوار:** فالحوار يَحْتَاجُ إليه كلُّ إنسان حالَ معاملته لغيره؛ فيحتاجه الوالد في معاملة ولده، والولد في معاملته والده، ويحتاجه الزوج في حال معاملة زوجه، والمعلم مع طلابه، والطالب مع معلمه، ويحتاجه الإنسان في حال معاملته موافقيه ومخالفيه، ويحتاجه القاضي في مقطع أحكامه، والداعية في حال دعوته، والعالم في تصديه للناس، والرئيس الأعلى في حال سياسته لرعيته، وفي ما يجلب لها المصالح، ويدرأ عنها المفاسد.

ويُحتاج إلى الحوار في حال السلم والحرب، وفي حال البيع والشراء، وفي حال الوفاق والخلاف.

٢ـ **عناية القرآن بالحوار:** فلقد عُني القرآن الكريم بالحوار، ولا غرابة في ذلك؛ فالحوار هو الطريق الأقوم للإقناع الذي ينبع من الأعماق.

وفي القرآن نماذج كثيرة متنوعة من الحوار تبين أهميته، وقِدَمه، وشدة الحاجة إليه.

ومن الأمثلة على ذلك ما دار بين الرب ـجل وعلاـ وملائكته عندما أراد ـعز وجلـ أن يجعل في الأرض خليفة ـكما في سورة البقرة (الآية: ٣٠)ـ.

وما جاء في قصة ابني آدم ـكما في سورة الأنعام (الآية: ٢٧)ـ.

وما دار بين الرب ـعز وجلـ وإبراهيم ـعليه السلامـ عندما سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ـكما في سورة البقرة (الآية: ٢٦٠)ـ.

وما جاء في حوار إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- لما همَّ بذبحه -كما في سورة الصافات (الآية: ١٠٢)-.

وما جاء في قصة داود -عليه السلام- مع الخصمين -كما في سورة ص (الآية: ٢٢)-.

وما جاء في قصة سليمان -عليه السلام- مع بلقيس -كما جاء في سورة النمل (الآية: ٤٤)-.

وما جاء في قصة موسى -عليه السلام- عندما سأل ربه أن يأذن له برؤيته، قال -عز وجل-: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ (الاعراف: ١٤٣).

وما دار من الحوارات بين موسى وأخيه هارون -كما في سورة الأعراف (١٥٠) وطه(٨٦)-.

وما دار بين عيسى -عليه السلام- وقومه -كما في قصة المائدة (الآية: ١١٢)-.

إلى غير ذلك من الحوارات الكثيرة بين الأنبياء وأقوامهم، وبين السادة والأتباع.

فكل ذلك يدل على أهمية الحوار، وخطورته، ويؤكد على أن القرآن يعتمد أسلوب الحوار في توضيح الحقائق، وهداية العقل، وتحريك الوجدان، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي، والتدرج بالحجة[1].

٣- كثرة الحديث عن الحوار: فمن مظاهر العناية بموضوع الحوار في هذا العصر كثرة الحديث عنه، وشيوع تخصص يتصل به ألا وهو فن العلاقات العامة؛ حيث أنشئت لدى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية أجهزةٌ خاصة بالعلاقات العامة سواء في الدوائر الحكومية، أو الشركات، أو دور الصحافة والنشر، أو غيرها.

١- انظر في أصول الحوار ص ١٣-١٤.

ويمكن أن توصف المسؤولية الأساسية لهذه الأجهزة بأنها حُسْنُ الاتصال بالآخرين للإقناع برأي، أو ترويج سلعة، أو تصحيح فكرة، أو التمهيد لقضية إلى غير ذلك مما يبرز أهمية الحوار، وكونه العنصرَ المهمَّ في فن العلاقات العامة.

وفي هذا العصر تجد العناية بالحوار أكثر من ذي قبل خصوصاً في بلاد الغرب؛ حيث تقام الدورات، وتفتح المعاهد والمراكز التي تُعنى بفن الحوار الذي هو ركيزة العلاقات العامة[١].

٤ـ ما يوجد من آثار، وحكم في شأن الحوار؛ فهو موضوع قديم، ويأخذ طابعاً أكثر تحديداً، وتخصيصاً، ودقة.

والذي يُلْقي نظرة في كتب التراث يجد أن لها اتصالاً وثيقاً في هذا الباب، ويظهر ذلك من خلال الحكم، والوصايا، والأبيات، والأمثال التي توصي بحسن الاستماع، والتحدث، وما جرى مجرى ذلك مما يتصل بالحوار.

وهذه المادة موجودة بكثرة، لكنها متفرقة في مختلف المصادر على تنوعها، وتباين موضوعاتها ومؤلفيها.

كما أنها ـفي الأغلبـ جمل وجيزة لكنها حصيلة خبرة طويلة[٢].

ولو قيض لهذه المادة من يستقصيها، ويؤلف بينها لخرج بمادة ضخمة في فن الحوار.

٥ـ كثرة المؤلفات في الحوار: فلا تكاد المؤلفات في الحوار، وأصوله، وآدابه، ومقوماته ـ تحصى كثرة، وذلك في كافة لغات العالم.

١ـ انظر في أصول الحوار ص٩ـ١٠.

٢ـ انظر في أصول الحوار ص ٩ـ١٠.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، وسَيُذكَرُ شيءٌ من ذلك في تضاعيف البحث، وفي فهرس المراجع والمصادر.

٦ـ **ما يترتب على الحوار من الثمرات:** فللحوار المنهجي المنضبط آثارُه الجميلة، وثمراته اليانعة سواء على المحاور نفسه، أو على من يحاورهم، أو ينوب عنهم؛ فهو مفيد في إيصال الفائدة للآخرين، ومفيد في تدريب المحاور نفسه؛ إذ يرتقي بطريقة تفكيره وأدائه، ويعلمه ضبط نفسه ولسانه وقلمه، ويُقوِّي لديه مَلَكَةَ المحاكمةِ والتفكير المتزن مما يجعله مقبولاً من الآخرين، ويجعل اقتناعهم بأفكاره أعظم أثراً[١].

والحوار ـكذلكـ مفيد في استنباط الآراء السديدة، وتحريك الأذهان الراكدة.

بل إنه من أعظم أسباب البهجة والسرور؛ فلذة المحادثة من أعظم لذات الدنيا.

قيل لحكيم: ما بقي من ملاذِّك؟ قال: «مناقلةُ الإخوانِ الحديث على التلاع العُفر في الليالي القُمْر»[٢].

وبالحوار الناجح تستجلب المودات، وتُوأد العداوات، وتساس التجارات.

وبه يزيد العلم، ويتسع الفكر، وتُجْلَبُ المصالح، وتدرأ المفاسد.[٣]

والمحاور البارع يصل إلى مراده، ويتحقق له مطلوبه، ويَسْعَدُ قومُه من ورائه إذا كان مُقَدَّمَهم، أو المتكلم باسمهم.

ولهذا كثر في كتبِ التراجم والسيرِ ذِكْرُ مَنْ كان سبباً في إسعاد قومه، وتحقيق مطالبهم إذا كان سفيراً لهم.

ومن هذا القبيل ما جاء في مناقب وزير الأندلس المشهور محمد بن الخطيب السلماني

١ـ انظر في أصول الحوار ص٧.

٢ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٥٩.

٣ ـ انظر الحوار دائماً د. شوقي أبو خليل ص٥ـ١٣.

المعروف بلسان الدين بن الخطيب؛ إذ قال عند سفارته عن سلطان غرناطة محمد بن أبي الحجاج إلى سلطان المغرب أبي عنان أبياته المشهورة التي ارتجلها عند الدخول عليه، والتي يقول فيها :

خليفةَ الله ساعدَ القدرُ ... عُلاك ما لاح في الدجا قمر

ودافعت عنكَ كفُّ قُدْرَته ... ما ليس يَسْطيع دَفْعَهُ بشرُ

والناس طُرًّا بأرض أندلس ... لولاك ما وطّنوا ولا عمروا

وقد أهمتهم نفوسُهُمُ ... فوجهوني إليك وانتظروا

وجملةُ الأمرِ أنه وَطَنٌ ... في غير عليك ما له وطرُ

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الأبيات، وبلغت منه كلَّ مبلغ، وقال لابن الخطيب: ما ترجع إليهم إلا بجميع مطالبهم، وأذن له في الجلوس، فسلم عليه.

قال القاضي أبو القاسم الشريف[1] -وكان من جملة الوفد-: «لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا»[2].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله معلقاً على هذه القصة: «فكان الإجمالُ في المقدمة قضاءً لحقِّ صدارتها بالتقديم، وكان الإفضاءُ إلى المقصود قضاءً لحقه في العناية، والرجوعُ إلى تفصيل النعم قضاءً لِحَقِّهَا من التعداد؛ فإن ذكر النعم تمجيد للمنعم، وتكريم للمنعم عليه، وعظة له ولمن يبلغهم خبر ذلك تبعث على الشكر؛ فللتكرير هنا نكتةُ جمعِ الكلامين بعد تفريقهما، ونكتةُ التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة»[3].

---

١ - هو أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبتي ثم الغرناطي قاضي غرناطة المتوفى سنة ٧٦٠ وله الشرح المشهور على مقصورة حازم القرطاجني.

٢ - انظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية، للسان الدين ابن الخطيب ص٧، وتفسير التحرير والتنوير ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣.

٣ - تفسير التحرير والتنوير ١ / ٤٨٢ - ٤٨٣.

مدخل: في مفهوم السيرة النبوية، وأسرارها، ومناهج البحث فيها

مدخل: في مفهوم السيرة النبوية، وأسرارها، ومناهج البحث فيها

أولاً: مفهوم السيرة

١ ـ **السيرة في اللغة**: هي الطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة.

وتطلق السيرة ـأيضاًـ على الهيئة، وعلى حديث الأوائل.[١]

وعلى هذا فإن الحديث عن سيرة شخص من الناس تشمل طريقته، وأخباره، وهيئته؛ فالسيرة النبوية بهذا الاعتبار تشمل ذلك كله.

٢ ـ **السيرة في الاصطلاح**: السيرة النبوية ـ عند المُحَدِّثين ـ جزء من الحديث؛ حيث إن كتب الحديث تفرد باباً لها ضمن الأبواب يسمى: «المغازي والسير».

فتكون السيرة ـعندهمـ: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقية، أو خُلُقية سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

أما السيرة عند مؤرخي السيرة فهي حياة النبي ـعليه الصلاة والسلامـ بكل ملامحها، وتفصيلاتها؛ فهي أقرب إلى التأريخ التفصيلي للإسلام ممثلاً بشخصية النبي ﷺ.

فَفَنُّ السيرة أو المغازي ـ إذاً ـ يقوم على عرض حياة الرسول ﷺ بذكر الأخبار التي تروى عنه بالروايات المسندة مرتبة على السنين بحسب وقوع الحوادث التي تشير إليها الأحاديث والأخبار.[٢]

---

١ ـ انظر لسان العرب ١/٣٩.

٢ ـ انظر مقدمة كتاب حدائق الأنوار، ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لابن الدَّيبع ١/٣، ودروس وعبر في سيرة خير البشر د. زهير محمد عفانة ص ١٧.

ثانياً: في أسرار السيرة النبوية

السيرة النبوية الغراء مليئة بالعبر، حافلة بالأسرار، ومن ذلك ما يلي:

١ـ أن السيرة لا تُستنفد مهما كتب فيها، وقيل عنها: فسير العظماء ـعلى الجملةـ يقوم بأمرها، ويغني في شأنها أن تكتب مرة أو مرات، ثم تستنفد معانيها، ويصير الحديث فيها معاداً مكروراً تغني فيه أعمال الأسلاف عن محاولات الأخلاف.

أما سيرة نبينا محمدﷺ فلقد عُني المؤرخون والرواة بها منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، وصدر فيها كثير من الكتب في عدة لغات، ومع ذلك لم تَخْلَق جِدَّتُها، بل إنها لتزداد ـعلى كثرة ما يكتب فيهاـ جِدَّة وَرُوَاءً.

وليس ذلك ـعلى خَطرهـ بدعاً من طبيعة الأشياء؛ فمحمد هو رسول الله، وخاتم النبيين، وقد أنزل الله إليه الكتاب؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

والناس المعنيُّون بهذا هم كلُّ الناس منذ بُعث حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهؤلاء ـبسنة الله في الكونـ في تجدد دائم، وتطور متصل، تَجِدُّ لهم دائماً أحوال، وتحدث لهم أحداث يكون لها آثارها في معاشهم وعلومهم وتفكيرهم.

فليس عجباً أن يلتمس المؤمنون في الكتاب المنزل، وفي التفسير الحيّ لهذا الكتاب الذي عاشه خاتم النبيين بسيرته ـ هدياً لهم فيما يستقبلون كل يوم من شأن.

وليس عجباً أن يلتمس غيرُ المؤمنين في هذا الكتاب المنزَّل وفي تفسيره الحي من سيرة الرسول ما عسى أن يقعوا فيه على مسافة خُلف بين الدين والتطوُّر، أو بين الكتاب والسنة أو السيرة.

وكذلك عُنِيَ المؤمنون وغير المؤمنين بالسيرة عناية تختلف من حيث الحقيقة والخرافة، ومن حيث الإنصاف والجور.

والسيرة الشريفة ـ مع هذه العناية المتصلة ـ جديدةٌ خصبة، ملهمة موحية؛ لأنها الترجمة الحية العملية لمبادئ الإسلام العليا، فهي تتراءى للعقول والنفوس قوية مشرقة لم يُبلِ جِدَّتها تقادمُ العهد، ولا تطاول الزمان.

ولهذا فإنك لا تكاد تبحث في موضوع من موضوعات العلم، أو الفكر، أو الأخلاق، أو السلوك، أو الاجتماع، أو السياسة أو البيان، أو اللغة، أو غير ذلك إلا وستجد في السيرة مادة عظيمة تغني الباحث، ويبقى بعده فضل لمن أراد المزيد؛ فالسيرة ينبوع ثرٌّ يغدق الخير، ويُعَمُّ به الناس على اختلاف المشارب والمنازع؛ فعلى الرغم من أن الموضوع الذي تعالجه السيرة النبوية ليس بالأمر الذي يقوم على التجارب، وليس هو بالفكرة التي يقيمها برهان، وينقضها برهان ـ كما هو الشأن في النظريات العلمية التي يطرأ عليها التجديد والتغيير على مر السنين ـ وإنما هو أمر عماده النقل والرواية من حيث المبدأ إلا أنه ميدان فسيح لاستنباط الأحكام، والأنظمة، وقواعد العلوم، ومحاسن الآداب، والأخلاق، وما جرى مجرى ذلك.[1]

ومن ذلك ما نحن بصدده في هذا البحث من مادة الحوار؛ فإن السيرة حافلة به.

٢ـ أن التجني على مقام النبوة يكون سبباً لبعث فضائل النبي ﷺ: فما أكثر ما تَجنَّى خصوم الإسلام على سيرة نبيه جهلاً أو جحوداً بالحق، فلم ينالوا منها نيلاً، بل ربما دفع تجنِّيهم بعضَ الباحثين إلى العناية بها؛ تَلَمُّساً للإنصاف، وطلباً

---

١ ـ انظر مقدمة كتاب: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ١/٣.

للمعرفة؛ فهدوا بذلك إلى الخير، أو شيء منه.

٣ـ أن الله ـعز وجلـ أوزع الناس العناية بالسيرة: فلعل من صلاة الله على نبيه أن أوزع الناس هذه العناية بسيرته سواء منهم من أقرَّ به، أو من أنكر نبوته؛ لأنه ﷺ نور، ومن عرف النور فقد شهد لنفسه بالاستبصار، ومن أنكره فقد شهد على نفسه بالعمى، والنور على الحالين نور.

وقد رفع الله ذِكْرَ محمدٍ، فقرن اسمه باسمه في الأذان والصلوات، ووصفه في أكثر من موضع من القرآن بصفات تجعله في المرتبة التي لا تُنال.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

٤ـ أن مصدرَ العناية بالسيرة ليس إرضاءَ حاجةِ العلم والدرس فحسب؛ فحاجات المؤمنين إلى هذا الينبوع من الحب والهدى أشد من حاجات العلماء إلى البحث والدرس، وكلُّ من في قلبه نفحة إيمان يجد نفسه مهما فرّط في الدِّين مشدوداً إلى محمد، راغباً في أن تزداد هذه العلاقة وثاقة.

وحب رسول الله من حب الله، فليس محمد ـعلى شأنه الأجلـ إلا بشراً رسولاً[1].

٥ـ للسيرة النبوية أبلغ الأثر في تقويم السلوك، وتربية العواطف الشريفة؛ فإنها المرآة التي تنعكس منها تلك الصورة التي تعد ـبحقـ أرقى صورة للحياة

١ـ نظر إلى مقدمة الأستاذ محمد فتحي عبدالمنعم لكتاب محمد رسول الله للعلامة أحمد تيمور باشا ص١٤ـ١٦.

البشرية؛ حيث كان النبي محمد ـعليه الصلاة والسلامـ يرسم بأقواله، وأعماله، وسائر تصرفاته ـ القدوة العليا التي يجب أن تهدف إليها جهود البشر في سيرهم نحو الكمال المنشود.

إن ثلاثة وعشرين عاماً هي جملة السنين التي عاشها محمدﷺ نبياً رسولاً قد لا تكون في مقياس الزمن شيئاً مذكوراً إذا قيست إلى ما قضته البشرية من حقب متطاولة، وأجيال متعاقبة.

ولكنها في مجال التربية، والإصلاح، ورسم قواعد السلوك البشري الفاضل، ووضع المعالم، والحدود لحياة الإنسان كما يحب رب الإنسان، وبما يحقق الغاية من وجوده، ويكفل لها الحياة السعيدة الكريمة ـ لأرجح في الميزان من كل ما غَبَر من حقب وأجيال؛ ذلك أن بركات هذا النبي لا تكاد تحصر ولا تحصى[1].

وإن منها لبركة الوقت التي نال أمته منها أوفر الحظ والنصيب؛ فنالت من الأعمال، والعلوم، والأخلاق، والحكمة ـفي وقت قصيرـ ما لم تنله أمة من الأمم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلاً، وأنهم ينالون من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال»[2].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلَّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين،

١ـ انظر مقدمة الدكتور محمد خليل هراس على الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٣ـ٤.

٢ـ نقض المنطق لابن تيمية ص٧ـ٨.

حتى حصل لأمته المؤمنين عموماً، ولأهل العلم منهم خصوصاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علماً وعملاً الخالصة من كل شوب إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى، ودلائل هذا وشواهده ليس هذا موضعها»[1].

٦ـ أنها معلومة للناس بجميع أطوارها، متجلية لهم دخائلها من كل مناحيها.

ولا ريب أن ذلك من أعظم أسرار عظمتها وخلودها؛ إذ لا يصح أن تكون سيرة أحد من الناس قدوة لغيره إلا أن تكون واضحة معلومة منزهة عن العيوب والمثالب.

ومن الجلي أن حياة رسول الله ﷺ كانت واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، فمن زواج أبيه عبدالله بأمه آمنة إلى حين وفاته ﷺ.

فنحن نعرف الكثير من ولادته وطفولته، وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة إلى أن بعثه الله رسولاً كريماً.

ثم نعرف بشكل أدق وأوضح وأكمل كل أحواله بعد ذلك، مما يجعل سيرته واضحة وضوح الشمس، وذلك مما حدا بعض النقاد الغربيين إلى القول: «إن محمداً ـعليه الصلاة والسلامـ هو الوحيد الذي ولد على ضوء الشمس»[2].

ولقد ضبط العلماء سيرته ـعليه الصلاة والسلامـ وأتوا على دقائق قد لا تخطر بالبال.

---

١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٦٤.

٢ ـ انظر مقدمة كتاب: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ١/٤٠ـ٤١.

ولو استعرض القارئ فهرس أحد الكتب التي اعتنت بسيرته وشمائله لوجد ذلك واضحاً جلياً[١].

ولهذا فإنه -عليه الصلاة والسلام- لم يكن ليتحرج من نقل ما يقوم به من أعمال حتى في داخل منزله؛ فترى -من جراء ذلك- كثرة الأحاديث التي ترويها أمهات المؤمنين عن النبي ﷺ.

ولم يكن ذلك إلا لأن سِرَّه كعلانيته، وظلمةَ ليلِه كضوء نهاره؛ فسيرته معلومة منذ ولادته إلى ساعة وفاته.

٧- أنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل أو عظيم مصلح: فقد وصلت إلينا سيرة النبي الأكرم -عليه الصلاة والسلام- من أصح الطرق العلمية، وأقواها ثبوتاً؛ فخذ مثلاً سيرة موسى وعيسى -عليهما السلام- فقد أُدخل في التوراة والإنجيل زيفٌ وتحريف.

وإذا نظرت في سير أصحاب الديانات الأخرى المزعومة كبوذا، وكونفوشيوس وجدتَ أن الروايات التي يتناقلها أتباعهم ليس لها أصل معتبر في نظر البحث العلمي، وإنما يتلقاها الكهان والرواة فيما بينهم، ويُدْخَلُ فيها الكثير من الأساطير والخرافات[٢].

يقول د. القِسُّ شارك آندرسون سكوت: «ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب عن سيرة المسيح بكل صراحة؛ فإنه لا وجود للمادة والمعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الغرض.

١- انظر الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ص١٠٢-١٠٤.

٢- انظر دروس وعبر من سيرة خير البشر ص ٢١.

والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوماً»[١].

٨ـ **أن هذه السيرة تحكي صورة إنسان لا أسطورة:** فهي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة؛ فلم تخرجه عن بشريته، ولم تلحق حياته بالأساطير، ولم تُضْفِ عليه من الألوهية قليلاً ولا كثيراً.

وإذا نظرت إلى ما يقول النصارى في عيسى ـعليه السلامـ وجدت أنهم يضفون عليه من ادعاء الإلهية والربوبية ما يجعل سيرته أبعد من أن تكون مثالاً للإنسان في حياته الشخصية.

بينما يظل محمدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ المثل الإنساني الحي لكل من أراد أن يعيش سعيداً كريماً في نفسه، وأسرته، ومجتمعه.

ثم إن تلك السيرة تحكي لنا سيرة الشاب الأمين الصادق، كما تحكي سيرة الرسول الداعية الصابر، وسيرة الإمام العادل، وسيرة الأب الحاني، والزوج الوفي، والمربي العظيم، والمرشد الحكيم، والصديق المُواتي الكريم، والمحارب القائد الشجاع.

فهي ـباختصارـ سيرة شاملة تجعله قدوة صالحة لكل داعية، وأب، وزوج، ومحارب، وسياسي، ورئيس دولة[٢].

ثالثاً: مناهج البحث في السيرة النبوية

لقد حظيت السيرة النبوية بما حفلت به من أقوال، وأفعال، وتقريرات بعناية العلماء قديماً وحديثاً.

١ـ انظر دائرة المعارف البريطانية ١٤/١٧١٠.

٢ـ انظر دروس وعبر في سيرة خير البشر ص٢٢، والرحمة والعظمة في السيرة النبوية للكاتب ص١١ـ١٥.

ولقد كتب العلماء قديماً في السيرة وكانت كتاباتهم تحمل طابعاً يناسب عصورهم، ويناسب -كذلك- كثيراً ممن جاء بعدهم، وتصلح لأن تكون مادة ومراجع أصيلة للسيرة.

غير أن هناك كثيراً من المسلمين في العصر الحديث يرغبون عن تلك الأساليب القديمة، ويرغبون في كتاباتٍ معاصرة تُكْتَبُ بأسلوب ملائم، وتعالج قضايا استجدت في موضوع السيرة.

ومن هنا قام كثير من الكتاب بتقديم دراسات في السيرة، فأدوا دوراً طيباً وآثاراً حسنة في نفوس المسلمين.

ولكن تلك الكتابات لم تكن على وتيرة واحدة من جهة تقديرها للوحي، والغيبيات، والمعجزات، ومقام النبوة عموماً.

كما أنها لم تكن على نحوٍ واحد من جهة اختلاف توجهات أصحابها، وأهدافهم من كتابة السيرة، والمقام لا يسمح بمزيد من التفصيل.

وعلى كل حال فإن مناهج الباحثين في السيرة النبوية يمكن حصرها في ثلاثة:

المنهج الأول: منهج المبالغين الغالين: الذين يضفون على النبيﷺ صفاتٍ لا تليق إلا بالله -عز وجل-.

فهؤلاء يبالغون في إطرائه، ولا يبالون في صحة ما يروون أو ينقلون، ولا يعتمدون على القرآن الكريم، والمصادر الأصيلة من كتب السنة والسيرة.

ولا يمتري عاقل أنه لا أفسد للتاريخ والسير من تلك الروايات المُحَلِّقة في سماء الخيال، والتي تنقل الحياة البشرية من عالم الواقع إلى جو الأساطير.

وليست هناك حياة كانت على الأرض هي أغنى بواقعها المجرد من حياة سيد الخلق محمد ﷺ.

فهي حياة تنطق كل حركة منها، ويشهد كلُّ موقف من مواقفها بأنها حياة بلغت في السلوك البشري حد الإعجاز.

وإن خصائصَه ومعجزاتِه التي نطقت بها آياتُ الكتاب المجيد، والسننُ الصحيحة، والآثارُ المعتبرةُ - لهي من الكثرة والوفرة بحيث لا تحتاج إلى تلك الزيادات التي يمجها الذوق السليم، وتعافها الفطرة السوية، والتي لا يشهد لها سند صحيح، ولا نقلٌ مُوثَّق، بل عامتها من وضع الزنادقة والمنحرفين[1].

المنهج الثاني: منهج الباحثين الغربيين ومن سار على طريقتهم: فهذا المنهج يسلكه أغلب المستشرقين ومن شاكلهم من الكتاب والمفكرين المنتسبين للإسلام.

فهؤلاء إذا تناولوا السيرة بالبحث والدراسة تعاملوا معها كما يتعاملون مع سيرة أي زعيم أو بطل، أو قائد، أو فاتح؛ فيتحدثون عن النبي ﷺ كما يتحدثون عن هؤلاء، ويصفونه بالبطل، أو العبقري، أو الزعيم أو نحو ذلك من الألقاب التي لا تغني عن مقام النبوة فتيلاً ولا قطميراً.

وتراهم يتحدثون عن سيرته -عليه الصلاة والسلام- حديثاً مادياً بحتاً مجرداً دون ربط لها بالوحي والغيب، والتأييد الإلهي، وكأنهم يتحدثون عن سيرة نابليون، أو هتلر، أو موسوليني.

ولا ريب أنهم قد يثنون على النبي ﷺ ويصفونه بأوصاف كبيرة، ويفضلونه على غيره.

---

١ - انظر مقدمة الخصائص الكبرى ١/٤.

ولكن الخطورة تكتنف هذا المنهج من جهة قطعه عن الصلة بالله، وعن الإيمان بالغيب؛ فتراهم ينكرون عدداً من المعجزات الثابتة بصريح القرآن، ومتواتر السنة، كنزول الملائكة في بدر، وطير الأبابيل، وشق صدر النبيﷺ والإسراء.

وترى بعضهم يرى أن (اقرأ) كانت مناماً، وأن الإسراء سياحة الروح في عالم الرؤى، ويَصِفُ الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة بدر بالدعم المعنوي، ويصف الطير الأبابيل بداء الجدري، وأن شق الصدر كان شيئاً معنوياً، وأن لقاء جبريل بالنبيﷺ في غار حراء كان مناماً، إلى غير ذلك مما جاء في ذلك السياق.

وهكذا تُفرَّغ سيرة النبيﷺ من الحقائق الغيبية، والمعجزات والخوارق التي لا يمكن أن تتنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازينه التي يدَّعون أنهم يسيرون على وفْقها؛ لأن الله هو خالق النواميس، وهو القادر على خرقها متى شاء.

وربما استروح بعض أصحاب هذا المنهج إلى إحياء الأساطير في سيرة النبيﷺ[1].

المنهج الثالث: وهو المنهج الصحيح: وهو الذي أنكر منهج الغلو والمبالغة في إطراء النبيﷺ كما أنكر الأسلوب المادي الفلسفي في دراسة السيرة.

فالمنهج الصحيح هو الذي يقوم على الأصالة والسلامة، وهو الذي يعتمد في دراسة السيرة، واستلهام العبر منها على القرآن الكريم، والمصادر الأصيلة الصحيحة من كتب السنة والسيرة دون مبالغة في إطراء النبي ﷺ وإخراجه عن

---

١ ـ انظر البحث القيم الذي قدمه الأستاذ أنور الجندي لمؤتمر السيرة النبوية ـ في مقدمة تحقيق كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق الشيخين: عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/١٧ـ٣٥.

وصف العبودية في أعلى مقاماتها.

ودون غمط لمقام النبوة الذي يعلو به على سائر البشر.

وهو المنهج الذي يقوم -أيضاً- على الإيمان بالغيبيات، والمعجزات، والأخبار القطعيات.

فهذا هو المنهج الحق، وإن كان أصحابه يتفاوتون في جودة الطرح، وقوته، وعمقه.[1]

---

١ - انظر الرحمة والعظمة في السيرة النبوية ص١٥-١٩.

الفصل الأول

أصول الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

- تمهيد
- المبحث الأول: سلامة المقاصد في الحوار النبوي.
- المبحث الثاني: التثبت في أثناء الحوار.
- المبحث الثالث: العلم بمادة الحوار.
- المبحث الرابع: لزوم العدل مع المحاور.

الفصل الأول: أصول الحوار في السيرة النبوية

تمهيد

يقوم الحوار المنضبط الراقي على أصول عظيمة كثيرة، ويمكن إجمالها بسلامة المقاصد، والتثبت، والعلم بمادة الحوار، ولزوم العدل مع المحاور.

فهذه الأصول، وما يندرج تحتها تعد أعظم أصول الحوار ومقوماته.

وهذه الأصول الرفيعة الشأن تتجلى غاية التجلي في السيرة النبوية الشريفة.

وهذا ما سيتبين في المباحث التالية.

المبحث الأول: سلامة المقاصد في الحوار النبوي

فمن أعظم مقومات الحوار سلامة المقاصد، وتتجلى سلامة مقاصد المحاور في إخلاص نيته، ورغبته في الوصول إلى الحق، وبعده عن الأغراض الشخصية، وإحسانه الظن بمحاوره، وبُعْدِه عن الدخول في نيته، وفرحه بظهور الحق على يد أي أحد.

وهذه المقومات ظاهرة لمن يتأمل سيرة النبيﷺ وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط:

١ـ **إخلاص النية في الحوار:** وذلك بأن يريد المحاور في حواره وجه الله، والوصول إلى الحق دون أن يريد بحواره إظهار براعته، وإبراز مقدرته، وإفحام أقرانه، ولفت الأنظار إليه، وما إلى ذلك من قوادح الإخلاص.

وهكذا كانت سيرة النبيﷺ فلقد كان أشد الناس إخلاصاً لربه في حواراته وشتى شؤونه؛ كيف لا يكون كذلك وهو الذي أوحى إليه ربه ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الزمر).

وأوحى إليه ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الزمر).

وأوحى إليه ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: ٥).

كيف لا يكون كذلك وهو القائل: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

كيف لا يكون كذلك وهو الذي يروي عن ربه قوله ـعز وجلـ: «**أنا أغنى**

---

١ ـ أخرجه البخاري (١).

الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»[١].

قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ (سبأ:٤٦).

فهذه الآية وضعت مقومات الحوار، وأصوله، وشروط الانتفاع به.

وأول أصل ذكر في هذه الآية هو الإخلاص في قوله -عز وجل-: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾.

أي تقوموا لله وحده؛ فيكون الباعث لكم إرادة وجه الله دون من سواه، فهذا هو الإخلاص، والتجرد في طلب الحق.

وبدونه يكون الحوار فاقداً لروحه، وأعظم أصوله، ومقوماته.

ولقد كان -عليه الصلاة والسلام- صافيَ السريرةِ، حسنَ السيرةِ لا يبغي في حواراته إلا هدياً، ولا ينوي إلا إصلاحاً.

وكان -عليه الصلاة والسلام- سالماً من الأغراض الشخصية، مترفعاً عن المطامع الدنيوية؛ فما كان خاملاً؛ فيطلب بهذه الدعوة نباهة شأن ووجاهة؛ فإن في شرف أسرته، وبلاغة منطقه، وكرم خلقه ما يكفيه لأن يحرز في قومه الزعامة لو شاء.

وما كان مُقِلاً حريصاً على بسطة العيش؛ فيبغي بهذه الدعوة ثراءً؛ فإن عيشه يوم كان الذهب يصب في مسجده ركاماً لا يختلف عن عيشه يوم كان يلاقي في سبيل الدعوة أذىً كثيراً، وعيشَه يومَ كان يتعبد في غار حراء كعيشه يوم أظلت رايتُه البلادَ العربية، وأطلت على ممالك قيصر من ناحية تبوك.[٢]

---

١ - أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

٢ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين للشيخ محمد الخضر حسين ص٢٠٥.

ويشهد لإخلاص النبيﷺ في حواراته وتحلّيه بهذا الأصل العظيم شواهد كثيرة، وسيرد ذكر شيء منها في تضاعيف هذا البحث، بل لا تبالغ إذا قلتَ: إن جميع حواراته ـعليه الصلاة والسلامـ ناطقة بإخلاصه شاهدة له بذلك.

وفي هذا درس عظيم لكل من أراد الحوار، وهو أن يصحح نيته، وأن يتخلص من حظوظ نفسه، وأن يستحضر شهودَ ربه واطلاعه عليه.

وأن يدرك أن الإخلاص عليه مدار العمل؛ فعليه لزوم الإخلاص قبل الحوار، وأثناءه، وبَعْدَه، وعليه تجنبُ كلِّ ما من شأنه أن يخدش الإخلاص، ويقدح من سلامة القصد حتى لا يحبط عمله، وتضيع ثمرة جهده؛ فالحوار بدون نية حسنة مضر بصاحبه أيما ضرر[1].

٢ـ **البعد عن الدخول في النيات:** وهذا نتيجة لسلامة المقاصد، وثمرة من ثمرات الإخلاص، ودليل من دلائل حسن النية والعمل؛ لأنه إذا حسن قصد المرء حسنت ظنونه، و:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توهم[2]

وإن من أعظم آفاتِ الحوارِ الدخولَ في نية المحاور، وإلصاقَ التهم به، وحملَ كلامه على أسوأ المحامل، وأخذَه بلازم قوله دون أن يلتزمه، أو أن يقول المحاور لمحاوره: أنت لم ترد بذلك وجه الله، أو أنت سيئ القصد إلى غير ذلك مما يفسد جو الحوار، ويفقده مصداقيته، ويخرجه إلى دائرة المهاترة والمسابة.

ولقد كان ـعليه الصلاة والسلامـ مبرأً من كل نقيصة من ذلك، بعيداً كل

---

١ ـ انظر في أصول الحوار ص٣٠، والحوار آدابه وضوابطه ص١٣٩ـ١٤٠، وقواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات د. عبدالله الرحيلي ص٣٨ـ٣٩.

٢ ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري ١٣٥/٤.

البعد عن سوء الظن، كيف لا، وهو الذي أدبه ربه بقوله -عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢).

كيف لا وهو القائل: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»[1].

ولأمثلة حسن ظنه بمحاوريه كثيرة جداً، وسيرد نماذج كثيرة منها.

٣- الفرح بظهور الحق على يدِ أي أحد: فذلك دليل الصدق، وأمارة الإخلاص، وسلامة النفس من الحظوظ والأغراض الشخصية؛ لذلك فإن على المحاور أن يكون غايته الوصول إلى الحق سواء جرى ذلك على لسانه، أو على لسان محاوره؛ فإذا ظهر الحق كان ذلك هو المطلوب؛ ذلك أن النفس طُلَعَة تحب الانتصار، وترغب العلو، وتنزع إلى تطلب الشهرة والمديح.

وربما رغبتْ في التشفي، وإظهار الشماتة، ونحو ذلك من المقاصد التي تنافي السلامة والإخلاص؛ فلا تريد -والحالة هذه- أن يظهر الحق على يد مخالفها فضلاً عن أن تفرح به.

ولم تكن تلك أخلاق رسل الله -عليهم الصلاة والسلام-.

بل كانوا يفرحون بظهور الحق، ويرغبون في الإصلاح، ولم يكن لهم هدف غير ذلك.

ومن الأدلة على ذلك قوله -عز وجل- عن شعيب -عليه السلام-: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود: ٨٨).

والمعنى -كما يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي-: «ليس لي من

---

١ - البخاري (٥١٤٣ و ٦٠٦٦ و ٦٧٢٤) ومسلم (٢٥٦٣).

المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم.

وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي».[١]

ولقد كان نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ يفرح في حواراته أيما فرح بظهور الحق على يد أي أحد، ولو كان من أشد الناس مخالفة له.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أجلاها ما جاء في الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمدُ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ الزمر)[٢].

فهذا الحوار بين النبي ﷺ وذلك الحبرِ، وإقرار النبي ﷺ كلامَ الحبرِ دليلٌ على سلامة مقاصد النبي ﷺ وإنصافه، وقبوله الحق من أي أحد؛ إذ لم يكن مجيء الحق من خصم، أو عدوٍ مناوئ مسوغاً لأن يرده، بل قَبِله بأحسن ما يكون القبول، حيث ضحك ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى بدت نواجذه؛ فرحاً، وتصديقاً لقول الحبر، بدليل قراءة الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر[٣].

وقريب من هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول

---

١ ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ص٤٣٥.

٢ ـ البخاري (٤٨١١ و ٧٤١٤ و ٧٤١٥ و ٧٤٥١ و ٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦).

٣ ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص١٦٣٧.

الله ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السَّفَر؛ نزلاً لأهل الجنة».

فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة، قال: «بلى».

قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم، قال: «إدامهم بالامٌ[1] ونون».

قالوا: وما هذا، قال: «ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً».[2]

وسيأتي مزيد لما مضى في المباحث التالية.

---

١ ـ بَالامٌ: قيل في معناها أقوال مضطربة، والصحيح منها ـكما قال النووي ـ أنها لفظة عبرانية، معناها: ثور. انظر صحيح مسلم بشرح النووي حديث (٢٧٩٢).

٢ ـ البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

المبحث الثاني: التثبت في أثناء الحوار

ذلك أن من أهم مقومات الحوار الناجح أن تراعى فيه الحقائق الثابتة، والأدلة الصريحة الواضحة، وأن يقوم على أساس من الصدق واليقين لا على مجرد الظنون والأوهام.

والمحاور الصادق المخلص، السليم المقاصد يتثبت في أثناء حواره، ولا يلصق بمحاوره ما ليس فيه، ولا يتمنى خطأه، ولا يلتمس عثرته.

وإذا بدا من محاوره تَصَرُّفٌ مُشكِلٌ، أو كلام محتمل بادر بسؤاله عن قصده حتى يصل إلى اليقين في كل ما يقوله، أو يحكم به.[1]

وعلى هذا الغرار كانت تسير حوارات النبيﷺ.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، وإليك طرفاً منها.

المثال الأول: ما جاء في قصة حاطب بن أبي بلتعةرضي الله عنه فقد جاء في الصحيحين عن علي بن أبي طالبرضي الله عنه قال: «بعثني رسول اللهﷺ وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام وكلنا فارس قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ؛ فإن بها امرأةً من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين».

فأدركناها تسير على بعير لها ـ حيث قال رسول اللهﷺ فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها، فالتمسنا، فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول اللهﷺ لَتُخْرِجِنَّ الكتاب، أو لَنُجَرِّدَنَّكِ، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها ـوهي محتجزة بكساءـ فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول اللهﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان

---

١ ـ انظر أدب الحوار د. سعد الشثري ص٢٨ـ٢٩.

الله ورسوله والمؤمنين؛ فَدَعْني؛ فلأضربْ عنقه.

فقال النبيﷺ: «ما حملك على ما صنعت»؟.

قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسولهﷺ أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي، ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله، وماله.

فقال النبيﷺ: «صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله، ورسوله، والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه.

فقال: «أليس من أهل بدر؟» فقال: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم».

فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[1].

ولمسلم في روايته يقول -أي عليرضي الله عنه-: بعثنا رسول الله أنا والزبير والمقداد، فقال: «ائتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينةً معها كتاب، فخذوه منها».

فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب فقلنا: لتخرجِنَّ الكتاب أو لَتُلْقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول اللهﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول اللهﷺ فقال رسول اللهﷺ: «يا حاطب ما هذا؟!».

قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله؛ إني كنت امْرَأً ملصقاً في قريش- قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها- وكان ممن كان معك من المهاجرين

---

١ - البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) وهذا لفظ البخاري.

لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال النبيﷺ: «صدق».

فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقالﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فأنزل الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ (الممتحنة: ١)[١].

فهذا حديث عظيم، يشتمل على غرر من العلم، ودرر مما نحن بصدده من أصول الحوار وآدابه، وسيمر بنا إشارات إلى شيء من ذلك غير مرة في هذا البحث.

والشاهد ههنا قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**ما حملك على ما صنعت**».

وفي الرواية الأخرى: «**يا حاطب ما هذا؟**».

ففي هذا الحديث العظيم بيان لشأن التثبت؛ فالنبيﷺ لم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه، وحاوره، وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وصحة الخبر؛ ففي هذه الحادثة تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهو الوحي، والمرحلة الثانية هي مرحلة التثبت عن الأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ[٢].

وهذا غاية ما يكون من التثبت في الحوار.

---

١ - مسلم (٢٤٩٤).

٢ - انظر الحوار آدابه وضوابطه ص٣٤٧.

المثال الثاني: ما جاء في الحديث الطويل في قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه -رضي الله عنهم- وفيه: «وصبَّح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس فلما فعل ذلك، جاءه المُخَلَّفون، فجعلوا يحلفون له، ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فَيَقْبَلُ منهم رسول الله ﷺ علانيتَهم، وأيمانَهم، ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله -تعالى- حتى جئت، فسلمت عليه، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: «تعال» فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه فقال لي:

«ما خَلَّفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟».

قال، قلت: يا رسول الله إني -والله- لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا - لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيتُ جدلاً، ولكن -والله- لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لَتَرْضَيَنَّ عني، وليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديثاً صدقاً تَجِدُ عليَّ فيه إني لأرجو عقباي من الله فيه، ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كنتُ قَطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

فقمت، وثار رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله ﷺ لك» الحديث[1].

والشاهد من ذلك قوله ﷺ لكعب رضي الله عنه: «ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟».

---

١ - رواه البخاري (٢٧٥٧ و ٤٩٤٧ و ٣٥٥٦ و ٣٨٨٩) ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له.

حيث تثبت النبيﷺ من سبب تخلف كعبؓ.

ولما أخبره كعب بالصدق، وبيَّن له حقيقة الأمر ـ أحسن النبيﷺ به الظن، فصدَّقه، وقال له: «فقم حتى يقضي الله فيك».

المثال الثالث: تثبتهﷺ من بني سلمة حين بلغه أنهم يعزمون على الانتقال من ديارهم إلى قرب المسجد.

فعن جابر بن عبدالله ـرضي الله عنهماـ قال: «خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سَلِمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فقال: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد».

قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك؛ فقال: «يا بني سلمة! دياركم تُكْتَبْ آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»[1].

المثال الرابع: ما جاء في قصة ماعز بن مالكؓ حيث جاء إلى النبيﷺ فقال: «يا رسول الله! طهرني، فقال: «ويحك! ارجع فاستغفر الله، وتب إليه».

قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال رسول اللهﷺ: «ويحك ارجع فاستغفر الله، وتب إليه» قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال النبيﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة، قال له رسول اللهﷺ: «فيما أُطهِّرك؟» فقال: من الزنى، فسأل رسول اللهﷺ «أبه جنون؟» فَأُخْبِرَ أنه ليس بمجنون، فقال: «أشَرِبَ خمراً؟» فقام رجل فاسْتَنْكَهَهُ فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول اللهﷺ: «أزنيت» فقال:

---

١ ـ رواه مسلم (٦٦٥).

نعم، فأمر به، فرجم، فكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبةٌ أفضلَ من توبة ماعز إنه جاء إلى النبيﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول اللهﷺ وهم جلوس، فسلم، ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز بن مالك» قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول اللهﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»[1].

والشاهد واضح من هذا الحديث، حيث تَثَبَّت -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحوار من صحة قول ماعز بأنواع من التثبت، حيث أرجعه، وأمره بالاستغفار، ثم استعلم منه عن أي شيء يُطهره، ثم سأل عن سلامة عقله من الجنون، ثم سأل هل شرب خمراً، فصار يهذي بما لا يعقل، ثم شُمَّ، فلم يُوجَدْ منه ريحُ خمرٍ، ثم سأله سؤالاً صريحاً: «أزنيت» فلما اعترف بعد هذه الأنواع من التثبت، وبعد أن ردده النبيﷺ مراراً - أمر به؛ فرجم، ثم لما اختلف الناس في شأنه أمرهم بالاستغفار له، وبين لهم صدق توبته؛ فهذا نزر يسير من أمثلة تثبتهﷺ.

ومن خلالها يتبين لنا شيء من منهجه -عليه الصلاة والسلام- في هذا الأصل العظيم - وفي ذلك درس لكل من أراد الحوار، وذلك بأن يلازم التثبت، فلا يتكلم، ولا يحكم، ولا يحاور إلا عن تثبت ويقين؛ فحقيق على المحاور أن يلزم هذا الأصل خصوصاً في المحاورات التي يترتب عليها مصالح ومفاسد، فعليه

---

١ - رواه مسلم (١٦٩٥).

التأني والتروي، وترك التسرع؛ فذلك أقرب للسلامة، وأبعد عن الندامة.[١]

قال ابن حبان رحمه الله: «أنشدني منصور بن محمد الكريزي:

الرفقُ أيمنُ شيءٍ أنت تتبَعُه ... والخُرق أشأمُ شيء يُقْدِم الرَّجُلا

وذو التثبت من حَمْدٍ إلى ظَفَرٍ ... من يركبِ الرفقَ لا يستحقبِ الزللا[٢]

---

١ ـ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٥٤، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للشيخ عبدالرحمن السعدي عناية الشيخ د. عبدالرزاق العباد ص١٦١.

٢ ـ روضة العقلاء لابن حبان ص ٢١٦.

المبحث الثالث: العلم بمادة الحوار

فالعلم من أعظم مرتكزات الحوار، وأمضى أسلحة المحاور؛ فلا بد للمحاور أن يكون حواره عن علم وبصيرة.

ويتأكد هذا في حقِّ المحاورِ المعلِّمِ المرشد الداعية الذي يخاطب الجاهلين، وينبه الغافلين، ويرد على شبهات المخالفين؛ فمن كان هذا شأنه تأكد هذا الأصل في حقه، وقبح جهله بمادة حواره[1].

قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحج: ٨)

وقال -سبحانه-: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (آل عمران: ٦٦).

قال القرطبي رحمه الله: «في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له»[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: «هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به»[3].

فالعلم -إذاً- يحتاجه المحاور في محاورته لمن يفوقه، أو لمن هو دونه، أو لمن هو في طبقته.

ويتأكد -أكثر- إذا كان المحاور أعلى طبقة من محاوِره الذي يأمل الإفادة من ذلك الأعلى.

---

١ - انظر الحوار آدابه وضوابطه ص٧٢-٧٣.

٢ - الجامع لأحكام القرآن ٤/٧٠.

٣ - تفسير ابن كثير ١/٣٧٢.

والعلم اللازم للمحاور في أي شأن من الشؤون يشمل العلم بالحكم الشرعي في المسألة المختلف فيها، والعلم بشبهات المخالفين والرد عليها، والعلم بأدب الحوار، والعلم بظروف المكان والزمان والحال[1].

ولا ريب أن النبيﷺ هو المعلم الأول، والقدوة المثلى، وأنه كان يحاور كافة الطبقات، وينوع لهم الأساليب -كما سيأتي في فصل قادم- فتارة يَبْتَدِر أصحابه بالحوار، وتارة يبتدرونه، وتارة يستفهمهم، وتارة يستفهمونه، وتارة يحاور المشركين، وتارة يحاور أهل الكتاب إلى غير ذلك من أساليب الحوار، وطبقات المحاورين.

وكان شأنه في ذلك كله لزومَ العلم والبصيرة، والأخذ بالحجة المستنيرة؛ فلا يتكلم إلا عن علم، ولا يجيب إلا عن علم، ولا ينكر إلا عن علم؛ فإن لم يكن لديه علم حاضر انتظر نزول الوحي، ولم يأنف من قول لا أدري.

وإذا أرسل أحداً من أصحابه لدعوة قوم، أو لأيِّ شأنٍ من الشؤون أوصاه بما يلزم من أصول الحوار، وآدابه.

وسيرته حافلة بما يؤكد تلك المعاني، وفيما يلي أمثلة لحوارات نبوية توضح ما مضى ذكره.

المثال الأول: ما جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطابﷺ قال: «بينما نحن جلوس عند رسول اللهﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبيﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن

---

١ ـ انظر الحوار آدابه وضوابطه ص٧٣.

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

ففي هذا الحديث العظيم حوارٌ عظيمٌ راقٍ سأل فيه جبريل -عليه السلام- النبيَّ ﷺ أعظم الأسئلة، ألا وهي مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان؛ فأجاب عنها أتم الإجابة بعلم وبصيرة.

ولما سئل عن الساعة لم يأنف من التوقف عن الإجابة؛ فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

ولما سئل عن أماراتها أجاب بعلم ويقين.

ثم لما انطلق جبريل -عليه السلام- لبث أصحابه ملياً، ولم يسألوا النبي ﷺ عن ذلك السائل؛ لكمال أدبهم، فابتدرهم -عليه الصلاة والسلام- بالسؤال

---

١ - مسلم (٨).

عنه، فأجابوا بما رياهم به ـعليه الصلاة والسلامـ بقولهم: «الله ورسوله أعلم».

فقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

المثال الثاني: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث» الحديث[1].

ففي هذا الحديث جواب عن أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وقد أجاب ـعليه الصلاة والسلامـ بعلم راسخ، ويقين ثابت.

المثال الثالث: ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان، فَفَعَلْتُ بها كلَّ شيءٍ غير أني لم أجامعها، قَبَّلْتُها، ولزمتها، ولم أفعل غير ذلك؛ فافعل بي ما شئت، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً، فذهب الرجل.

فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره، قال: «ردوه علي» فردوه عليه، فقرأ عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (هود: ١١٤).

فقال معاذ، وفي رواية عمر: يا رسول الله! أَلَهُ وَحْدَهُ، أم للناس كافة، فقال: بل للناس كافة»[2].

فالنبي ﷺ سمع هذا السؤال من محاوره؛ فلم يجبه؛ لأنه لم يكن لديه جواب

---

١ ـ البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

٢ ـ رواه أحمد (١١٤٥)، ومسلم (٢٧٦٣ و ٤٤٦٨)، والترمذي (٣١١٢).

حاضر، فانتظر حتى نزل الوحي، فأمر بِرَدِّ ذلك الرجل، وأجابه بالآية التي نزلت في ذلك الشأن.

المثال الرابع: ما جاء عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله أي البلدان شر؟ قال: فقال: «لا أدري».

فلما أتاه جبريل -عليه السلام- قال: «يا جبريل أي البلدان شر؟» قال: «لا أدري حتى أسأل ربي -عز وجل-».

فانطلق جبريل -عليه السلام- ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم جاء، فقال: «يا محمد إنك سألتني أي البلدان شر، فقلت لا أدري، وإني سألت ربي -عز وجل- أي البلدان شر، فقال: أسواقها»[1].

فهذا الحديث واضح الدلالة من جهة أن النبيﷺ لم يجب محاوره، بل قال: «لا أدري»، ولما جاءه الوحي بالجواب أجاب.

المثال الخامس: ما جاء في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول اللهﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية إلى أن يوحدوا الله؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم؛ فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

---

١ ـ أخرجه أحمد (١٦٧٩٠) والحاكم في المستدرك (٣٠٣) وأبو يعلى (٧٤٠٣).

٢ ـ رواه البخاري (١٤٥٨ و ٤٩٦ و ٧٣٣١) ومسلم (١٩).

ففي هذا الحديث دلالة على عظم شأن العلم في المحاور؛ حيث اختارﷺ لتلك المهمة أحد أكابر علماء الصحابة وهو معاذ بن جبلﷺ الذي هو أعلم الأمة بالحلال والحرام[١]، وهو الذي يأتي أمام العلماء برتوة[٢] يوم القيامة [٣]، وعلّمه -عليه الصلاة والسلام- أدب الحوار، وأعلمه بحال المدعوين.

فهذه إشارات، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها.

ومن خلالها يتبين أن العلم من أعظم أصول الحوار، وأقوى أسلحة المحاور.

وهذه السيرة ترشد المحاور ألا يُغْفِل جانب العلم في حواره؛ لأن من أعظم آفات الحوارِ قِلَّةَ العلم بمادته؛ فقد يحاور المرء بدون علم؛ فإن فعل ذلك عرّض نفسه للإحراج، بل ربما خذل الحق خصوصاً إذا كان الذي أمامه محاوراً بارعاً؛ فلربما أقنع السامعين بفكرة خاطئة، أو شكّكهم بفكرة صحيحة؛ فكم ضاع من حق بسبب سوء العبارة، وقلة العلم، وكم ظهر من باطل بسبب حسن العرض، وجمال المنطق.

في زخرف القول تزيينٌ لباطله ... والحق قد يعتريه سوءُ تعبيرِ

فلا ينبغي لشخص أن يدخل في حوار إلا وقد أحاط به علماً؛ فالعلم بموضوع الحوار، والعلم بتفاصيله، والتسلح بالحجج والبراهين - سلاح ماضٍ بيد المحاور الناجح؛ إذ يُمَكِّنُهُ من الوقوف على أرض ثابتة، وليس على رمال متحركة؛

---

١ - رواه أبو نعيم في الحلية ٣٢٨/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٧٩).

٢ - الرتوة: تطلق على عدة معان؛ فتطلق على الخطوة، والدرجة، والمنزلة. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٥/٢، ولسان العرب ٣٠٨/١٤.

٣ - رواه أبو نعيم في الحلية ٢٢٩/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٠).

فالمستيقن من الحق الذي معه تراه مطمئن الخاطر، آمناً على مذهبه من صولة الباطل؛ فينطق عن أناة وتَخَيُّرٍ للأقوال الصائبة.

والعرب تقول في أمثالها: «قبل الرمي يراشُ السهم» أي هَيِّىءِ الأمر، وأَعِدّه قبل حاجتك إليه.[١]

أما من لم يكن على بصيرة من رأيه فإنه ينزعج عند الحوار، ويطيش به الجدل، حتى يقذف بالسباب، ويلفظ بالكلام من قبل أن يقيم له وزناً.

والعرب تقول في أمثالها: «عند النطاح يُغْلَبُ الكبش الأجم»؛ لأنه فعل ذلك من غير عُدَّةٍ هَيَّأَها.[٢]

ثم إن حق الاعتراض والتخطئة، والتصدي للمحاورة لا يَتَأَتَّى لجاهل في مواجهة عالم، بل ولا يقبل منه.

ومن لا يعلم لا يصح له أن يتصدى لمن يعلم، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

ولا يلزم من لديه علم أن يدخل في كل حوار؛ بل ينبغي له أن لا يدخل حواراً إلا وهو عالم به؛ إذ إن مجرد علمه ـ في الأصل ـ لا يكفي.

وخير ما يستعين به المحاور عند إرادته الحوار في موضوعٍ ما ـ أن يجمع أطراف الموضوع، ويتصور جميع احتمالاته، ووجوهه، وأن يطلع على ما كتب فيه سواء من المؤيدين أو المعارضين، وأن يكون ذا نظرٍ ثاقبٍ، وخبرة عالية بظروف المكان والزمان، وتطورات العلوم والمعارف، وطبائع النفوس ونزواتها.

وكلما كان أحسن في عرض معلوماته وإثبات أفكاره ـ كانت الاستجابة له

---

١ ـ الأمثال لأبي عبيد ص٢١٥.

٢ ـ الأمثال لأبي عبيد ص٢١٥.

أدعى وأكبر، مع ملاحظة ألا يكون حشده للمعلومات والأدلةِ لمجرد تقوية رأيه، والانتصار على خصمه.

وإنما يكون ذلك ذريعة لمعرفة الحق، والوصول إليه.[١]

ثم إن في سيرة النبيﷺ في التأني في الحوار، وانتظار الوحي حتى يأتي بالخبرِ والجوابِ عن السؤال، أو النازلة ـ درساً عظيماً لمن أراد أن يكون صادقاً في حواره، أميناً في معلوماته؛ فلا يتكلم ولا يجيب إلا بما يعلمه علم اليقين؛ فذلك دليل صدقه، وعنوان أمانته العلمية؛ فالأمانة العلمية زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم.

وإذا قلّبت النظر في تراجم رجال العلم رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين بوناً شاسعاً، ترى الأول في مكانة محفوفة بالوقار، وانتفاع الناس منه في ازدياد.

وترى الثاني في منزلة صاغرة، ونفوس أهل العلم منصرفة عن الأخذ منه، أو متباطئة.[٢]

فالرجل الذي يكون على جانب من العلم، ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ـ يرمقه الناس بازدراء، وتذهب ثقتهم به، فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من معلوماته الصحيحة.

ولما كان من المحاورين من هو متصدٍّ لتعليم الناس والإجابة عن أسئلتهم ـكان لزاماً عليه أن يأخذ نفسه بالأمانة العلمية؛ فإذا سئل عما يعلم أجاب بكل أمانة ووضوح.

١ـ انظر في أصول الحوار ص٣٣ـ٣٤، والدعوة إلى الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ص٥٤ـ٥٥، وقواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات ص٤٠ـ٤١.

٢ـ انظر رسائل الإصلاح للشيخ ١/١٥.

وإذا سئل عما لا يعلم توقف عن الإجابة بأن يقول: لا أدري، أو لعلي أراجع المسألة، أو أتأكد منها، أو أسأل عنها، أو نحو ذلك.

فالمحاور قد يقع في حال يرى أن الاعتراف بالجهل يذهب بشيء من احترام مُحَاوره أو من يحضر تلك المحاوَرة، فيقف بين داعيين: فضيلة الأمانة تدعوه إلى أن يقول: لا أدري، وحرصه على أن يبقى احترامُه في نفوس سائليه غير منقوص يدعوه إلى أن يستمد من غير الحقيقة جواباً.

وفي مثل هذه الحال يظهر مقدار صلة المحاور بالأمانة العلمية؛ فإن كان راسخاً فيها رسوخ الجبل تشتد به العواصف فلا تزحزحه قِيْدَ شعرة ـأجاب داعيها، واستيقن أن الاحترام الحق في الوقوف عند حدودها.

وإن كانت الأمانة كلمة يقولها بفمه، ويسمعها بأذنه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ـآثر لذة الاحترام في ذلك المشهد، وأجاب بما ليس له به علم.

ثم إذا أبديت في العلم رأياً، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق في غير ما أبديت ـفلا تستوحش من الرجوع إلى الحق؛ فلك في ذلك سلف رفع الله ذكرهم، وكان مما رفعهم به وقوفُهم عند حدود الأمانة؛ فمقتضى الأمانة ـوالحالة هذهـ أن تصدع بما استبان لك أنه الحق، ولا يمنعك من الجهر به أن تُنْسَبَ إلى سوء النظر فيما رأيته سالفاً؛ فما أنت إلا بشر، وما كان لبشر أن يبرأ نفسه من الخطأ، ويدعيَ أنه لم يقل ولن يقول في حياته إلا صواباً[1].

هذا وإن في توقف الإنسان عما لا يعلم، ورجوعِه إلى الحق إذا تبين ـفوائد كثيرة منها: أن هذا هو الواجب عليه، وأن ذلك يفتح له باب العلم، كما أن في ذلك رفعةً للقدر، وإرشاداً للمتعلمين، وتربيةً لهم؛ فإذا رأى المتعلمون من

---

١ ـ انظر رسائل الإصلاح ١/١٦ـ١٧.

المحاور البارع التوقف فيما لا يعلم- كان ذلك تعليماً، وإرشاداً لهم؛ كي يسلكوا هذه الطريقة بلا تحرج.

والاقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال؛ فإذا فات المحاور أن يجيب محاوره بالعلم عما سأله لم يَفُتْهُ أن يعلمه خلقاً شريفاً وهو ألا يتحدث في العلم إلا عن علم وبصيرة؛ فيسلم بذلك من الإثم، ويرفع مقامه من أن يرمى بضعف الرأي، وقلة الأمانة.

فإذا كانت الأمانة في العلم منبع حياة الأمم، وأساس عظمتها -زيادة على أنها الخصلة التي تكسب صاحبها وقاراً وجلالة -كان حقاً علينا أن نربي نشأنا من طلاب العلم على الأمانة في حواراتنا، وأن نتخذ كل وسيلة إلى أن نخرجهم أمناء فيما يروون أو يصفون، وذلك بأن نتحرى الأمانة فيما نروي، ولا نجيب سؤالهم إلا بما ندري أو بقولنا: لا ندري.

وإذا أوردنا رأياً استَبَنَّا بعدُ أنه مأخوذ من غير أصل قلنا لهم في صراحة: قد أخطأنا في الفهم، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم.

ثم علينا - بعد أن نقوم بحق الأمانة - ملاحظةُ سير الطلاب، فإذا وقعوا فيما يدل على أنهم غافلون عن رفعة شأن الأمانة، وغزارة فوائدها -أرشدناهم إلى أن العلم بغير أمانة شر من الجهل، وأن ذكاءً لا يصاحبه صدق اللهجة نكبة في العقل.[1]

وهكذا نفيد هذا الدرس العظيم في الحوار من السيرة النبوية الشريفة.

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في مباحث آتية.

---

١ - انظر تذكرة السامع والمتكلم ص٧٨-٧٩، والفتاوى السعدية ص٤٥٢-٤٥٣، ورسائل الإصلاح ١/١٦- ٢١ و ٨٩.

المبحث الرابع: لزوم العدل مع المحاور

العدل قوام الحياة، والسموات والأرض ما قامت إلا بالعدل.

قال ـتعالىـ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام: ١٥٢).

وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾ (الرحمن).

قال ابن حزم رحمه الله: «وجدت أفضل نعم الله ـتعالىـ على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإيثاره».[١]

وقال: «وأما من طبع على الجور واستسهاله، وعلى الظلم واستخفافه ـ فليأس من أن يصلح نفسه، أو يقوم طباعه أبداً، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خلق محمود».[٢]

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: «والعدل مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية، والعقول الحكيمة، وتمدَّح بادعاء القيام به عظماءُ الأمم، وسجلوا تمدُّحهم على نقوش الهياكل من كلدانية، ومصرية، وهندية.

وحسن العدل بمعزل عن هوى يغلب عليها في قضية خاصة، أو في مبدأ خاص تنتفع فيه بما يخالف العدل بدافع إحدى القوتين: الشاهية والغاضبة».[٣]

هذا وإن من أعظم العدلِ العدلَ مع المحاور؛ إذ هو يدل على إخلاص،

١ـ الأخلاق والسير لابن حزم ص٣٧.

٢ـ الأخلاق والسير ص٣٧.

٣ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للطاهر بن عاشور ص١٨٦.

وصدق، وتجرد، ورغبة في الوصول إلى الحق.

ويتجلى العدل مع المحاور في الحذر من ظلمه، والحرص على التماس المعاذير له، وإعطائه الفرصة للمساءلة، وإبداء الحجة، والدفاع عن نفسه، بل وتلقينه الحجة إذا قَصَّر في الإبانة عنها.

ويتجلى ذلك -أيضاً- بالتفريق بين الفعل وصاحبه، وبالمحافظة على روح الحوار، والحذر من آفاته، وما يفسد جو الإخاء بعد الحوار إلى غير ذلك مما هو داخل في قبيل العدل في الحوار ومع المحاور.

والسيرة النبوية حافلة بجميع ذلك، ناطقة بأن العدل، بل الإحسان سمة حوارات النبيﷺ سواء مع الموافقين، أو المخالفين، أو المخطئين، أو المتأولين.

وإليك أمثلة توضح هذه المعاني.

المثال الأول: ما جاء في حديث حاطب بن أبي بلتعةرضي الله عنه وقد سبق إيراده، والشاهد ههنا هو إعطاء النبيﷺ حاطباً الفرصة، لإبداء حجته، والدفاع نفسه.

بل إن النبيﷺ أحسن الظن به وصدَّقه، ولم ينس سابقته، وكونه من أهل بدر، ولعل الله اطلع عليهم فقال: «اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»[1].

---

١ - للعلماء في المراد بالمغفرة في هذا الحديث أقوال، ومن أحسن من تكلم في توجيه ذلك العلامةُ ابن القيمرحمه الله قال بعد أن ذكر بعض الأوجه التي قيلت في المراد بذلك: «فالذي نظن في ذلك -والله أعلم- أن هذا خطاب لقوم قد علم الله -سبحانه- أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم الله -سبحانه- مصرِّين عليها، بل يوفّقهم لتوبة نصوح، واستغفار، وحسنات تمحو أثر ذلك. =

وهذا غاية ما يكون في لزوم العدل مع المحاور؛ حيث قبل عذر المخطئ مع كِبَرِ جنايته، وكونها تمثل صورة من صور الخيانة العظمى، بل نوَّه به، وبشهوده بدراً.

وبذلك تَبَيَّن للناس وجهُ الخطأ، ووجهُ العذر؛ فطابت نفوس الصحابة، وخصوصاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من أشد الصحابة تغيظاً مما حصل.

ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة؛ فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا زكاة، ولا جهاد، وهذا محال.

ومِنْ أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب؛ فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة، ونظير هذا قوله في الحديث الآخر: «أذنب عبدٌ ذنباً فقال: أي رب، أذنبت ذنباً فاغفره لي، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنباً آخر فقال: أي رب أصبت ذنباً فاغفر لي، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أذنب ذنباً آخر فقال: رب أصبت ذنباً فاغفره لي، فقال الله: علمَ عبدي أنَّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء» رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

فليس في هذا إطلاق وإذن منه ـ سبحانه ـ له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك إذا أذنب تاب.

واختصاصُ هذا العبد بهذا؛ لأنه قد علم أنه لا يصرُّ على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب ـ حكمٌ يعمّ كل من كانت حاله حاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر.

وكذلك كل من بَشَّرَه رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له لم يَفْهم منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهاداً وحذراً وخوفاً بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة.

وقد كان الصدِّيق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر؛ فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيَّدة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيَّدة بانتفاء موانعها، ولم يَفْهَم أحدٌ منهم من ذلك الإطلاق الإذن فيما شاؤوا من الأعمال». الفوائد ص٣٤ـ٣٦.

ومع ذلك فقد طابت نفسه، ودمعت عيناه، وقال: «الله ورسوله أعلم».

المثال الثاني: ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، ومتفرقين فجمعكم الله بي؟» ويقولون: الله ورسوله أَمَنُّ.

فقال: «ألا تجيبوني؟» فقالوا: الله ورسوله أَمَنُّ.

فقال: «أما إنكم لو شئتم أن تقولوا: كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا» لأشياء عددها زعم عمرو[1] أن لا يحفظها، فقال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، الأنصار شعار، والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ـ لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا؛ حتى تلقوني على الحوض»[2].

وفي رواية لأنس بن مالك ﷺ قال: «لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم، ونَعَمِهم، ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء، فأدبروا عنه، حتى بقي وحده، قال: فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما شيئاً، قال: فالتفت عن يمينه، فقال: «يا معشر الأنصار» فقالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر

---

١ ـ هو عمرو بن يحيى بن عُمارة أحد رجال السند.

٢ ـ البخاري (٤٣٣٠ و ٧٢٤٥) ومسلم (١٠٦١).

نحن معك، قال: ثم التفت عن يساره، فقال: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله، أَبْشِرْ نحن معك، قال: وهو على بغلة بيضاء، فنزل، فقال: «أنا عبد الله ورسوله» فانهزم المشركون، وأصاب رسول اللهﷺ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين، والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن ندعى، وتُعْطى الغنائم غيرنا، فبلغه ذلك، فجمعهم في قُبة، فقال: «يا معشر الأنصار ما حديث بلغني عنكم؟» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، رضينا، قال: فقال: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شعباً؛ لأخذت شعب الأنصار».

قال هشام: فقلت يا أبا حمزة: أنت شاهد ذاك؟ قال: وأين أغيب عنه؟»[1].

ففي هذا الحديث دروس بليغة، وفوائد جليلة، وقواعد وأصول مهمة في باب الحوار يطول شرحها.

وموطن الشاهد ههنا أن الرسولﷺ سأل الأنصار سؤالاً عاماً؛ ليجعل الحديث لجميعهم، ولينظر في المشكلة من جذورها، ثم بدأ بتقريرهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وذِكْرِ الفضل الكبير الذي فازوا به إذ أسلموا؛ فانتقلوا من الضلال إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى، ومن التقاطع إلى التآلف، وتلك نعم يُسْتَوْجَبُ شكرُها، ويُسْتَنْكَرُ كنودُها.

قال ذلك النبيﷺ ليتوسل إلى النفوذ إلى قلوبهم، وليشعرهم بعظم مكانتهم

---

١ ـ البخاري (٤٣٣١) ومسلم (١٠٥٩).

عنده، وعظيم فضل الله عليهم بسببه.

ولما كان من المقرر والمتوقع وغير المستغرب أن يجول في قلوب الأنصار أنهم -أيضاً- بذلوا للدين، ونصروا الرسولﷺ وصدَّقوه، وآووه - وهي مزايا عظيمة، وحقائق ثابتة - وكان نبي اللهﷺ - وهو إمام الأوفياء، وسيد المنصفين، وصاحب الذوق المرهف، والنفس الكريمة، والذي يشعر بما قد يجول في خواطر الأنصار- يستحضر ذلك تماماً.

لما كان الأمر كذلك لم ينتظر -عليه الصلاة والسلام- أن يقول الأنصار ما يمكن أن يقولوه من مزاياهم، أوْ مَا قد يغيب عن أذهانهم من الحجة في تلك اللحظة، بل بادرهم -عليه الصلاة والسلام- ولَقَّنهم الحجة فقال: «أما إنكم لو شئتم أن تقولوا: كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا».

أي أنه أراد أن يعلمهم أنهم -أيضاً- أصحاب فضل، وسابقة؛ فلم يغب عن باله وهو في تلك اللحظة العصيبة، وفي ذلك الخطاب العاتب الزاري - أن يعترف لهم بسابقتهم وفضلهم، وأن ذلك على ذُكرٍ منه[1].

وبعد هذا الحوار الراقي، والعتب اللطيف، والإنصاف العالي - قال لهم؛ مبيناً وجه السبب لإعطاء أناس دون أناس: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم».

ثم أحسن بعد ما أنصف فقال: «أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبيﷺ إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به».

---

١ - انظر في أصول الحوار ص١٦-١٨.

فقالوا: «يا رسول الله قد رضينا».

فانظر من خلال هذا الحوار إلى جمال الحق، وعظمة الإنصاف المقرون بالإحسان.

المثال الثالث: ما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»؟.

قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالاً؛ فرحمته؛ فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود».

فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود؛ فرصدته؛ فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني؛ فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود؛ فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً؛ فرحمته؛ فخليت سبيله، قال: «أما إنه كذبك، وسيعود».

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته؛ فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود، قال: دَعْني أُعَلِّمْكَ كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح؛ فخليت سبيله،

فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة».

قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟».

قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح- وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبيﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تَعْلَمُ مَنْ تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟».

قال: لا، قال: «ذاك شيطان».[1]

فالرسولﷺ قبل الحق مع أنه جاء من شيطان، وفَرَّق بين القول والمعلومة، وبين مَنْ قالها ونسبت إليه؛ فقد يُقْبَلُ الإنسان ويُرَدُّ قوله، وقد يقبل القول ولو كان صاحبه مردوداً.[2]

وفي هذا عدلٌ وإنصافٌ، وإيثارٌ للحق.

المثال الرابع: ما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول اللهﷺ في سرية فَصَبَّحْنا الحُرُقات من جهينة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولَحِقْتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي؛ حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ

---

١ - البخاري (٢٣١١).

٢ - انظر الحوار ليحيى زمزمي ص١٥٠-١٥١.

ذلك النبيﷺ فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟».

قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً.

قال: فقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قال: فما زال يكررها علي؛ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[١].

فهذا الحوار الحازم الذي استدعاه المقام، لم يكن سبباً في إهدار قيمة أسامةرضي الله عنه بل أنصفه النبيﷺ وعدل معه؛ حيث أنكر صنيعه، ولم يرض عن فعله، مع أنه صدر من حِبِّه وابن حِبِّه.

ومع هذا لم يكن ذلك الخطأ ذريعة للزهد بأسامة، والحذر من توليته أمراً من الأمور؛ فالنبيﷺ إنما تبرأ من الفعل، ولكنه لم يبرأ من أسامة، ولم يُفْقِدْه ثقته بنفسه، بل بقي ـ كما هو ـ حِبَّه، وابن حِبِّه، وكان يُستشفع به عندهﷺ كما في حديث المخزومية التي سرقت، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة ـرضي الله عنهاـ أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: ومن يكلم رسول اللهﷺ، ومن يتجرأ عليه إلا أسامة حب رسول اللهﷺ.

فكلم رسول اللهﷺ فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟».

ثم قام فخطب، قال: «ياأيها الناس! إنما أضل من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[٢].

---

١ ـ البخاري (٤٢٦٩ و ٦٨٧٣) ومسلم (٩٦).

٢ ـ البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (٢٦٤٨).

والأعجب من ذلك أنه ﷺ كان يستشير أسامة كما في حديث قصة الإفك، وفيه: قالت -أي عائشة رضي الله عنها-: «فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، وأسامة ابن زيد -رضي الله عنهما- حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله! أَهْلَك، ولا نعلم إلا خيراً» الحديث[١].

بل كان -عليه الصلاة والسلام- يردفه على الراحلة، حيث كان رديفه في حجة الوداع؛ فعن أسامة بن زيد أنه كان رديف النبي ﷺ حين أفاض من عرفة؛ فلما جاء الشِّعب أناخ راحلته، ثم ذهب إلى الغائط، فلما رجع صببت عليه من الإداوة، فتوضأ، ثم ركب، ثم أتى المزدلفة، فجمع بين المغرب والعشاء»[٢].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفة، وأسامةُ رِدْفُه.[٣]

بل إنه -عليه الصلاة والسلام- أمَّر في آخر عمره أسامة على الجيش الذي كان فيه أكابر الصحابة -رضي الله عنهم-.

فقد جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ﷺ فطعن الناس في إمارته فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا

---

١ - رواه البخاري (٤٧٥٠).

٢ - رواه مسلم (١٢٨٠).

٣ - رواه مسلم (١٢٨٦).

لمن أحب الناس إلي بعده».[١]

وهذا غاية ما يكون في الإنصاف، والعدل مع المخطئ.[٢]

المثال الخامس: وهو قريب من المثال السابق، وهو ما جاء في الصحيحين عن جابر ابن عبدالله ﷺ قال: «كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلَّم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «يا معاذ! أفتان أنت! اقرأ بكذا، واقرأ بكذا».

وفي رواية: «يا معاذ! أفتان أنت ـ ثلاثاً ـ اقرأ: «والشمس وضحاها» و«سبح اسم ربك الأعلى، ونحوهما».

وفي رواية: «فتان، فتان، فتان» ثلاث مرار أو قال: «فاتناً، فاتناً، فاتناً»[٣].

فهذا حوار فيه شيء من الشدة والحزم الذي استدعاه المقام.

ومع ذلك لم ينس ـ عليه الصلاة والسلام ـ سابقةَ معاذٍ، ولا فضله، ولا علمه، ولم يكن ذلك وسيلة إلى الإعراض عنه، والزهد فيه، بل إن الأمر انتهى ساعة نهاية الحوار.

---

١ ـ البخاري (٤٤٦٩) ومسلم (٢٤٢٦).

٢ ـ مواقف الرسول ﷺ مع أسامة ﷺ تحتاج إلى تأمل، ودراسة، واستلهام للعبر؛ فهي جديرة بذلك، ولعل الله ييسر هذا الأمر.

٣ ـ البخاري (٧٠١ و ٥٠٧ و ٧١٠ و ٦١٠٦) ومسلم (٤٦٥).

وبعدها أقبل ـعليه الصلاة والسلامـ على معاذ، ولم يصرم حبال الودِّ معه، ولم يدع تخصيصه ببعض العلم، كما جاء في الصحيحين عن معاذ ﷺ قال: «كنت رِدْفَ النبي ﷺ على حمار يقال له: عُفَير فقال: يا معاذ هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس، قال: لا تبشرهم؛ فيتكلوا»[١].

فانظر إلى هذا العطف، وهذه المودة مع الإنكار والحزم في الحديث الأول.

بل إن خطأ معاذ في إطالة الصلاة لم يمنع النبي ﷺ من أن يرسله إلى اليمن قاضياً وحاكماً، ومفتياً كما في الصحيحين.[٢]

ولم يمنعه ـعليه الصلاة والسلامـ ذلك من أن يصرح لمعاذ ﷺ بالحب، فيقول: «يا معاذ إني والله لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣].

أين هذا العدل، وذلك التعامل الراقي من أناس لا يرعون أصول الحوار، ولا آدابه؛ فتراهم يصرمون، ويهجرون ـحال حوارهمـ لأدنى سبب، وأقل هفوة؛ إذ كثيراً ما تفسد ذات البين بين المتحاورين؛ حتى إن ذلك لَيَحْدُث بين الزملاء، والأصحاب.

---

١ ـ البخاري (٢٨٥٦ و ٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

٢ ـ انظر البخاري (١٤٥٨ و ١٤٩٦ و ٢٤٤٨) ومسلم (١٩).

٣ـ رواه أحمد ٢٤٤/٥ و ٢٤٥ و ٢٧٤، وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠١) والحاكم ٢٧٣/١ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (٧٥١).

فهذه نبذة عن عدل النبي ﷺ وإنصافه في الحوار، وإن سيرته لحافلة بالكثير من ذلك.

وتلك النبذة ترشد إلى ما ينبغي تجنبه من آفات الحوار، والتي يأتي على رأسها قلة الإنصاف؛ فقلة الإنصاف خصلة قبيحة، تنساق بصاحبها إلى دركات سحيقة، فتقوده إلى الظلم، والكبر، والتزيد، والاعتساف، وتَنْجَرُّ به إلى الصرم، والهجر، والقطيعة، قال الحكيم العربي:

ولم تـــزل قلـــةُ الإنـــصافِ قاطعـــةً ... بـــين الرجـــال وإن كـــانوا ذوي رحـــم

ثم إن قلة الإنصاف تسقط الاحترام من العيون والقلوب، وتحول بين الرجل وبين أن يزداد علماً وفضلاً، كما أنها تخذل العلم، وتطمس شيئاً من معالمه، كما أنها تُحدث فيه فساداً عريضاً.

فإذا لم ينصفك محاورُك، فَرَدَّ عليك الحقَّ بالشمال وباليمين، أو جحد جانباً من فضلك، أو تعامى عما معك من الحق وهو يراه رأيَ العين-فلا تُسايرْهُ في ذلك، ولا تكن قلة إنصافِه حاملةً لك على أن تقابله بالعناد، فتردَّ عليه حقّاً، أو تجحد له فضلاً؛ فاحترس من أن تسريَ لك من محاورك عدوى هذا الخلق الممقوت، فَيَلِجَ في نفسك، وينشطَ له لسانك، وأنت تحسبه من قبيل محاربة الخصوم بمثل سلاحهم.

كلا، لا يحارب الرجل خصومه بمثل اعتصامه بالفضيلة، ولاسيما فضيلةً كفضيلة الإنصاف؛ فهي تدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر في العواقب بعيد.[1]

ثم إن في سيرته -عليه الصلاة والسلام- في قبول الحق من أي أحد ولو كان خصماً -كما في قصة الحبر التي مضى ذكرها- إرشاداً، وتعليماً، ودرساً لكل

---

١ - انظر رسائل الإصلاح ١/٣٨-٤٧.

محاور يأمل في نجاح حواره، وتبليغ حجته، وهو أن يلزم الإنصاف، ويقبل الحق من كل أحد؛ لأن من أعظم آفات الحوار التي تنافي الإنصاف فيه ردَّ الحق؛ فمن المحاورين من يأنف من الرجوع إلى الحق بعدما يتبين له وجه الحقيقة الأبلج؛ إما خوفاً من سقوط منزلته، وإما لحسدٍ تنطوي عليه دخيلة نفسه، أو حذراً من تفوق الخصم، وحرصاً على الانفراد بخصال الحمد، أو متابعة للأصحاب، ومسايرة لمن هم على الشاكلة، أو لإرادة الإضلال، ومحاولة قتل الحق وطمس معالمه، أو غير ذلك من أسباب رد الحق، و الإصرار على الباطل.

وهذه الآفة نوع من العناد «والعناد قبيح، ويشتد هذا القبح بمقدار ظهور الحجة على الرأي الذي تحاول رَدَّه على صاحبه؛ فمتى كانت الحجة أظهر كان العناد أقبح.

والإنصاف جميل، ويكون جماله أوضح وأجلى حيث يكون في حجة الرأي الصائب شيء من الخفاء، وحيث يمكنك أن تَتَحَيَّزَ لرأيك، وتهيِّئ كثيراً من الأذهان لقبوله».[1]

كذلك قد تقول قولاً تراه صواباً، وقد تعمل عملاً تحسبه حسناً، فينقده آخرُ بميزان العلم الصحيح، ويريك أنك قد قلت خطأً، أو عملت سيئاً.

ففي مثل هذا المقام قد تجد في نفسك كراهةً للاعتراف بالخطأ في القول، أو الإساءة بالعمل.

فإن كنت على ذُكْرٍ في فضيلة الرجوع للحق، وعلى بَيِّنَةٍ من قبح الإصرار على الباطل-لم تلبث أن تكظم الكراهة، ولم تجد في نفسك حرجاً من أن تقول

---

١ - رسائل الإصلاح ١/٤٦.

للناس: إني أخطأت في قولي، وأسأت في عملي؛ فالأكابر الذين تأدبوا بأدب الإسلام، واقتدوا بسيرة خير الأنام لا يأنفون من الاعتراف بالخطأ إذا أخطأوا، ولا يتَلبَّثون في الرجوع إلى الحق ولو عظمت مناصبهم وعلت أقدارهم.

والراسخون في الفضيلة لا يبالون أن يكون رجوعهم عن الخطأ أمام من خالفهم وحده، أو بمحضر جمع كبير.[١]

«وقد ينقل التاريخ شذراتٍ من حوادث المنصفين لمن خالفهم في أمر، أو المعترفين لبعض خصومهم بفضيلة؛ فتهتز في نفوس قرائها عاطفةُ احترامٍ لمن أقر بالخطأ، أو اعترف لخصمه بخصلة حمد.

وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه في الرأي فأصاب.

وربما كان إكبارهم لمن شهد لخصمه بمكرمة فوق إكبارهم للشخص المشهود له بتلك المكرمة.

وسبب هذا الإكبار عظمةُ الإنصاف، وعزةُ مَنْ يأخذُ نفسه بها في كل حال».[٢]

ولو أخذت هذه الخصلة حظها من النفوس لعمّ الائتلاف، ولقلّ الاختلاف.

عن الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول: ما أورَدْتُ الحقَّ والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هِبْتُه، واعتقدت مَوَدّتَهُ، ولا كابرني على الحق أحد، ودافع الحجة إلا سقط من عيني».[٣]

«ونقرأ في تاريخ العلامة محمد بن عبدالسلام أن ابن الصباغ اعترض عليه في

١ـ انظر رسائل الإصلاح ١/٤٢ـ٤٥.

٢ـ رسائل الإصلاح ١/٤٦.

٣ـ صفة الصفوة ٢/١٦٧.

أربع عشرة مسألة، فلم يدافع عن واحدة منها، بل أقر بالخطأ فيها جميعاً».[١]

«ويقص علينا التاريخ أن في الأساتذة من يحرص على أن يرتقي تلاميذه في العلم إلى الذروة، ولا يجد في نفسه حرجاً من أن يظهر عليه أحدهم في بحث، أو محاورة.

يذكرون أن العلامة أبا عبدالله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه في أحسن صوره.

ويروى أن أبا عبدالله ـهذاـ كان قد تجاذب مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلام في مسألة، وطال البحث اعتراضاً وجواباً حتى ظهر أبو عبدالله على أستاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعباً:

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعدُه رماني»[٢]

وهكذا يتبين لنا جمالُ العدل، وروعةُ الإنصافِ، وكونُه أصلاً من أصول الحوار، وكونُ السيرةِ النبويةِ حافلةً به في كافة صوره.

وهذا المنهج النبوي الراشد في الحوار القائم على العدل ـ من أعظم ما يحفظ على الناس أقدارهم، ويحمي جامعتهم، ويعطي المخطئ الفرصة الكافية لمعالجة خطئه؛ فيفيد من ذلك الخطأ، ويزداد حنكة وتجربة؛ فيكون بذلك عضواً نافعاً بدلاً من كونه عضواً أشلَّ.

ولو كانت حواراته ـعليه الصلاة والسلامـ تتسم بالحِدِّية والإسقاط لما كان الصحابة على ذلك القدر من الجلالة، والعظمة، والحكمة، وحسن السياسة.

١ـ رسائل الإصلاح ١/٤٢.

٢ـ رسائل الإصلاح ١/٤٤.

الفصل الثاني

آداب الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وثلاثة مباحث:

- تمهيد
- المبحث الأول: إقباله ﷺ على محاوريه
- المبحث الثاني: رفعه ﷺ من شأن محاوريه
- المبحث الثالث: أخذه ﷺ بالرفق والإحسان وسعة الصدر حال الحوار

الفصل الثاني: آداب الحوار في السيرة النبوية

تمهيد

للحوار الناجح الراقي آداب لا بد منها، وللمحاور البارع المؤثر آداب يحسن أن يتحلى بها.

وتلك الآداب تكاد ترجع إلى إقبال المحاور على صاحبه، ورفعه من شأنه، وإحسانه إليه، وحذره مما ينافي ذلك.

فهذه الآداب المجملة، وما يندرج تحتها تمثل آداب الحوار، وما ينبغي أن يكون عليه المحاور.

ولقد كان النبيﷺ يأخذ بتلك الآداب في حواراته مع كافة الطبقات.

وهذا ما سيتبين في المباحث التالية.

المبحث الأول: إقباله ﷺ على محاوريه

الإقبال على المحاور من أعظم آداب الحوار وأهمها، ويتمثل ذلك بأمور كثيرة، يأتي على رأسها: التواضع للمحاور، وحسن الاستماع له، والإصغاء إليه، وترك مقاطعته، والبعد، والتشاغل عنه.

وهذه الآداب من جملة ما كان يأخذ به النبيﷺ في حواراته.

وفيما يلي بيان لتلك الآداب بشيء من البسط.

أولاً: تواضعه ﷺ لمحاوريه: فالتواضع للمحاور من أعظم آداب المحاور وأسباب نجاحه، والتعالي على المحاور، والاستخفاف به من أشد آفات الحوار وأسباب إخفاقه؛ فمن الناس من إذا حاور غيره تعالى عليه، وأزرى به، وربما أشعره ـولو من طرف خفيـ أنه أعلى منه رتبة، وأرفع مقاماً.

والتعالي على الآخرين دليل السفه، وآية نقص العقل، وإلا فالكريم العاقل يرفع من شأن الآخرين، ولا يترفع أو يتعالى عليهم.

قال ابن المقفع: «تَحَفَّظْ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطِبْ نفساً عن كثيرٍ مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً؛ لئلا يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم».[1]

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله: «واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه من جميع الطبقات، وازدرائه، والاستهزاء به قولاً، أو فعلاً، أو إشارةً أو تصريحاً، أو تعريضاً؛ فإن فيه ثلاثةَ محاذير:

١ـ الأدب الصغير والأدب الكبير ص١٣٤.

أحدها: التحريم، والإثم على فاعل ذلك.

الثاني: دلالته على حمق صاحبه، وسفاهة عقله، وجهله.

الثالث: أنه باب من أبواب إثارة الشر، والضرر على نفسه».[١]

ولقد كان النبيﷺ متجافياً عن هذا الخلق الذميم، بل كان إمام الخاشعين المتواضعين للحق وللخلق.

وجميع حواراته شاهدة بالتواضع، وترك الترفع.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها ما يلي:

١ـ ما جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالكﷺ قال: «إن كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لَتَأْخُذُ بيد رسول اللهﷺ فتنطلق به حيث شاءت».[٢]

فهذا الفعل من نبي الأمة وإمامها غاية في التواضع وخفض الجناح.[٣]

ولك أن تتصور ما يدور في ذلك الحوار؛ إذ إن اهتمامات تلك الأَمَةِ لا يمكن أن ترتقي بحال إلى أن تتجاوز كلمة قيلت في حقها، أو سؤالاً ربما أقلقها وهو لا يحتل كبير شأن.

ومع ذلك يتواضع لها هذا النبي الأكرم ـعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمـ.

يقول ابن حجرﷺ في تعليقه على الحديث: «وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع؛ لِذِكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة.

وحيث عَمَّم بلفظ «الإماء» أي أمة كانت، وبقوله: «حيث شاءت» أي من

١ـ الرياض الناضرة ص٤١٩.

٢ـ البخاري (٦٠٧٢).

٣ـ انظر الحوار آدابه وضوابطه ليحيى زمزمي ص ١٦٥.

الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، ولو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست في مساعدتها في تلك الحاجة المساعد على ذلك.

وهذا دال على مزيد تواضعه، وبراءته من جميع أنواع الكبر».[١]

٢ـ **ما أخرجه مسلم عن أنس** ﷺ أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجةً، فقال: «يا أم فلان انظري إلى أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها».[٢]

ولسائل أن يقول: ماذا تريد تلك المرأة؟.

وما مدى اهتماماتها؟ وهل عند النبي ﷺ فراغ حتى يصرفه في محادثة تلك المرأة التي في عقلها شيء؟

هذه أسئلة قد تدور في ذهن من لا يدرك تلك النفس الواسعة، وذلك القلب الكبير الذي وسع الناس بحلمه وكرمه، فكان لصغار الأمور وكبارها.

وفي ذلك درس لمن يأنف من محادثة تلك الطائفة من الناس من ذوي المدارك الصغيرة؛ فيفوته بذلك بركةُ التأسي، ويُحرَمُ الرحمةَ والنصر اللذين يُستَجلبان بسبب أولئك الضعفاء.

٣ـ **ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة** قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب قال: فقلت: يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه.

١ـ فتح الباري ١ / ٤٩٠.

٢ـ مسلم (٢٣٢٦).

قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فَأُتِيَ بكرسي حَسِبْتُ قوائمَهُ حديداً.

قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى إلى خطبته، فأتم آخرها».[١]

فانظر إلى هذا الإقبال، وذاك التواضع؛ حيث ترك خطبته، وجعل يجيب ذلك السائل مع أنه غريب؛ فأي تواضع أعظم من ذلك؟!

قال النووي رحمه الله معلقاً على ذلك: «فيه استحباب تلطف السائل في عبارته، وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم».[٢]

فهذا حاله -عليه الصلاة والسلام- في حواراته؛ وتلك شمائله وأخلاقه؛ فأجدر بأتباعه أن يجعلوا هذا الأدب مَعْلَماً لهم في حياتهم، وسمة بارزة في حواراتهم؛ ليفتحوا بذلك قلوبَ محاوريهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وإرشادهم؛ إذ المحاور الذي يأمل هداية الخلق أجدرُ الناس بالبعد عن الكبر بشتى صوره؛ فإن الكبر من أعظم ما يصد عن الحق؛ فالطرف الآخر إذا رأى من محاوره ازدراءً أو تعالياً بالقول أو الفعل - نفر منه، وكره ما عنده من الحق؛ لأن النفوس جبلت على محبة المتواضعين، وكراهية المتكبرين.[٣]

وسيأتي مزيد بيان لذلك في مباحث آتية.

ثانياً: إصغاؤه ﷺ وحسن استماعه لمحاوريه: فالإصغاء للمتحدث، وحسن

١- مسلم (٨٧٦).

٢- صحيح مسلم بشرح النووي ٦ / ١٦٥.

٣- انظر الحوار للزمزمي ص ١٦٨.

الاستماع للمحاور من أعظم آداب الحوار، ومن أكثر ما يَتَحَدَّثُ عنه مَنْ يتكلم في الحوار أو يُؤَلِّف فيه؛ فلا تكاد تجد مُؤلفاً في الحوار أو أدب الحديث إلا ويذكر في مقدمة آدابِه الإصغاءَ، وحسنَ الاستماع سواء كان ذلك من المتقدمين أو المتأخرين، ولا تكاد تجد من يتحدث عن آفات الحوار، أو المحادثة إلا وتجد ذَمَّ مَنْ لا يصغي لمحاوره أو محدثه، إما بمقاطعته، أو منازعته الحديث، أو بالتشاغل عنه، أو متابعة متحدث آخر، أو إجالة النظر يمنة ويسرة إلى غير ذلك مما ينافي أدب الحديث والحوار.

ولهذا تتابعت الوصايا في الحث على أن يحسن الإنسانُ الأدبَ مع محاوره، ومن يَتَقَصَّدُه بالحديث؛ فمن أدب المروءة حسن إصغاء الرجل لمن يحدثه؛ فإن إقباله على محدثه بالإصغاء إليه يدل على ارتياحه لمجالسته، وأنسه بحديثه.[١]

بل إن المتحدث البارع هو المستمع البارع، وبراعة الاستماع تكون بالأذن، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه.[٢]

قال ابن عباس ـرضي الله عنهماـ: «لجليسي عليَّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له في المجلس إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث».[٣]

وقال عمرو بن العاص ﷺ: «ثلاثة لا أَمَلُّهم: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رجلي».[٤]

١ـ انظر رسائل الإصلاح ١/٢١٢.

٢ـ انظر كيف تحاور د.طارق الحبيب ص٢١.

٣ـ عيون الأخبار ١/٣٠٦.

٤ـ عيون الأخبار ١/٣٠٧.

وقال سعيد بن العاص: «لجليسي عليَّ ثلاث: إذا أقبل وسَّعْتُ له، وإذا جلس أقبلت إليه، وإذا حَدَّثَ سمعتُ منه».[١]

وقال الحسن: «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتَعَلَّمْ حسن الاستماع كما تَعَلَّمُ حسن القول، ولاتقطع على أحد حديثه».[٢]

وقال أبو عباد: «للمحدِّث على جليسه السامع لحديثه أن يجمع له باله، ويصغي إلى حديثه، ويكتم عليه سره، ويبسط له عذره».[٣]

«وذكر رَجلٌ عبدَالملك بن مروان فقال: إنه آخذ بأربع، تارك لأربع: آخذ بأحسن الحديث إذا حَدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن البشر إذا لُقي، وبأيسر المؤونة إذا خولف.

وكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه، ومصاحبة المأبون[٤]».[٥]

«وذكر الشعبيُّ قوماً، فقال: مارأيت مثلهم أشدَّ تناوباً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدث».[٦]

ولقد كان النبيﷺ أحسن الناس إصغاءً وحسنَ استماعٍ لمحاوريه؛ ولا تجد في

١ـ المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي، انتقاء أبي الطاهر السلفي ص٥٤.

٢ـ المنتقى من مكارم الأخلاق ص١٥٥.

٣ـ زهر الآداب للحصري القيرواني ١/١٩٥.

٤ـ المأبون: المتهم بالسوء والذي يرمى بالقبيح.

٥ـ عيون الأخبار ١/٣٠٧.

٦ـ عيون الأخبار ١/٣٠٨.

محاوراته شيئاً مما ينافي ذلك الأدب.

بل لقد وصفه ربه -جل وعلا- بأحسن وصف من هذه الناحية؛ فقال -عز وجل- عن نبيه حين أراه ما أراه عندما عُرج به إلى السماء، وكلمه ربه: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (النجم: ١٧).

قال ابن القيم رحمه الله: «إن هذا وصفٌ لأدبه ﷺ في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت جانباً، ولا تجاوز ما رآه، وهذا من كمال الأدب.

والإخلالُ به أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام المنظور؛ فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان ومجاوزة؛ فكمال إقبال الناظر على المنظور ألا يصرف بصره عنه يمنة ولا يسرة، ولا يتجاوزه.

هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-».[1]

إلى أن قال ابن القيم رحمه الله: «وفي هذه الآية أسرار عجيبة، وهي من غوامض الأدب اللائقة بأكمل البشر ﷺ.

تواطأ هناك بصره وبصيرته، وتوافقاً، وتصادقاً فيما شاهده بصره؛ فالبصيرة مواطئة له، وما شاهَدَتْهُ بصيرتُه فهو - أيضاً - حق مشهودٌ بالبصر؛ فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة.

ولهذا قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ النجم.

أي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره».

إلى أن قال: «وهذا غاية الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه؛ فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عالٍ رفيع أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه وفوْقَه؛

---

١ - مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٦١.

ألا ترى أن موسىﷺ لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية؟

ونبينا ﷺ لما أقيم في ذلك المقام وفّاه حقه؛ لم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير مايقيم فيه البتة».[1]

فهذا حاله -عليه الصلاة والسلام- مع ربه لما عرج به إلى السماء، وهذا وصف ربه -جل وعلا- له.

وأما أدبه مع الناس في حال محاورتهم - فكان السماءَ التي لا تطاولها سماء؛ من جهة كمال الأدب، وحسن الإنصات، والإصغاء.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد مضى شيء منها، وسيأتي مزيد لها في الفقرة التالية وغيرها من فصول هذا البحث.

ثالثاً: إعطاؤهﷺ محاورَه الفرصة الكافية: وهذا أدبٌ راقٍ، وعامل من أعظم عوامل نجاح الحوار.

وإن التفريط به لآفةٌ من آفات الحوار؛ فمن الناس من إذا سمع متحدثاً يتحدث في مجلس، وبدر من ذلك المتحدثِ خطأٌ يسيرٌ أو نحو ذلك-سفَّهه، وبكّته، واستخف بحديثه دون أن يسمع بقية كلامه، أو يعطيه فرصة لإبداء وجهته.

ومن هذا القبيل ما يوجد عند بعض الناس؛ فما إن يتكلم أحد في مجلس إلا وتبدأ بينهم النظرات المريبة، التي تحمل استخفافاً وسخرية بالمتحدث.

وهذا الصنيع لا يحسن أبداً، وليس من صفات عظماء الرجال وأكابرهم؛ فهم يُجلّون من يحاورهم ويحدثهم، ولا يرضون بإهانته في حضرتهم طالما أنه لم يَحِدْ

---

١ - مدارج السالكين ٢/٣٦٢.

عن الرشد، حتى ولو أخطأ؛ فإنهم يتغاضون عن خطئه، ويتعامون عن زَلَّتِه.

وإذا ما كان الخطأ كبيراً فإنهم يبينون الخطأ، ويرشدون إلى الصواب بأجمل عبارة، وألطف إشارة.

ومن مظاهر قلة إعطاء الفرصة الكافية للمحاور ما تجده من بعض الناس؛ فتراه إذا تحدث أحد أمامه بحديث، أو قصة، أو خبر، وكان يعلم ذلك من قبل - بادر إلى إكمال ذلك عن المتحدث، إما بقصد الإساءة إليه، أو لإشعاره وإشعار السامعين بأن حديثه معاد مكرور، أو ليبين أنه يعلم ذلك من قبل[١].

وهذا ليس من صفات ذي المروءة؛ إذ المروءة تقتضي الإنصاتَ للمتحدث ولو كنت تعلم حديثه من قبل، وإلى هذا المعنى الجميل يشير أبو تمام بقوله:

من لي بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلمُ ردَّ جوابه

وتراه يصغي للحديث بسمعه ... وبقلبه ولعله أدرى به[٢]

ومن مظاهر عدم إعطاء الفرصةِ القيامُ من المتحدث قبل أن يكمل حديثه؛ فهذا من قلة الأدب، ومما ينافي إكرام الجليس، فلا يسوغ للمرء أن يقوم عن المتحدث قبل أن يكمل حديثه؛ لما في ذلك من استجلاب الضغينة، واحتقار المتحدِّث إلا إذا احتاج السامع للقيام، واستأذن من محدِّثه-فهنا ينتفي المحذور.

قال أبو مجلز: «إذا جلس إليك رجل يَتَعَمَّدُك فلا تقم حتى تستأذنه».[٣]

١- انظر روضة العقلاء ص٧٢، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١٤٤/٢، وبهجة المجالس ٤٣/١، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص١٥٦-١٥٧، والرياض الناضرة لابن سعدي ص٥٤٨.

٢- شرح ديوان أبي تمام ص٣٠.

٣- المنتقى من مكارم الأخلاق ص١٥٣.

وقال أسماء بن خارجة: «ما جلس إليَّ رجل إلا رأيت له الفضل عليَّ حتى يقوم عني».[١]

ومن مظاهر عدم إعطاء الفرصة المبادرة إلى تكذيب المحاور؛ فمن الناس من إذا طَرَقَ سَمْعَهُ من مُحَاوره كلامٌ غريبٌ - بادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، إما تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارةً باليد أو العين، أو أن يهمز من بجانبه؛ ليشعره بأن المتحدِّث كاذب.

فهذا العمل من العجلة المذمومة، ومن إساءة الظن بمن يتحدّث، وهو مما ينافي كمال الأدب والمروءة.

فينبغي لمن استمع حديثاً من أحد ألا يبادر إلى تكذيبه، بل عليه أن يُنصت له، وإن رأى في هذا الحديث وجهَ غرابةٍ فلا يستعجل الحكمَ عليه بالكذب، بل يستفصل من المتحدِّث، لعله يُبين له وجهته وأدلته.

ثم إن تأكد من كذبه فلينصح له على انفراد؛ لئلا يعاود الكذب مرةً أخرى.

فإن عاد إليه، واقتضت المصلحة أن يُبيَّن كذبه-فلا بأس حينئذ من ذلك؛ حتى يرتدع من تلك الخصلة الذميمة.

فهذه بعض المظاهر لعدم إعطاء المحاورِ الفرصةَ الكافية، مما يجعل أكثر الحوارات لا تجدي نفعاً، ولا تعود بعائدة.

أما حوارات النبيﷺ فكانت أعظم مثال لذلك الأدب، وهو حسن الإنصات، وإعطاء المحاور الفرصة الكافية.

---

١ - المنتقى من مكارم الأخلاق ص١٥٣.

وإليك هذا المثال من السيرة النبوية الشريفة، وهو مثال عظيم يشتمل على دروس كثيرة في أدب الحوار؛ فقد حكى محمد بن كعب القرظي قائلاً: حدثت أن عتبة بن ربيعة ـوكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريشٍ ورسولُ اللهﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا ـوذلك حين أسلم حمزةرضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول اللهﷺ يزيدون، ويكثرون ـ.

فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة؛ حتى جلس إلى رسول اللهﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعِبْتَ به آلهتَهم، ودينَهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول اللهﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع».

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا؛ حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا؛ حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلْكاً مَلَّكْناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً[2] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيه أموالنا؛ حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع[3] على الرجل، حتى يُداوى منه،

---

١ ـ السطة: المكانة والمنزلة.

٢ ـ يعني بالرَّئي: مَنْ يُخْبِرُ، ويوحي إليه من الجن.

٣ ـ يعني به التابع من الجن.

أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني» قال: أَفْعَلُ، قال: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ (فصلت) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها، وهو يقرؤها عليه.

فلما سمع عتبةُ أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد، قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني، واجعلوها لي خَلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه؛ فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ؛ فإن تُصِبْهُ العربُ فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهرْ على العرب فَمُلْكُه ملككُم، وعزُّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك ـ والله ـ يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

ففي هذه القصة دروس عظيمة، وأصول نافعة، وآداب جليلة في باب

---

١ ـ انظر سيرة ابن إسحاق ١٨٧/٤ـ١٨٨، والسيرة النبوية لابن هشام ١٣٠/٢ ـ ١٣١، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٠٤/٢ ـ ٢٠٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٦٣/٣ـ٦٤.

الحوار، ولو استرسل الحديث في شأنها لطال المقام.

والذي يعنينا في هذا الصدد، أن الرسول الكريمﷺ أحسن الاستماع لعتبة، وقال له: «قل يا أبا الوليد أسمع».

وظل عتبة بن ربيعة يتكلم بلغة المتعالي بهذا الكلام المتهافت الذي يثير الغضب، والذي حَشْوُه التهم الباطلة، والاحتمالات السخيفة التي لو وجهت لأحد من الناس لثارت ثوائره ـوحق لهـ ولم يسمح لمن واجهه بها أن يكمل حديثه.

ومع ذلك ظل النبيﷺ منصتاً طيلة الحديث، ويسمع بغاية الاهتمام دون مقاطعة، أو إسكات لعتبة، أو احتقار أو تكذيب له، أو قيام عنه.

ولم يكتف ـعليه الصلاة والسلامـ بذلك، وإنما قال له بعد أن فرغ عتبة من حديثه: «أو قد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم.

وهنا تلحظ الأدب النبوي العظيم؛ فلم يبدأ ـعليه الصلاة والسلامـ حديثه بمجرد سكوت عتبة، وإنما سأله حتى يطمئن إلى أنه قد أفرغ ما في جَعْبته، وأنه قد أخذ فرصته كاملة؛ فلربما يكون قد نسي شيئاً، أو غفل عنه.

فلما استيقن ـعليه الصلاة والسلامـ من فراغه مما لديه ـ بدأ التلاوة.

وهذا قمة الأدب، وغاية الذوق؛ حيث هيأ الطرف الآخر للاستماع.

ثم لما انتهى سجد، وقال لعتبة: «قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك».

أي أنت وما تختاره؛ فلم يَفْرض عليه أمراً معيناً، وإنما وكله إلى عقله.

فماذا كان من عتبة لما قوبل بهذا الأدب الجميل، وسمع النبيﷺ يُكنِّيه في أول الحوار وآخره بهذا الخطاب الراقي «يا أبا الوليد»؟

ولا شك أن مناداة الإنسان بكنيته معنى محبب للنفس؛ لما فيه من التقرب، والتآلف، والإشعار بالرضا؛ فماذا كان من عتبة؟

لقد أثرت فيه تلك المعاملة، وتسلل ذلك الخطاب العالي إلى سويداء قلبه؛ فرجع إلى قومه متثاقل الخطى، متأثراً بما سمع؛ فقرأ أصحابه التَغَيُّر في قسمات وجهه؛ فجاء إليهم، وقال لهم ما قال، وصار يدعوهم إلى الحياد في شأنه؛ فإن ظهر وعز فذلك له ولقومه، وإن ظهر عليه العرب فقد كفي قومُه حربه؛ لذلك قال له قومه: «لقد سحرك يا أبا الوليد».

فهذا الموقف العظيم يحمل في طياته دروساً وعبراً وهي أن يحسن المحاور الاستماع، ويصبر على صاحبه، ثم يجيب بلغة الواثق الهادئ، لا المتزعزع المتضعضع المضطرب.[1]

وليس هذا هو المثال الوحيد؛ بل هو قطرة من بحر، وسيأتي قريباً من ذلك موقفه -عليه الصلاة والسلام- مع زعيم المنافقين عبدالله بن أُبي بن أبي سلول، ومع غيره من محاوريه.

---

١ - انظر في أصول الحوار ١٥-١٦ ومع المصطفى د.سلمان العودة ص٢٧١-٢٧٥.

المبحث الثاني: رفعه ﷺ من شأن محاوريه

فمن آداب الحوار، وأسباب رقيه، وجعله نافعاً مؤدياً للغرض ـ رفع الإنسان من شأن محاوريه.

ويتمثل ذلك الأدب العظيم بأمور منها: إنزال المحاورين منازلهم، والتسليم لهم، والأخذ بآرائهم إذا أصابوا المرمى.

ويتمثل ـأيضاًـ بالاستماع إلى شبهاتهم، واستنباط آرائهم، إلى غير ذلك مما سيأتي تفصيله.

ولقد كان ـعليه الصلاة والسلامـ متمثلاً ذلك الأدب، آخذاً به على أحسن ما يكون، وفيما يلي بيان لذلك:

١ ـ **إنزاله ﷺ المحاوَرين منازلهم:** فذلك من أعظم آداب الحوار، ومن أنجع الأساليب التي ترقى به؛ فيجمل بالمحاور أن يعطي كلَّ مَنْ يحاوره منزلته اللائقة به من الإجلال، والإكرام؛ فذلك أدعى لقبول الحق، والإذعان إليه.

وذلك الأدب أدب نبوي؛ فقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة ـرضي الله عنهاـ أنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»[1].

فمن إنزال المحاور منزلته أمور منها:

أـ التعرف على أسماء المحاورين: إذ يحسن بالمحاور أن يتعرف على من يحاوره فرداً كان أو مجموعة.

ولقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعنى بهذا الأمر عناية بالغة، فكان يسأل

---

١ ـ مقدمة صحيح مسلم ص٢٠.

عن اسم الغريب إذا وفد إليه، أو التقى به.

ومن شواهد ذلك ما جاء في حديث وفد عبدالقيس لما وفدوا على النبيﷺ فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبيﷺ قال: «من القوم، أو من الوفد؟» قالوا: ربيعة، قال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى»[١].

وكان سبب استفساره هو الرغبة في التعرف عليهم؛ لينزلهم منازلهم، ويتحدث معهم مراعياً أحوالهم[٢].

قال ابن أبي جمرةرحمه الله تعليقاً على الحديث: «فيه دليل استحباب سؤال القاصد عن نفسه؛ لِيُعْرَفَ؛ فيُنْزَل منزلته»[٣].

ب- مخاطبة المحاور بما يحب أن ينادى به: فيجمل بالمحاور ألا يخاطبَ محاوره إلا باسمه الذي يحبه مقروناً بتبجيله، وإن كَنَّاه أو ناداه بلقب يَسُرُّه فحسن جميل.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب النبيﷺ لهرقل يدعوه إلى الإسلام؛ فقد جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عباس ـرضي الله عنهماـ في حديث أبي سفيانرضي الله عنه الطويل، وفيه «ثم دعا ـأي هرقلـ بكتاب رسول اللهﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بُصرى؛ فدفعه إلى هرقل فقرأه؛ فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛

١ـ البخاري (٥٣).

٢ـ انظر: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة د. فضل إلهي ص٣٩.

٣ـ فتح الباري لابن حجر ١/١٣١.

فإن توليت فإن عليك إثم الأَريسيِّين[١]، و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِر أَمْرُ ابنِ أبي كبشة[٢]؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر؛ حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيلياء، وهرقل سُقُفّاً على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة، قالوا ليس يختتن إلا اليهود؛ فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

---

١ ـ الأريسيين: جمع أريسي، وهو الفلاح، والمراد بهم أهل مملكته من الضعفاء، والأتباع. انظر فتح الباري لابن حجر ١/٥١ـ٥٢.

٢ ـ يعني به النبيﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده لأمه، وكان من عادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض. انظر الفتح ١/٥٣.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبيﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت؛ فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل»[1].

فانظر كيف كان أثر ذلك الخطاب الجميل من رسول الله -عليه الصلاة والسلام- إلى هرقل، ذلك الخطاب الذي فيه تنزيل هرقل منزلته، ومخاطبته خطاباً يليق به حيث كناه بعظيم الروم؛ فكاد هرقل أن يسلم لولا أنه وجد الممانعة، والمدافعة من أصحابه؛ فآثر الملك، والحياة الدنيا، فكان ذلك آخر شأنه.

ومن ذلك ما جاء في قصة محاورة النبيﷺ لعتبة بن ربيعة؛ حيث قال له ﷺ في بداية الحوار «قل يا أبا الوليد أسمع»[2].

وقوله في نهاية حديث عتبة: «أفرغت يا أبا الوليد».

وقد مر الحديث عن ذلك في فقرة ماضية، وبيانُ أن تكنية الرجل أمْرٌ محبب إلى

---

١ ـ البخاري (٧).

٢ ـ مضى تخريجه ص٩٥.

النفوس، ومقرِّب لها، وأنه إشعار بالهدوء، والرضا، والطمأنينة، والبعد عن الهياج، والغضب والكبر، وازدراء المحاور؛ إذ إن من آفات الحوار تجاهل المحاور اسم محاوره كأن يقول المرء بين الفينة والأخرى لمحاوره: يا فلان بغير اسمه تجاهلاً له، أو أن يناديه بلقب يكرهه، أو يغمطه حقه وقدره الذي يستحقه، ويحب أن يُنادى به من الألقاب التي يُعرف بها، أو أن يكثر المحاور من مناداة محاوره بضمير المخاطب خصوصاً إذا كان في غير محله أو كان سبباً لاستثارة محاوره، كأن يقول: أنتَ، أو قلتَ، أو تكلمتَ، أو أخطأت.

ولا ريب أن تجنب ذلك راجع لذوق المحاور، وألمعيته، ومعرفته بطبائع النفوس.

ومن ذا يجاري النبيﷺ في ذلك المضمار أو يقاربه؟

ج- **معرفة مستوى المحاوَر**: فذلك من إنزال الناس منازلهم؛ فالناس تتفاوت عقولهم وأفهامهم، وثقافاتهم؛ فمن الحكمة وحسن السياسة في الحوار أن يخاطب كل أناس بما يعرفون، وأن يُتحامى مخاطبةُ أحدٍ بما لا يتحمله عقله؛ فالأدلة التي قد تصلح لأحد من الناس قد لا تصلح لغيره، وطريقة المحاورة التي يتقبلها فلان من الناس قد لا يتقبلها غيره.

والمحاور الفطن يعرف محاورَه، ويدرك الطريقة التي ينبغي له أن يحاوره بها.[1]

وبذلك يتجنب كلَّ مَا مِنْ شأنه أن يَغُضَّ من قدر صاحبه، أو ينزله منزلة غير منزلته؛ لذا كان لزاماً على المحاور أن يعرف درجةَ محاوره في العلم، والفهم حتى يخاطبه الخطاب اللائق به؛ فإن خطاب الكبير غير خطاب الصغير، وخطاب

---

١ ـ انظر في أصول الحوار ص٣٥.

العالم غير خطاب الجاهل، وخطاب ذي المكانة غير خطاب من دونه وهكذا؛ فمراعاة تلك الأحوال مفيد أيما فائدة في الحوار.

وعلى هذا النحو كان تسير حوارات النبيﷺ.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ولعل من أجلاها ما جاء في حديث بعث معاذﷺ إلى اليمن وقد مضى ذكره في فقرة سابقة.

والشاهد ههنا أن النبيﷺ أرشده إلى أنه سيأتي قوماً أهل كتاب.

وذلك لأجل أن يستعد لهم الاستعداد الكافي، وينزلهم في خطابه منزلتهم اللائقة بهم؛ فلا يغض من شأنهم، ولا يهبط في حواره معهم.

قال ابن حجر رحمه الله مبيناً تلك الوصية: «هي كالتوطئة للوصية؛ لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة؛ فلا تكون العناية بمخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»[1].

د- التنويع في الإجابة رغم اتحاد السؤال: فمما يتجلى به مراعاته -عليه الصلاة والسلام- لإنزال الناس منازلهم حال الحوار أنه كان يجيب عن سؤال واحد بأجوبة مختلفة بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله».

قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

١- فتح الباري ٣/٣٥٨.

٢- انظر: من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين ص٥٨.

قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[١].

وسأله عبدالله بن مسعود ﷺ السؤال نفسه بقوله: «أي العمل أفضل؟» وفي رواية أخرى سأله بقوله: «أي الأعمال أحب إلى الله؟».

فقال: «الصلاة لوقتها».

قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين».

قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، والمقصود ههنا التمثيل لا الحصر.

هـ: تخصيص بعض الصحابة ببعض الأخبار دون الآخرين: فذلك داخل ضمن إنزال الناس منازلهم، كما في قوله ﷺ لمعاذ ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به دخل الجنة».

قال: ألا أبشر الناس؟ قال: «لا؛ إني أخاف أن يتكلوا»[٣].

فأخبر معاذاً بأمر، ومنعه من نقله إلى غيره؛ كراهية ألا يفهم المنقولُ إليه ـ كما يقول الإمام البخاري ـ في ترجمته للحديث[٤].

وقال العيني رحمه الله في شرح الحديث: «فيه أنه يجب أن يخص بالعلم قوم فيهم الضبط، وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة، ومن يُخاف عليه الترخصُ، والاتكال؛ لتقصير فهمه»[٥].

١ـ البخاري (٢٦).

٢ـ رواه مسلم (٨٥).

٣ـ٤ـ البخاري (١٢٩).

٥ـ عمدة القاري ٢/٢٠٨.

٢ـ التسليم للمحاور: وذلك إذا أبدى رأياً، فأصاب المرمى؛ حيث يؤخذ برأيه، ويصار إليه؛ فذلك من أعظم ما يرفع من شأن المحاورين، ويشعرهم بقيمتهم.

والشواهد على ذلك من السيرة النبوية كثيرة، ومن أحسن ما يمثل هذا الأدب الجميل ما جاء في خبر مشورة الحباب بن المنذرﷺ في غزوة بدر، ومما جاء في ذلك الخبر أن الله ـعز وجلـ بعث السماء، فأصاب رسولَ اللهﷺ والمسلمين ماءٌ لبَّدَ لهم الأرض، وأصاب قريشاً ماءٌ لم يقدروا أن يرتحلوا معه، ثم رحل رسول اللهﷺ بالمسلمين، وقال لهم: «سيروا على بركة الله؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين؛ فكأني أنظر إلى مصارع القوم».

ثم مضى يبادر قريشاً إلى الماء إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به.

فجاء الحباب بن المنذر بن الجموح أحد بني سلمة إلى رسول اللهﷺ فقال: أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟

أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال: يا رسول الله؛ فإن هذا ليس بمنزل؛ فانهض حتى نأتي أقرب قليب القوم، ثم نُغَوِّر ما سواه من القُلُب، ثم نبني حوضاً؛ فنملأه، ثم نقاتل، فنشرب، ولا يشربون.

فقال رسول اللهﷺ: «قد أشرت بالرأي».

ثم أمر بإنفاذه؛ فلم يجئ نصفُ الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب، وامتلكوا مواقع الماء.[1]

---

١ ـ رواه ابن هشام ٣٦٦/٢ عن ابن إسحاق قال: «فحدثت عن الرجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب...».

وقال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي ص٢٤٠: «وهذا سند ضعيف؛ لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة، وقد وصله الحاكم ٢٦/٣ـ٢٧».

ففي هذه القصة أدب نبوي عظيم من آداب الحوار؛ حيث استمع النبيﷺ إلى مبادرة الحباب، وفيه أدب الحباب مع الوحي؛ حيث سأل هل هذا من قبيل الوحي والنص الذي لا اجتهاد معه؟

أو هو من قبيل الرأي القابل للأخذ، والرد، والمداولة؟

ولما تيقن الحباب أنه من قبيل الرأي أبدى رأيه بكل صراحة وأدب.

ولما رأى النبيﷺ وجاهة رأي الحباب قَبِلَه، وعَدَلَ عما كان مقبلاً عليه.

وفي هذا رفعة لشأن الحباب، وإشادة برجاحة رأيه، ونفاذ بصيرته.

وقد وقع ذلك موقعه من الحباب؛ فصار ذلك من مفاخِرِه التي يتحدث بها؛ فقد روى الحاكم في المستدرك أن الحباب بن المنذر قال: «أشرت على رسول اللهﷺ يوم بدر بخصلتين فقبلهما مني؛ خرجت مع رسول اللهﷺ في غزاة بدر، فعسكر خلف الماء، فقلت: يا رسول الله! أبوحي أو برأي؟

قال: «برأي يا حباب».

قلت: فإن الرأي أن تجعل الماء خلفك؛ فإن لجأت لجأت إليه؛ فقبل ذلك مني»[1].

ومما يحسن التنبيه عليه أن الرجوع عن الرأي إذا كان الحقُ في خلافه، أو العدول عنه إلى رأي خير منه ـ لا ينافي الثبات على المبدأ؛ إذ إن الذي ينافي ذلك: التنازلُ عن المبدأ الثابت، وذلك من آفات الحوار، ومما يتنافى والحزمَ.

ولكن ليس معنى ذلك أن يصر المرء على لجاجه وعناده بعد أن يتبين له الحق، بل الحكمة والعدل أن يرجع عن رأيه وقوله إذا لاح له وجه الصواب.

---

١ ـ المستدرك ٤٨٢/٣، وانظر جوامع السيرة لابن حزم ص٨٥.

وإنما المقصود أن يثبت على مبدئه، ولا يرجع عما عقد عليه قلبه إلا إذا تبين له خلاف ذلك بالبرهان الساطع، والدليل القاطع.

قال ابن حزم رحمه الله: «الثبات الذي هو صحة العقد، والثبات الذي هو اللجاج مشتبهان اشتباهاً لا يُفَرِّق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق.

والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه، وقد لاح له فساده، أو لم يَلُحْ له صوابه ولا فساده، وهذا مذموم، وضده الإنصاف.

وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق، أو على ما اعتقده المرء حقاً ما لم يَلُحْ له باطله، وهذا محمود، وضده الاضطراب.

وإنما يلام بعض هذين لأنه ضَيَّع تدبر ما ثبت عليه، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل».[1]

وقال العقاد: «العناد، والثبات على الرأي نقيضان؛ العناد إصرار بغير سبب، أو لسبب ظهر بطلانه.

والثبات إصرار على رأي يؤمن به صاحبه، ولم يظهر له ما يدعوه إلى التحول عنه».[2]

٣- **النظر في شبهات المحاورين، والإجابة عنها:** ففي ذلك إرضاء لهم، وتطييب لنفوسهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصحيحين عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أنه قام

---

١ ـ الأخلاق والسير ص٥٧.

٢ ـ أقوال مأثورة د. محمد لطفي الصباغ ص٢٠٠ عن آخر كلمات العقاد ص٣٩.

يوم صفين، فقال: «أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فجاء عمرُ فأتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا على حق، وهم على باطل؟ قال: «بلى» قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى» قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولّما يحكمِ الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً».

قال: فانطلق عمر، ولم يصبر متغيظاً، حتى أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ فقال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، قال: فنزل القرآن على محمد ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، قال: يا رسول الله أَوَ فَتْحٌ هو؟ قال: «نعم» فطابت نفسه، ورجع.[1]

٤ـ **استنباط آراء المحاورين، واستشارتهم:** فقد كان ـعليه الصلاة والسلامـ إذا مر به موقف يستدعي الاستشارة حاور أصحابه، واستخرج ما لديهم من آراء؛ استجابة لأمر ربه ـجل وعلاـ بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فقد أذن الله له بالاستشارة، وهو ـعليه الصلاة والسلامـ غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطييباً لنفوس أصحابه، وتقريراً لسنة المشاورة للأمة من بعده؛ إذ كان العرب من أشد الناس كراهةً للاستبداد، ونفوراً من الرئيس الذي لا

---

١ ـ البخاري (٣١٨٢ و ٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٥٨).

يجعل لهم في تصريف الأمور العامة نصيباً من الرأي.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قصة أسارى بدر، فقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟».

فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنوا العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟».

قال عمر: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكننا؛ فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل، فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيباً لعمر- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده.

فهويَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت.

فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

فقال رسول الله: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» -شجرة قريبة من نبي الله- وأنزل الله عز وجل-: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنفال).[1]

ففي هذه الحادثة وغيرها يقرر النبيﷺ في حواراته مبدأ الشورى؛ لما فيها من تقريب القلوب، وتخليص الحق من احتمالات الآراء، واستطلاع أفكار الرجال، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرآة صورة شخصه إذا استقبلها.

كما أن في استشاراته أصحابه زرعاً للثقة في نفوسهم، وأنه يراهم مَطْلَعَ الآراء السديدة، ومواطن الإخلاص.

وأي منزلة أرفع من منزلة قوم يَعرِضُ عليهم الأمرَ يستطلع آراءهم فيه، وهو الغني بما يأتيه من وحي السماء ـ كما مر ـ وبما رزقه الله من سمو الفكر وصفاء البصيرة؟

ولهذا صار أصحابه، وقادة الأمة الكبار من بعده يأخذون بسنة المشاورة؛ فكان أبو بكر الصديقرضي الله عنه من العلم بالشريعة والخبرة بوجوه السياسة في منزلة عَلِيَّة.

ومع هذا كان لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة.[2]

وهكذا كان عمررضي الله عنه في الشورى، قال شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله: «فكان عمر

---

١ ـ مسلم (١٧٦٣).

٢ ـ انظر الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين ص٢١، ومحمد رسول الله وخاتم النبيين ص١١٨ـ١٢٣، ومحمدﷺ المثل الكامل لمحمد أحمد جاد المولى ص١٨ـ٢٠.

يشاور في الأمور لعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى ولغيرهم، حتى كان يدخل ابن عباس معهم مع صغر سنه.

وهذا مما أمر الله به المؤمنين ومدحهم عليه بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: ٣٨).

ولهذا كان رأي عمر، وحكمه، وسياسته من أسدِّ الأمور، فما رؤي بعده مثله قط، ولا ظهر الإسلام وانتشر، وعزَّ كظهوره، وانتشاره، وعِزِّه في زمنه.

وهو الذي كسر كسرى، وقصر قيصر، والروم والفرس، وكان أميره الكبير على الجيش الشامي أبا عبيدة، وعلى الجيش العراقي سعد بن أبي وقاص، ولم يكن لأحدٍ ـ بعد أبي بكر ـ مثل خلفائه ونوابه وعماله وجنده وأهل شوراه»[1].

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً عنوانه: (باب قوله ـتعالى ـ: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ و ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾

وقد قرر فيه مبدأ الشورى في حوارات النبي ﷺ والأئمة من بعده.

قال رحمه الله: «وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج فلما لبس لأْمته، وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأْمَتَهُ فيضعها حتى يحكم الله».

وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة، فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكم بما أمره الله.

وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة؛

١ـ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥٨/٨.

ليأخذوا بأسهلها فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره؛ اقتداءً بالنبيﷺ.

ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللهﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»؟

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول اللهﷺ، ثم تابعه بعدُ عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة؛ إذ كان عنده حكم رسول اللهﷺ في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين وأحكامه».[1]

وهكذا يتجلى لنا من خلال السيرة النبوية ذلك الأدب العظيم في حوارات النبيﷺ ألا وهو رفعه ﷺ من شأن محاوريه.

---

١ ـ صحيح البخاري كتاب الاعتصام ٩٦ باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ص١٤٠٤.

المبحث الثالث: أخذه ﷺ بالرفق والإحسان وسعة الصدر حال الحوار

فالمحاور محتاج لتلك الصفات الحميدة، والأخلاق العالية التي تضفي على حواره السكينة، والهدوء، وتجعله يؤتي أكله أضعافاً مضاعفة.

ولقد كان نبينا -عليه الصلاة والسلام- آخذاً بتلك الآداب في حواراته مع كافة الطبقات، وفيما يلي إيضاح لما أجمل من معاني الرفق والإحسان.

أولاً: أخذه ﷺ بالحلم والصبر وسعة الصدر: فالمحاور محتاج لذلك أشد الحاجة؛ إذ هو معرض لما يثيره، ويحرك دواعي الغضب فيه.

ومن مواعظ لقمان -عليه السلام- لابنه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ (لقمان: ١٧).

فلا يحسن بالمحاور أن يكون ضيِّق الصدر، قليل الصبر؛ ذلك أن الجماعات التي استشرى فيها الفساد كالمريض، والمحاور -خصوصاً إذا كان رأساً في الخير- كالطبيب.

وكما أن المريض قد يدفعه جهله، أو سوء تصرفه إلى أن ينال الطبيب ببعض السوء -فكذلك الجماعات التي أنهكها الشر، واستحوذ عليها الشيطان؛ فقد يدفعها ذلك أن تنال طبيب الأرواح ببعض الأذى.

فإذا ضاق صدره، وقل احتماله تنغَّصت حياته، ولم يصدر عنه خير كثير، أو عمل كبير؛ فخير للمحاور -إذاً- أن يتلقى الأذى بصدر رحب، وأفق واسع، ونفس مطمئنة.

وليعلم أن مهمته شاقة؛ فليستعد لها بالاستعانة بالله، وليداوِ كُلُومَ النفوس بالهدوء، وسعة الصدر، ولين الجانب، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ فإن تلك الصفاتِ رُقْيَةُ النفوس الشرسة، وبلسمُ الجراح الغائرة.

وليستحضر أنه ما وقف أمام الناس ليخاصمهم؛ فَيَخْصِمَهم، ولكنْ ليداويَ

فسادهم، ويردَّ شاردهم؛ فليحرص على أن يؤلف القلوب والنفوس بتلك الصفات.

قال الله -تعالى- في وصف نبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال الله -عز وجل- له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وهكذا كان -عليه الصلاة والسلام- في حواراته؛ فكان يعرض دعوته في لين من القول، وكان يأخذ بالحلم، والصبر، ويقابل الجاهل بالإعراض، والمسيء بالعفو أو الإحسان.

وإن أذىً كثيراً كان يلحقه من مشركي قريش وسفهائهم؛ فيلقاه بالصبر، ولا ينال من عزمه واسترساله في الدعوة ولو شيئاً قليلاً.

وكم من كلمة يرميه بها بعض المنافقين، أو بعض الجفاة من الأعراب، فيكون جزاؤها الصفحَ، أو التبسمَ، أو الإنعامَ.[1]

فإذا كان المحاور على هذا النحو من هذه المكارم أثمر حواره، وحاز من العلياء كل مكان.

وإليك هذا المثال العالي من حوارات النبي ﷺ التي سارت على ذلك الطراز.

جاء في الصحيحين عن سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول: «بعث رسول الله خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ

---

١ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١١٣، والخطابة لأبي زهرة ص ١٦١ - ١٦٢.

فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟».

فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟».

قال: ما قلت، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، ثم قال: «ماذا عندك يا ثمامة؟».

فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلّها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ».[1]

---

١ ـ البخاري (٤٦٢ و ٤٦٩ و ٢٤٢٢ و ٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤).

فانظر إلى هذا الحلم، والصبر، وطول النَّفَسِ؛ حيث أمهله النبيﷺ ثلاثة أيام وهو يقول له: «ماذا عندك يا ثمامة؟».

ولما أحس منه العَزَّة، وأدرك -بذوقه المرهف- أنه سيد لا يقبل الضيم صفح عنه، وأطلق سراحه بعد حوار دام ثلاثة أيام.

فما كان من ذلك السيد إلا أن دخل في الإسلام عن طواعية، وصار في قبيل أهله بفضل ذلك الحوار الراقي، وذلك الحلم والصبر، وطول النفس.

يقول النوويرحمه الله: «قوله: وما عندك يا ثمامة؟» وكرر ذلك ثلاثة أيام - هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير»[1].

ثانياً: بسط الوجه، ولين القول: فالناس يحبون بسطَ الوجهِ، ولينَ القولِ، والقلوبُ تُقْبِلُ على مَنْ يُقْبِلُ عليها، وتنفر مما يزدريها، ولا يكلمها إلا من علُ.

ومن الوسائل التي لها أثر في تَأَلُّف الجاهلين أو المفسدين، وتهيئتهم إلى قبول الإصلاح - بسط المعروف في وجوههم، والإحسان إليهم بأي نوع من أنواع الإحسان، وإرضاؤهم بشيء من متاع هذه الحياة الدنيا؛ فإن مواجهتهم بالجميل، ومصافحتهم براحة كريمة - قد يعطِّف قلوبهم نحو المحاور، ويمهد السبيل لقبول ما يَعْرِضُه.

والنفوس مطبوعةٌ على مصافاة من يُلبسها نِعْمةً، ويُفيضُ عليها خيراً.

ولهذا يحسن بالمحاور أن يكون ليِّن العريكة، وممن يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ، وألا يكون

١- صحيح مسلم بشرح النووي ٨٩/١٢.

جافي الطبع، قاسي القلب، متعالياً على السامعين.

ويجدر به أن يترفع عن العبارات المشعرة بتعظيم النفس، كحال من يكثر من إدارج ضمير المتكلم (أنا) أو ما يقوم مقامه كأن يقول (في رأيي) أو (حسب خبرتي) أو (هذا ما توصلت إليه) ونحو ذلك.

وأَجْدَر بالبعد عن ذلك ما كان فيه تفخيم للنفس كالإتيان بضمير الجمع، كأن يقول: (هذا رأينا) و (هذا ترجيحنا) أو (هذا ما توصلنا إليه).

ومن ذلك أن يكرر كلمة: (نَقُول) و(قلنا) ونحو ذلك من العبارات الفجة التي تنم عن نقص وغرور، خصوصاً إذا صدرت ممن ليس له مكانة.

فهذا كله مجلبة لتباعد الأنفس، وتناكر الأرواح، وقلة التأثير.

وبدلاً من ذلك يحسن به أن يستعمل الصيغ التي توحي بالتواضع، وعزو العلم لأصحابه، كأن يقول: (ويبدو للمتأمل كذا وكذا) أو يقول: (ولعل الصواب أن يقال: كذا وكذا) ونحو ذلك من العبارات المشعرة بالتواضع، واهتضام النفس.

ثم إن الرفق في القول، واجتناب الكلمة الجافية من أعظم مقومات الحوار؛ فإن الخطاب اللين قد يتألَّف النفوسَ الناشزةَ، ويدنيها من الرشد، ويرغبها في الإصغاء للحجة أو الموعظة.

قال ـتعالىـ في خطاب هارون وموسى ـعليهما السلامـ: ﴿ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ طه.

ولقَّن موسى ـ عليه السلام ـ من القول اللين أحسنَ ما يخاطب به جبار يقول

لقومه: أنا ربكم الأعلى، فقال -تعالى-: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ النازعات.

قال ابن القيم رحمه الله: «وتأمل امتثال موسى لما أُمِر به كيف قال لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)﴾ النازعات.

فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مَخْرجَ الأمر، وقال: ﴿إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ ولم يقل: «إلى أن أزكيك».

فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكّي دون غيره؛ لما فيه من البركة، والخير، والنماء.

ثم قال: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أكون كالدليل بين يديك الذي يسير أمامك.

وقال: ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ استدعاءً لإيمانه بربه الذي خلقه، ورزقه، ورباه بنعمه صغيراً وكبيراً».[1]

ولهذا فإن المحاورة التي تُلقى في أدب، وسعة صدر، تسيغها القلوب، وتهش لها النفوس، وترتاح لها الأسماع.

ولقد امتن ربنا -جل وعلا- على نبينا محمد ﷺ بأن جبله على الرفق، ومحبة الرفق، وأن جنبه الغلظة، والفظاظة، فقال -عز وجل-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى﴾ آل عمران: ١٥٩.

ولقد كانت سيرته -عليه الصلاة والسلام- في الحوار وغيره حافلةً بهذا الخلق

---

١ - بدائع الفوائد لابن القيم ٣/١٣٢- ١٣٣.

الكريم الذي مَنْ مَلَكَه بسط سلطانه على القلوب.

وكما كان ـعليه الصلاة والسلامـ متمثلاً هذا الخلق فقد كان يأمر به ويبين فضله.

قالﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على غيره». [١]

وقال ـعليه الصلاة والسلامـ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». [٢]

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا». [٣]

هذا وإن الأمثلة على ذلك الخلق من سيرة النبيﷺ كثيرة جداً، ومنها ما جاء في الصحيحين أن رجلاً أتى النبيﷺ يتقاضاه، فأغلظ له في القول، فهَّم به أصحابه، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً». [٤]

وجاء في الصحيحين أن رهطاً من اليهود دخلوا عليه وقالوا: «السام عليكم» محرفين كلمة (السلام) إلى (السام) والسام الموت، فلم يزد رسول الله على أن قال: «وعليكم».

ولما ردَّت عليهم أم المؤمنين عائشة ـرضي الله عنهاـ بقولها: «وعليكم السام

---

١ ـ رواه مسلم (٢٥٩٣).

٢ ـ رواه مسلم (٢٥٩٤).

٣ ـ رواه البخاري (٦١٢٤) ومسلم (١٧٣٣).

٤ ـ البخاري (٢١٨٣ و ٢٢٦٠ و ٢٢٧١ و ٢٤٦٥ و ٢٤٦٧) ومسلم (١٦٠١).

واللعنة» قال لها: «مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق بالأمر كله».[١]

وجاء في صحيح البخاري أن عائشة -رضي الله عنها- تصفُ رسول الله فتقول: «والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط؛ حتى تنتهك حرمات الله؛ فينتقم لله».[٢]

وإذا تقصَّيتَ سيرته بحثاً وتنقيباً، وجدت مُصَدَّقه لما وصفته به أم المؤمنين من الرفق والحلم، فما عاقب -عليه الصلاة والسلام- أحداً مسه بأذى، ولا اضطغن على أحد أغلظ له في القول، بل كان يلاقي الإساءة بالحسنى، والغلظة بالرفق إلا أن يتعدى الشر، فيلقي في سبيل الدعوة حجراً، أو يحدث في نظام الأمة خللاً.[٣]

فالرفق واللين -إذاً- هو المتعين، وهو الأليق بحال المحاور، وهو الأصل في حوارات النبي ﷺ.

ومع ذلك فقد يُحْتَاج إلى الحزم، وذلك في حالات خاصة، ومن أناس مخصوصين، وفي حق من يستحق ذلك؛ فإذا كان المحاور ذا مكانة، وكان المقام يقتضي الحزم، ولم يترتب على ذلك مفسدة أكبر -أُخِذ بهذا الأسلوب.

ولهذا كان موسى -عليه السلام- متلطفاً مع فرعون غاية التلطف في بداية الأمر -كما مر قريباً- وعندما رأى من فرعون العناد والاستكبار ومحاولة الصد عن الهدى من بعد ما تبين له - أغلظ له في الخطاب كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ الإسراء: ١٠٢.

---

١ - البخاري (٥٦٧٨ و ٥٦٨٣ و ٥٩٠١ و ٦٠٣٨) ومسلم (٢١٦٥).

٢ - أخرجه البخاري (٦٤٠٤).

٣ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص٧٢، وموسوعة نضرة النعيم ٦/٢٢٨٧-٢٢٩٩.

فأين هذا الخطاب من الخطاب الأول؟

وكما في قوله ـ تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ العنكبوت: ٤٦.

وكما قال إبراهيم ـعليه السلامـ لقومه ﴿ أُفٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ الأنبياء: ٦٧.

وكان النبي ﷺ يأخذ بهذا الأسلوب عند الحاجة إليه.

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، فعن عائشة ـرضي الله عنهاـ أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: ومن يكلم رسول الله ﷺ، ومن يتجرأ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ.

فكلم رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟».

ثم قام فخطب، قال: «يا أيها الناس! إنما أضل من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها». (١)

وفي الصحيحين ـأيضاًـ عن أبي هريرة ﷺ قال: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد». (٢)

---

١ ـ البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (٢٦٤٨).

٢ ـ البخاري (٦٥٧) ومسلم (٦٥١).

ولقد بوب البخاري في كتاب الأدب من صحيحه باباً سماه: «باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله».

ثم ساق تحته خمسة أحاديث.[١]

وخلاصة القول أنَّ الرفق هو الأصل، وهو الأليق بحال المحاور ما لم تدع الحاجة إلى الحزم، وأنَّ الحزم قد لا يلائم كل أحد، خصوصاً ممن ليس له قَدْرُ سنٍّ، أو علم، أو منزلة، أو قبول عند الناس.

ولعل السبب في تنويع النبي ﷺ أنه كان يراعي أحوال المحاورين من حيث الشدة والرفق؛ فهو يستعمل الرفق في الأصل، ومع الجاهلين، أو الصغار، أو حديثي العهد بالإسلام، أو في غير ذلك من الأحوال والمصالح التي يحسن فيها الرفق.

ويستخدم الشدة أحياناً مع من صدر منهم ما لا يليق بهم ذلك؛ لطول صحبتهم، أو لعلمهم، وورعهم، وتقواهم[٢].

كما كان يستعمل الشدة مع المعاندين والمتكبرين، والمستهزئين، والمستخفين بالدعوة؛ فاستعمال الرفق في موضعه حكمة، كما أن استعمال الشدة في مكانها حكمة، كما قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل: رفقاً قل: فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وكما قال الحسين بن عبدالصمد يمدح الأمراء:

عجبوا لِحِلْمِكَ أن تحوَّل سطوةً ... وزُلالِ خُلْقِكِ كيف عادَ مُكَدَّرا

---

١ ـ من (٦١٠٩) إلى (٦١١٣).

٢ ـ انظر: من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين ص٨٦، وانظر: من صفات الداعية الرفق واللين د. فضل إلهي ص٣٩ـ٤٥.

لا تعجبوا من رِقّةٍ وقساوة فالنارُ تُقْدَح من قضيبٍ أخضرا

ثالثاً: استعمال المداراة حال الحوار: فالمداراة من أخلاق المؤمنين، والمحاور الناجح محتاج إلى الأخذ بها.

وكثيراً ما تشتبه المداراة بالمداهنة؛ ذلك أن حدود الفضائل تقع بمقربة من أخلاق مكروهة.

وهذه الحدود في نفسها واضحة جلية، إلا أن تمييز ما يدخل فيها مما هو خارج عنها يحتاج إلى صفاءِ فطرةٍ، أو تربيةٍ تساس بها النفسُ شيئاً فشيئاً.

وكثيراً ما يتشابه على الرجل لأول النظر أمور؛ فلا يدري أهي داخلة في الفضيلة، أم هي خارجة عن حدودها؟

وربما سبق ظنه إلى غير صواب؛ فَيَخال ما هو من قبيل الفضيلة مكروهاً فَيَدَعُه، أو يَعِيبُ به غيرَه، أو يَخال ما هو من قبيل المكروه فضيلةً فيرتَكِبُهُ، أو يمدح غيره عليه.

وهذا الشأن يجري في كثير من الأخلاق ومن ذلك ـكما مرـ خلق المداراة؛ إذ يشتبه بالمداهنة مع أنه يمتاز عنه امتياز الصبح من الدجى.[1]

ولا ريب أن المحاور من أحوج الناس إلى ذلك؛ إذ هو يلاقي الناس، ويخالطهم، ويَعْرِض عقله كثيراً أمامهم؛ فهو محتاج إلى مُدَاراة الناس عموماً، ومُداراة زَمانه، ومُداراة مخالفيه.

فالمداراة ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام، والتودد للناس، وتجنب ما

---

١ ـ انظر رسائل الإصلاح ١/١٢٤.

يشعر بغضب أو سخط، كل ذلك من غير ثلم للدين في جهة من الجهات.

قال ابن بطال رحمه الله: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك أقوى أسباب الألفة».[١]

ولقد كان النبي ﷺ يأخذ بهذا الأدب الجميل في حواراته -أحياناً-.

جاء في الصحيحين عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة».

فلما جلس تطلّق النبي ﷺ في وجهه، وانبسط إليه، فلما انطلق قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له: كذا وكذا، ثم تطلّقت في وجهه، وانبسطت إليه؟

قال رسول الله ﷺ «يا عائشةُ! متى عهدتِّني فحَّاشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس؛ اتقاء شره».

وفي رواية «من تركه الناس، أو وَدَعَهُ الناس؛ اتقاء فحشه».[٢]

فلقاء رسول الله ﷺ لهذا الرجل المعروف بالبذاء من قبيل المداراة؛ لأنه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق، أو رَفَقَ به في الخطاب.

وقد سبق إلى ذهن عائشة -رضي الله عنها- أن الذي بلغ أن يقال فيه: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة» لا يستحق هذا اللقاء، ويجب أن يكون نصيبُه قسوةَ الخطاب، وعبوسَ الجبين.

---

١ - فتح الباري ١٠/٥٤٥.

٢ - البخاري (٦٠٣٢) و(٦٠٥٤) و(٦١٣١) ومسلم (٢٥٩١).

ولكنَّ نَظَرَ رسولِ الله ﷺ أبعدُ مَدَىً، وأناته أطول أمداً؛ فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما في أنفسهم؛ فلا يَظْهَر إلا في مكان أو زمان يليق إظهاره فيه.

ويريد تعليمهم أدباً من آداب الاجتماع، وهو رِفْقُ الإنسان بمن يقصد إلى زيارته في منزله، ولو كان شرُّه في الناس فاشياً.

على أن إطلاق الجبين لمثل هذا الزائر لا يمنع من إشعاره بطريق سائغ أنك غير راض عما يُشيعُه في الناس من أذىً، ولا يعوقك أن تعالجه بالموعظة الحسنة إلا أن يكون شيطاناً مريداً.[1]

فهذه نبذة يسيرة عن رفقه ﷺ وحلمه، وسعة صدره حال الحوار.

---

١ ـ انظر رسائل الإصلاح ١/١٣١ـ١٣٨ و ٢/١٠٠.

الفصل الثالث

أساليب الحوار في السيرة النبوية

وتحته: تمهيد، وثلاثة مباحث:

- تمهيد: في حسن البيان النبوي
- المبحث الأول: جمال العرض وقوة التأثير في الحوار النبوي
- المبحث الثاني: تقريب المعاني إلى الأذهان حال الحوار
- المبحث الثالث: مراعاة المآلات ومقتضيات الأحوال في الحوار النبوي

الفصل الثالث: أساليب الحوار في السيرة النبوية

تمهيد: في حسن البيان النبوي

لا يمتري عاقل في أن للأسلوب مكانته العليا في الحوار؛ فإذا كان المحاور ذا أسلوب حسن، وتفننٍ في عرض أفكاره ـ كان ذلك أدعى لقبول ما يطرحه، ويدعو إليه، والعكس.

ولا ريب أن حسن البيان، وفصاحة المنطق، وبلاغته ـ من ضروب العظمة الحاملة على إجلال صاحبها، وأنها من أعظم المقومات لنجاح الحوار، ومن أمضى أسلحة المحاور، وأدعى الأسباب لقبول الحق؛ ذلك أن العمل على إنقاذ النفوس من أودية الغواية، والإقبال بها على مطالع السعادة مسلك وعر، ولا يمر فيه على استقامة تامة إلا من بلغ في صناعة البيان أمداً قصياً.

ولا يكفي في المحاورة أن يكون في يد القائم بها حجة، أو موعظةٌ يلقيها في أي صورة شاء؛ ذلك أن المخاطبين يختلفون ذوقاً، وثقافةً، واختلافَ زمنٍ وبيئةٍ.

ومن اللائق أن تصاغ دعوةُ كلِّ طائفةٍ في أدب يليق بأذواقها وثقافتها.

وقد تكون معانيْ الحوار حاضرةً في ذهن الشخص، ولا يجد في نفسه تأثراً بها، حتى إذا عُرِضت عليه تلك المعاني في أسلوب بارع وقعت منه موقع الإعجاب، حتى لكأنها معانٍ جديدةٌ لم يسبق له بها علم.[1]

فلا غرو ـ إذاً ـ أن ترى الرجلين يلقيان حواراً في باب واحد، وفي غرض واحد

---

١ ـ انظر الدعوة والإصلاح ص٢٥ـ٢٦، و٦٥.

وبينهما في التأثير ما بين السماء والأرض، وربما كان ذلك بسبب أسلوب العرض؛ فترى أن نفوس الناس قد أقبلت على أحدهما، وأساغت حواره إساغة الظمآن للماء القراح، وتراها جَفَتْ وجفلت عن محاورة الآخر؛ فزلَّت عن القلوب كما زلت الصفواء بالمتنزَّل.

ثم إن نفراً من الناس غير قليل يستهويهم رونقُ الألفاظ أكثر من حكمة معانيها؛ فلا ينبغي أن يُستَخَفَّ بهؤلاء، وأن يتركوا لِعُصْبة المضلين يعرضون عليهم الآراءَ المنحدرةَ في شقاء.

وإذا لم يكن لأولئك المضلين سبيلٌ على المستضعفين سوى أنهم يحبِّرون لهم القول تحبيراً ـفمن الميسور على دعاة الإصلاح أن يسابقوهم في مضمار البراعة؛ فإنهم متى ألبسوا الدعوة إلى الحق والفضيلة أساليب بديعة أحرزوا الغاية، وأنقذوا أولئك المستضعفين من ضلال بعيد.[١]

ولا يعني ذلك أن يتكلف المحاور السجع، ويتحرى دقائق الإعراب، ووحشيَّ اللغة، وأن يقْصِد إلى التشدق، والتقعر.

وإنما المقصود أن يلبس حواره ثوباً جميلاً يُفهم، ويستحسن، ويقع موقعه في القلوب.[٢]

وغير خاف أن النبيﷺ قد بلغ الذروة في ذلك الشأن؛ فقد أحرز من خصلتي الفصاحةِ والبلاغةِ الغايةَ التي ليس وراءها لمخلوق غاية، فانظروا ـإن شئتمـ إلى

---

١ ـ انظر الدعوة والإصلاح ص ٥٣ـ ٥٤.

٢ ـ انظر أدب الموعظة للمؤلف ص٦٣ـ٦٧.

حواراته وخطبه، وما يضربه من الأمثال، وينطق به من جوامع الكلم تجدوا جزالة اللفظ، ومتانة التركيب، وسهولة المأخذ، إلى رفعة الأسلوب، إلى حكمة المعنى.[١]

أما حديثك في العقول فَمَشْرَعٌ ... والعلم والحِكَمُ الغوالي الماءُ

هو صبغة الفرقان نفحةُ قدسه ... والسين من سوراته والراء

جَرتِ الفصاحةُ من ينابيع النهى ... من دَوْحِهِ وتفجَّر الإنشاء

في بحره للسابحين به على ... أدب الحياة وعلمها إرساءُ[٢]

قال القاضي عياض رحمه الله: «وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، وفصاحة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخصَّ ببدائع الحكم».[٣]

ولقد كان ﷺ ينوِّع في الأساليب، ويراعي مقتضيات الأحوال، ويستخدم أنواع التأثير التي سبقت كثيراً من النظريات والدراسات الحديثة في فن الحوار، والإلقاء، والتأثير في الناس.

ولو انبرى دارس لِجَمْعِ شيءٍ من ذلك لظفر بما لا يخطر بالبال من تلك المادة.[٤]

هذا وسيأتي مزيد بيان لذلك في المباحث التالية.

---

١ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص٢٠٦.

٢ ـ الشوقيات لأحمد شوقي ١/٣٧.

٣ ـ الشفا ١/٩٥ـ٩٦، وانظر أعلام النبوة للماوردي ص٢٦٦.

٤ ـ انظر الرحمة والعظمة في السيرة النبوية للمؤلف ص١٣٨ـ١٣٩.

المبحث الأول: جمال العرض وقوة التأثير في الحوار النبوي

فمن أعظم ميزات الأسلوب في الحوار النبوي جمال العرض، وقوة الأسلوب.

ويتجلى ذلك بأمور كثيرة أبرزها ما يلي:

١ـ **حسن الاستفتاح للحوار:** فمما يجمل بالمحاور أن يفتتح حواره افتتاحاً حسناً، وأن يُعْنى به تمام العناية، وأن يُجَمِّله بما يستطيع من وسائل التجميل المناسبة، التي تجتذب الأذهان، وتهيئ الأسماع، وتقود النفوس إلى الإقبال عليه، وإلى أن تتقبله بقبول حسن؛ فإن الفكرة الأولى عن شيء، أو أمر، أو شخص تثبت وتَقِرُّ بالنفس.

ومحوها يحتاج إلى عناء؛ فإن كانت حسنة صَعُب تهجينها، وإن كانت سيئة صعب تزيينها.

والافتتاح ـإن وجدـ أولُ ما يَلْقَى به المحاورُ محاوريه؛ فإن وقع في نفوسهم موقع القبول كانت المحاورة على غراره، واستطاع من خلاله أن يصل إلى قلوبهم.

وإن لم يصادف قبولاً صعبت الحال، واحتاج الأمر إلى خبير بأحوال النفوس، حاذقٍ في طُرُق العلاج، ووسائل الشفاء من ذلك النّفار وهذا الشّماس.[1]

قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً ورشيقاً كان داعيةَ الاستماعِ لما يجيء بعده من الكلام.

ولهذا المعنى يقول الله ـعز وجلـ: ﴿الم﴾، و﴿حم﴾، و﴿طس﴾، و﴿كهيعص﴾.

---

١ ـ انظر الخطابة ص٧٩.

فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد؛ ليكون ذلك داعيةً لهم إلى الاستماع لما بعده، والله أعلم بكتابه.

ولهذا جعل أكثر الابتداءات بـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن النفوس تتشوق للثناء على الله؛ فهو داعيةُ الاستماع». [١]

هذا وإن المحاورين يختلفون في استفتاحاتهم؛ فمنهم من يستفتحها بما يشير إلى موضوعها، ويلوِّح بالقصد منها.

ومنهم من يبتدئ بالثناء على السامعين؛ ليهيء نفوسهم؛ لتلقي كلامه بالقبول؛ إذ لا شيء يهز أعطاف السامعين كالثناء عليهم، خصوصاً إذا كان من غريب عنهم، فذلك أسلوب بديع، وباب واسع يصح الدخول فيه بشرط الاتزان، وضبط النفس.

ومنهم من يتودد للسامعين، ويتواضع لهم، ويخاطبهم بأحسن صفاتهم، ويشعرهم بمحبتهم، وأنه ساعٍ لما فيه مصلحتهم.

ومهما يكن من أمر الافتتاح فينبغي أن يكون قصيراً موجزاً؛ لئلا يشغل الذهن، ويضيع الوقت.

وينبغي ـأيضاًـ أن لا يكون مبتذلاً تمجه الأسماع، ولا تسيغه النفوس.

ثم إن الافتتاح قد لا يلزم خصوصاً إذا أراد المحاور الإيجاز؛ لضيق الوقت، أو نحو ذلك، بل يدخل في الموضوع مباشرة. [٢]

---

١ ـ كتاب الصناعتين ص ٤٣٧.

٢ ـ انظر أدب الموعظة ص٦٧ـ٦٨.

ولقد كانت حوارات النبيﷺ تفتتح بأحسن ما ينبغي أن يُستَفْتَح به؛ حيث كان يهيئ النفوس، ويجتذب الأذهان لما سيقوله، وكان يتودد للناس في كثير من بدايات حواراته، إلى غير ذلك مما يحسن أن يُفْتَتَح به الكلام.

والأمثلة على حسن استفتاحاته ـعليه الصلاة والسلامـ كثيرة، ومنها ما يلي:

أـ ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن زيد أن رسول اللهﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول اللهﷺ فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، ومتفرقين فجمعكم الله بي» ويقولون: الله ورسوله أَمَنُّ، فقال: «ألا تجيبوني» فقالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، فقال: «أما إنكم لو شئتم أن تقولوا: كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا» لأشياء عددها زعم عمرو أن لا يحفظها، فقال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، الأنصار شعار، والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا؛ حتى تلقوني على الحوض»[1].

فانظر كيف افتتح ـعليه الصلاة والسلامـ حواره بحمد الله، والثناء عليه، ثم نادى الأنصار بلقب محبب إليهم، ألا وهو قوله: «يا معشر الأنصار».

ولا يخفى ما في ذلك من الاعتراف بالسابقة، والنصرة، ولم يقل: «يا أهل

---

١ ـ البخاري (٤٣٣٠ و ٧٢٤٥) ومسلم (١٠٦١).

يثرب» أو: «يا من قلتم كذا وكذا».

ثم ذكر مِنَّةَ الله عليهم به، ثم خَلُص إلى ما يريد بأحسن ما يكون من حسن التخلص، فكانت النتيجة أن رضوا، وطابت نفوسهم.

ب ـ ومما كان يأخذ به ـعليه الصلاة والسلامـ في افتتاح حواراته مع أصحابهـ أسلوب التشويق، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرةﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فَيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

فانظر كيف شد النبيﷺ انتباههم، وشوَّقهم لما سيلقيه عليهم عندما افتتح حديثه بهذا الاستفهام المشوِّق.

ج ـ **وقريب من ذلك ما جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل**ﷺ قال: «بينا أنا رديف النبيﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعةً، ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعةً، ثم قال: «يا معاذ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ثم سار ساعة،

---

١ ـ مسلم (٢٥٨١).

ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»[١].

وهكذا هيّأ النبيﷺ نفس معاذ لإخباره بهذا الأمر العظيم، حيث ناداه باسمه ولم يزد على ذلك، فاسترعى انتباهه، وشَوَّقه، ثم سكت ساعة، فزاد من شَوْقِه لما سيلقى عليه، وكرر ذلك ـعليه الصلاة والسلامـ ثلاثاً، وبعد أن أخذ بمجامع قلب معاذ، وتأكد من استعداده ألقى عليه ذلك الأمر العظيم، فوعاه معاذ، ورسخ في ذهنه رسوخ الجبل؛ فلم ينسه معاذ حتى توفاه الله[٢].

٢ـ **الترسل في الكلام وإلقاؤه مفصلاً دون إبطاء أو تعجيل**: فيحسن بالمتكلم أن يكون مترسلاً في كلامه، متمهلاً في إلقائه، وأن تكون كلماته مُفَصَّلة متمايزة الحروف، فمن متممات الفصاحة ألا يعجل الرجل بالكلام، بل يلقي الكلمات مفصلة حتى تقع في الذهن كأنها عِقْدُ جِيْدٍ أُحْكِمَ تَنْسيقُه.

ويحسن بالمتكلم ـأيضاًـ ألا يبطِّئ في كلامه إبطاءً يخرجه عن طوره، ويجلب السآمة للسامعين؛ فالترسل والتمهل دون إبطاء أو تعجيل هو هدي النبي ﷺ في حواراته، ومواعظه.[٣]

قالت أم المؤمنين عائشة ـرضي الله عنهاـ: «كان النبي ﷺ يحدِّث حديثاً لو

١ـ البخاري (٥٩٦٧، و٦٢٦٧، و٦٥٠٠) ومسلم (٣٠).

٢ـ انظر الحوار لزمزمي ص١٢٩.

٣ ـ انظر أدب الموعظة ص٧١.

عدَّه العادُّ لأحصاه».[١]

وقالت: «إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم».[٢]

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث الأول: «قولها: «لو عده العاد لأحصاه»: أي لو عدَّ كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ آخرها. والمراد بذلك المبالغة في الترتيل، والتفهيم».[٣]

وقال رحمه الله في شرح الحديث الثاني: «قولها: «لم يكن يسرد الحديث كسردكم»: أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلا يلتبس على المستمع».[٤]

وجاء في سنن أبي داود عن عائشة ـرضي الله عنهاـ قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصْلاً يفهمه كل من سمعه».[٥]

وجاء في سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: «كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل، أو ترسيل».[٦]

وفي رواية للترمذي: «كان يتكلم بكلام بَيْنَهُ فصلٌ يحفظه من جلس إليه»[٧].

٣ـ **حسن الاستخدام للتكرار**: فإن للتكرار أثراً كبيراً في جذب الانتباه، وتأكيد المعاني، وتقريرها في الأذهان.

---

١ ـ أخرجه البخاري (٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣).

٢ ـ أخرجه البخاري (٣٥٦٨) ومسلم (٢٤٩٣).

٣ ـ ٤ـ فتح الباري ٦ / ٦٦٩.

٥ ـ أبو داود (٤٨٣٩) وقال الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٦): «حسن».

٦ ـ أبو داود (٤٨٣٨) وقال الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٣): «حسن».

٧ـ الترمذي (٣٦٣٩) وقال: «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الزهري».

والمحاور البارع يحسن استخدام التكرار، ويوقعه مواقعه اللائقة به.

ولقد كان النبيﷺ يأخذ بهذا الأسلوب، وربما أعاد الجملة ثلاث مرات إذا كان المقام يقتضي ذلك.[١]

ولهذا عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بعنوان: «باب من أعاد الحديث ثلاثاً؛ ليفهم عنه».

وساق فيه عدة أحاديث، منها ما رواه عن أنس رضي الله عنه عن النبيﷺ: «أنه كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً».[٢]

وعن أنس -أيضاً- عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً؛ حتى تُفْهم عنه» الحديث.[٣]

وعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه، فأدْركَنا وقد أرهقْنا الصلاة -صلاة العصر- ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويلٌ للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً.[٤]

والأحاديث في ذلك كثيرة منها قوله: «ألا وقول الزور، فما زال يكررها».[٥]

وقال ابن عمر -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ: «هل بلَّغت» ثلاثاً.[٦]

---

١ - انظر محمد رسول الله ص ١٨٥، والخطابة للشيخ محمد أبو زهرة ص٦٦.

٢ - البخاري (٩٤).

٣ - البخاري (٩٥).

٤ - البخاري (٩٦) ومسلم (٢٤١).

٥ - البخاري (٢٥٨٦).

٦ - رواه البخاري (١٧٤٢).

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد».[١]

٤- **إثارة العواطف، ومخاطبة الوجدان**: ذلك أن مرمى الإقناع في المحاورة ليس هو الإلزام والإفحام فحسب، وإنما مرماه حمل المخاطب على الإذعان، والتسليم بطوعه، وإرادته.

وذلك لا يتسنى بسوق الدلائل المنطقية جافة، ولا بإيراد البراهين العقلية عارية، بل بذلك وبإثارة العاطفة، ومخاطبة الوجدان.

بل قد يستغني المحاور عن الدلائل العقلية، ولا يمكنه بأية حال أن يستغني عن المثيرات العاطفية؛ إذ هي من أعظم الأدوات التي تعينه على التأثير في السامعين.[٢]

فالجوانب العاطفية الوجدانية لها دور كبير في الحوار وغيره، فكثير من المحاورين يغفل هذا الجانب ولا يأبه به.

وهذا خلل يحسن بالمُحَاوِر أن يتجنبه؛ ففي بعض الأحيان قد لا ينفع المنطق والبرهان، وإنما يجدي التودد والإحسان.

فحينئذٍ أَلْقِ عصا المنطق والبيان، واحمل راية الشفقة والحنان؛ حينها تَخْطِب الودَّ، وتستولي على الأمد.

فكثيراً ما تبدأ المناقشة أو المحاورة، وروح العداوة تسيطر على أحد الطرفين.

فإذا ما دفع الآخر بالتي هي أحسن انقلبت العداوة إلى مودة، والبغضة

---

١ - رواه مسلم (١١٥٩).

٢ - انظر الخطابة ص ٥٣.

والوحشة إلى محبة وألفة.[١]

فحري بالمحاور أن يكسب صاحبه، وأن يخطب ودَّه في كل مناسبة تسنح له؛ فيثني عليه إذا أجاد، ويسلِّم له إذا أصاب، ويرده إلى الصواب بلطف إذا هو أخطأ، ويذكر مزاياه في حضوره وغيبته، ويبادر بالهدية والزيارة إذا أحَسَّ نفرة منه بعد الحوار.

وهذه الأمور ليس بالسهل تحصيلها، وليس بمقدور كل إنسان نيلُها، بل تحتاج إلى توفيق، وتدريب، وصبر، وشجاعة ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت: ٣٥).

والأمثلة من السيرة النبوية على إثارة العواطف، ومخاطبة الوجدان كثيرة، ومنها ما يلي:

أ- جاء في الصحيحين عن سهل بن سعدﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله».

فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللهﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟».

فقيل: يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» فأتي به، فبصق رسول اللهﷺ في عينيه، ودعا له، فبرئ؛ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال عليﷺ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انْفُذْ على رِسْلِك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب

١- انظر في أصول الحوار ص٧٥.

عليهم من حق الله -تعالى- فيه؛ فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[١].

ففي هذا الحديث إثارة للعواطف؛ حيث بات الصحابة بعد سماع تلك المقدمة المشوقة يدوكون في شأن من سينال ذلك الشرف، وفيه تنويه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه دروس لأدب الحوار مع المخالف ولو كان حربياً؛ حيث بَيَّن النبي ﷺ لعلي كيف يحاور، ويدعو قبل بداية المعركة.

ب- **ما جاء في الصحيحين أن رجلاً جاء إلى سهل ابن سعد فقال: هذا فلان** لأمير المدينة، يدعو علياً عند المنبر قال: فيقولُ ماذا؟ قال: يقولُ له أبو تراب؛ فضحك، وقال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلاً، وقُلت: يا أبا عباس كيف ذلك؟ قال دخل عليٌ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: «أين ابن عمّك؟» قالَت: في المسجد.

فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخَلَص التُّراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: «اجلس يا أبا تُراب مرتين».[٢]

ففي هذا الحديث بيان لعاطفة النبي ﷺ الفياضة، التي يدخل بها السرور على أصحابه وآل بيته؛ حيث كناه بتلك الكنية التي صارت أحب أسمائه إليه.

هذا وقد مر، وسيمر شيء من ذلك القبيل.

---

١ - البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦).

٢ - البخاري (٣٧٠٣) ومسلم (٢٤٠٩).

٥ـ **استعمال أسلوب النداء، ومناداة المحاوَر بما يحب:** فإن ذلك يشد الانتباه، ويستدعي الإجابة، ويجدد النشاط، ويبعث على التقرب من المحاوَر سواء كان فرداً أو جماعة.

ولقد تكرر هذا المعنى في السنة كثيراً، ومرَّ شيء من ذلك فيما مضى.[١]

ومما ورد في ذلك الشأن ما يلي:

قال ـعليه الصلاة والسلامـ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم».[٢]

وقال: «أيها الناس إليَّ».[٣]

وقال: «أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي».[٤]

وقال: «أيها الناس تصدقوا».[٥]

وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة».[٦]

وقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو».[٧]

وقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج».[٨]

وقال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب؟».[٩]

---

١ ـ انظر أدب الموعظة ص٨٦ـ٨٧.

٢ ـ رواه البخاري (٦٣٨٤).

٣ ـ رواه البخاري (٩٢٧).

٤ ـ رواه البخاري (٩١٧).

٥ ـ رواه البخاري (١٤٦٢).

٦ ـ رواه البخاري (١٦٧١).

٧ ـ رواه البخاري (٢٩٦٦).

٨ ـ رواه البخاري (٥٠٦٥).

٩ ـ رواه البخاري (٧٥٢٣).

وقال: «يا معشر النساء تصدقن».[١]

وقال: «يا معشر يهود أسلموا تسلموا».[٢]

٦ـ **حسن الختام للحوار**: فختام الشيء هو آخر ما يلقيه المحاور، ولذلك أثره البالغ؛ إذ هو آخر ما يعلق بالنفس، وأكثر ما يتصل بالقلب؛ فإن كان وقعه حسناً انسحب ذلك على الحوار، وإلا ساء الأثر، أو قلت الفائدة المنشودة.

ولقد كانت حوارات النبيﷺ تختم بأحسن ما يكون من جمال العبارة، وإصابة الغرض، وتحريك العاطفة، وحسن التعليل.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أـ ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالكﷺ قال:

جاء رجل إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟

قال: «وما أعددت للساعة».

قال: حب الله ورسوله.

قال: «فإنك مع من أحببت».

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبيﷺ: «فإنك مع من أحببت».

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر؛ فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم».[٣]

---

١ ـ رواه البخاري (٣٠٤ و ١٤٦٢).

٢ ـ رواه البخاري (٦٩٤٤).

٣ ـ البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

فانظر إلى هذا الحوار اللطيف، وكيف ختم بتلك الخاتمة التي أشبعت رغبة ذلك السائل، وجرت مجرى الأمثال.

ب ـ ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس ـرضي الله عنهماـ قال: قال رسول اللهﷺ: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي ليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب.

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول اللهﷺ.

وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول اللهﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه.

فقال: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم».

ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»[1].

وهكذا ختم ـعليه الصلاة والسلامـ ذلك الحوار، وسد الباب بكل لطف وأدب بتلك الكلمة العظيمة؛ فلم يرد أن يفتح الباب؛ لِيَعْسُرَ سَدُّه، وأكرم

---

١ ـ البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

عكاشة بتلك البشارةِ؛ لفضله، ولمبادرته، ولم يرد جرح شعور السائل بكلمة تشعره بأنه ليس من هؤلاء، وإنما قال: «سبقك بها عكاشة».

فَجَرتْ تلك الكلمة العظيمة مجرى الأمثال إلى يومنا هذا.

ج- ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «بعثني النبيﷺ أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله! إن شراباً يصنع بأرضنا يقال له: المِزرُ من الشعير، وشراب يقال له: البِتْع من العسل.

فقال: «كل مسكر حرام».

وفي رواية قال أبو موسى: «وكان رسول اللهﷺ أعطي جوامع الكلم بخواتمه»[1].

وهكذا ختم - عليه الصلاة والسلام - حواره مع أبي موسى بتلك الخاتمة التي أصبحت قاعدة من أعظم القواعد في الأشربة.

١- البخاري (٣٠٣٨، و٤٣٤٣) ومسلم (١٧٣٣).

المبحث الثاني: تقريب المعاني إلى الأذهان حال الحوار

فالحوارُ يُحتاج فيه إلى أن تكون المعاني قريبة التناول، سهلة المأخذ.

وإنما يتيسر ذلك بالأساليب التي تقرب المعنى، وتصيب المرمى بأدنى كلفة، وأقلِّ عمل ذهني.

والحوار النبوي مُمَتَّعٌ بتلك الأساليب، وفي الفقرات التالية تفصيل لشيء من ذلك.

١ـ **صوغ التشابيه، وضرب الأمثلة:** فذلك من أنجع الأساليب في الحوار، وأكثرها تأثيراً؛ ذلك أن للتشبيه، والتمثيل أثراً كبيراً في جعل الحقائق الخفية واضحة، والمعاني الغريبة قريبة مألوفة.

ثم إن للأمثال فوائد أخرى؛ فمن ذلك أن المثل يضرب للترغيب في المُمَثَّل به؛ حيث يكون مما تستحسنه النفوس، وتَرْغَبُ فيه.

وقد يضرب المثل للتنفير من العمل؛ حيث يكون المُمَثَّل به مما تكرهه النفوس، وتنفر منه.

ويضرب المثل لمدح المُمَثَّل؛ حيث يكون في الممثل به صفاتٌ تستحسنها النفوس، وتمدح من يحرز مثلها.

ويضرب المثل للذم حيث يكون للممثَّل به صفة يستقبحها الناس، ويذمون من رضي لنفسه بمثلها.

ولقد كان ـعليه الصلاة والسلامـ يأخذ بهذه الطريقة كثيراً.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: ضرب

رسول الله ﷺ «مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُنَّتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثُدِيِّهما وتراقيهما؛ فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله، وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قَلَصتْ وأخذت كلُّ حلقة بمكانها».

قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه في جيبه؛ فلو رأيته يوسعها ولا تتوسع[١].

وجاء في الصحيحين عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة[٢] من الزرع تفيئها الريحُ تصرعها مرة، وتعدلها أخرى حتى تهيج.

ومثل الكافر كمثل الأرْزة المُجْذية[٣] على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها[٤] مرة واحدة»[٥].

وجاء فيهما -أيضاً- عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غَمْر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات».

قال الحسن: وما يبقي ذلك من الدرن؟[٦]

١- البخاري (١٤٤٣، و١٤٦٤) ومسلم (١٠٢١).

٢- الخامة: هي القصبة اللينة من الزرع. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٨١٠).

٣- الأرزة: شجر يشبه الصنوبر، والمجذية: الثابتة المنتصبة. انظر صحيح مسلم بشرح النووي حديث(٢٨١٠).

٤- الانجعاف: الانقلاع. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٨١٠).

٥- البخاري (٥٦٤٣) ومسلم (٢٨١٠).

٦- البخاري (٦٦٢) ومسلم (٦٦٨).

وبالجملة فإن ضرب الأمثال في السيرة النبوية كثير جداً، والمقصود ههنا بيان أن ذلك سلاحٌ ماضٍ في يد المحاور إذا هو أحسن استخدامه.[١]

٢ـ **استعمال القياس**: وهذا قريب مما مضى ذكره في الفقرة الماضية.

ومن أمثلته ما جاء في حديث الرجل الذي يعرض بامرأته أن جاءت بغلام أسود؛ فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرةﷺ قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبيﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وإني أنكرته، فقال له النبيﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم.

قال: «ما ألوانها؟» قال حمر.

قال: «فهل فيها من أورق؟» قال: نعم.

قال رسول اللهﷺ: «فأنى هو؟» قال: لعله ـ يا رسول الله ـ يكون نزعه عرق له.

فقال له النبيﷺ: «وهذا لعله يكون نزعه عرق له».[٢]

وهكذا استعمل النبيﷺ أسلوب القياس في حواره، وأقنع الرجل بأن هذا الأمر جائز وقوعه.

٣ـ **إعطاء الوسائل صورة ما تفضي إليه من الخير والشر**: فهذا الأسلوب من الطرق الحكيمة في الحوار، ويراد منه الحث على فعل الشيء، أو الزجر عنه.

ويشهد لذلك كثير من النصوص، منها قوله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله».[١]

---

١ ـ انظر كتاب الصناعتين ص٢٣٩ ـ ٢٥٩، ومحمد رسول الله ص١١٤، وبلاغة القرآن للشيخ محمد الخضر حسين ص ٢٨ـ٤٠.

٢ ـ البخاري (٥٣٠٥ و ٦٨٤٧) ومسلم (١٥٠٠).

فقد أراك الدلالة على فعل الخير في صورة فعل الخير نفسه؛ إذ جعلها بوسيلة التشبيه بمنزلة واحدة، وذلك مما يقوّي داعية الدلالة على الخير في نفسك.

وكما قال ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه».

قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟

قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه، فيسب أمَّه».[٢]

فانظر كيف عدَّ سبَّ الرجلِ لأبي الرجل أو أمه في صورة سب الرجل لوالديه، وفي ذلك من تأكيد الزجر عن إطلاق اللسان بالسب ما لا تجده في النهي عن سب الناس بطريق غير هذا الطريق.[٣]

٤- **توجيه السؤال للمحاوَرين**: وذلك بسؤالهم عن الشيء الذي يريد تعليمهم إياه، أو تذكيرهم به؛ لما في السؤال من تهيئة النفوس للإصغاء إلى ما يقال بعد ذلك، ولما فيه -أيضاً- من تشويقها إليه؛ فيقع منها في قرار مكين.

ولقد كان النبيﷺ يأخذ بهذا الأسلوب كثيراً، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟» الحديث[٤].

---

١ - أخرجه أحمد ٥/٢٧٤، وقال الألباني في صحيح الجامع(٣٣): «صحيح»، ورواه مسلم (١٨٩٣) بلفظ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

٢ - أخرجه البخاري (٥٩٧٣) ومسلم (٩٠).

٣ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١١٥.

٤ - البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

ومن ذلك قولهﷺ : «أتدرون أي شهر هذا؟».[١]

وقوله: «أتدرون أي يوم هذا؟».[٢]

وقوله: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟».[٣]

وقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟».[٤]

وقوله: «أتدرون أين تغرب الشمس؟».[٥]

ومما يحسن التنبيه عليه أن هذا الأدب يليق إذا صدر مِنْ كبير لمن دونه، وإذا صدر ممن له مكانة، وقبول عند الناس عموماً، أو عند مَنْ يلقي عليهم.

أما من كان في حداثة سنه، أو من ليست له مكانة عند من يحاورهم ـ فقد لا يليق به هذا الأسلوب؛ لأن النفوس قد لا تستسيغ أن يوجه إليها السؤال من كل أحد.

٥ـ **استدعاء طلب البيان**: وهذا الأسلوب قريبٌ مما قبله: وذلك أن المتحدث بالكلام على وجه الغموض يستدعي به طلب البيان، حتى إذا سئل عن ذلك، أو شعر بحاجة المخاطبين إلى الجواب ـأجاب عن ذلك، وكَشَفَ الغموضَ، فيتقرر المعنى في نفوسهم بأشد مما لو أتى من أول الأمر واضحاً بيناً.[٦]

ومن هذا الباب قوله ﷺ : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

فقال رجل: يا رسول الله! أنصُرُهُ إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟

---

١ ـ رواه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٦٦).

٢ ـ رواه البخاري (١٧٤١) ومسلم (١٦٧٩).

٣ ـ رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩ و١٠).

٤ ـ رواه البخاري (٤١٤٧) ومسلم (٧١).

٥ ـ رواه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٥٩).

٦ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١١٦.

قال: «تحجزه، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره».[١]

وفي رواية «تأخذ فوق يديه».[٢]

٦ـ **قرن القول ببعض الإشارات الحسية التي تناسب المعنى**: فهذا مما يزيد به المعنى جلاءً، ويأخذ في النفس صورةً غير صورته المجردة عن الإشارة.

ولقد كان النبي ﷺ يستعين في تثبيت المعنى بالإشارة بيده إشارة مناسبة للمعنى، مما يجعل للحوار أثراً بليغاً في النفوس.

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه.[٣]

وفي صحيح البخاري عن سهل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئاً».[٤]

وعن ابن عمر ـرضي الله عنهماـ أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثاً.[٥]

٧ـ **مراعاة المدة الزمنية للحوار**: فمراعاة هذا الأمر من الأهمية بمكان؛ إذ هو مما يعين على الانتفاع بالحوار، والإصغاء إليه بإقبال ونشاط.

ولا ريب أن ذلك يختلف من حال إلى حال، ومن حوار إلى حوار؛ فقد

---

١ ـ رواه البخاري (٦٩٥٢) ومسلم (٢٤٤٣).

٢ ـ رواه البخاري (٢٤٤٤).

٣ ـ البخاري (٤٨١ و ٢٤٤٦ و ٦٠٢٦) ومسلم (٢٥٨٥).

٤ ـ البخاري (٥٣٠٤ و ٦٠٠٥).

٥ ـ رواه البخاري (٣١٠٤ و ٧٠٩٣) ومسلم (٢٩٠٥).

تقتضي الحكمة الإطناب، وقد تقتضي الإيجاز.

ومهما يك من شيء فإن التوسط والإيجاز أقرب الأساليب لإساغة الحوار، وجمعية الذهن عليه، بل إن الإيجاز قد يكون هو الأقرب.

وهكذا كانت حوارات النبيﷺ وخطبه؛ فما كان يطيل فيها، لأنه يخشى على الناس الملل، أو أن يخرج الحوار إلى المراء والجدل.

وكانت حواراته وخطبه مع قصرها مليئة بالحكمة، والموعظة الحسنة؛ إذ تجيء حافلة بجوامع الكلم، والجملِ التي تجري على الألسنة مجرى الأمثال.[١]

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال: «كنت أصلى مع رسول اللهﷺ فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً».[٢]

ومعنى «قصداً»: أي متوسط بين الإفراط والتفريط وبين التقصير والتطويل.[٣]

وفي صحيح مسلم عن أبي وائل قال: «خطبنا عمارٌ فأوجز، وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان! لقد أبلغتَ، وأوجزتَ، فلو كنتَ تَنَفَّسْتَ!

فقال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنةٌ من فقهه؛ فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً».[٤]

ومعنى قوله: «لو كنت تنفست»: أي أطلت قليلاً.

ومعنى: «مئنة من فقهه»: أي علامة.[٥]

---

١ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص١٨٥.

٢ ـ مسلم (٨٦٦).

٣ ـ انظر مرقاة المفاتيح لملا علي قاري ٣ / ٤٩٨.

٤ ـ مسلم (٨٦٩).

٥ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ص ٥٦٨.

ومع أن هذا هو دأب رسول الله ﷺ في خطبه ومواعظه ـ فهو يطيل في بعض الأحيان متى اقتضى الحال الإطالة.

جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فَأَعْلَمُنا أَحْفَظُنا».[1]

ومن خلال ذلك يتبين أن مراعاة مدة الحوار أمر نسبي يرجع فيه إلى حكمة المحاور، واختلاف الأحوال.

---

١ ـ مسلم (٢٨٩٢).

فمن الطرق المجدية في الحوار مراعاة المآلات، وتنزيل الحوار على مقتضيات الأحوال.

ولقد كان -عليه الصلاة والسلام- يأخذ بهذا الأسلوب، ومن مظاهر أخذه به ما يلي:

١- **التذكير بالعاقبة في الحوار:** ومن ذلك تذكير المحاوَر -إذا كان يراد دعوتُه إلى الإيمان- بما يصير إليه المتقون من عزٍ وسلامة، وما يلحق المجرمين من خزيٍ ومهانة وندامة.

ومن التذكير ما يرجع إلى البشارة بالخير في الدنيا، والحسنى في الآخرة، ومنه ما يرجع إلى الإنذار بسوء المنقلب في هذه الدار، أو عذاب الهُوْن في تلك الدار.

وللبشارة والإنذار أثر كبير في حث المؤمنين على الحسنات، وردعهم عن السيئات.

وأثر البشارة والإنذار في غير المؤمن أنهما يدعوانه إلى النظر في الدعوة، وإذا نظر برَوِيَّةٍ أدرك أنها حق؛ فيفتح لها صدره، ويمدُّ لها عنقه مذعناً.[١]

ومن أمثلة ذلك ما جاء في الصحيحين أن أبا ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى، وإن سرق، قال: «وإن زنى، وإن سرق» قلت: وإن زنى، وإن سرق، قال: «وإن زنى، وإن سرق» قلت: وإن زنى، وإن سرق، قال: «وإن زنى، وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».

وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر[٢].

---

١ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١١١-١١٢.

٢- البخاري (٥٤٨٩) ومسلم (٩٤).

٢ ـ **التمهيد في العرض، وتنزيل الأمور على أحوال المحاورين**: ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة في قصة الشاب الذي استأذن النبيَّ ﷺ في الزنا، فتدرج معه النبي ﷺ في خمسة أسئلة حتى اقتنع الفتى بحرمة الزنا، وخرج وقد طابت نفسه.

قال أبو أمامة ﷺ: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا؛ فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: ادْنه، فدنا قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه؛ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».[1]

فانظر إلى هذا الحوار الراقي الذي قَلَب قناعة ذلك الشاب رأساً على عقب، وذلك بعد أن مَهَّد له بخمسة أسئلة عَمِلَتْ عَمَلَها في قلب ذلك السائل.

٣ـ **تحديث المحاورين بما يعرفون**: فمن حسن السياسة والحكمة في الحوار أن

---

١ ـ أحمد ٥ / ٢٥٦، ٢٥٧، وقال الألباني في الصحيحة (٣٧٠): «وهذا سنده سند صحيح، رجاله كلهم رجال الصحيح».

يُخاطب كلُّ قوم بما يفهمون، وأن يُتَحامى مخاطبةُ أحدٍ بما لا يحتمله عقله؛ فذلك أدعى لقبول المحاورة، والبعد عن مواطن النفرة والتكذيب.

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!».[١]

وقال ابن مسعود ﷺ: «ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».[٢]

وقال ابن الجوزي ﷺ: «من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله عقولهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده».[٣]

وقال: «فالله الله أن تحدث مخلوقاً من العوام بما لا يحتمله دون احتيال وتلطف؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدِّث له بنفسه».[٤]

ومما يعين على فهم السامعين، وعَقْلهم لما يلقى إليهم، ووقوعه في قرارات نفوسهم- أن تكون المحاورة بألفاظ مأنوسة، وتأليف محكم، ومعانٍ بارزة.

وهكذا كانت محاورات النبي ﷺ وخطبه؛ فهي مصوغة بألفاظ مألوفة، ومعانٍ قريبة المأخذ.

وهي مع قرب معانيها من أذهان الجمهور قد حازت في مراقي البلاغة الأمد الأسمى.[٥]

---

١ ـ أخرجه البخاري (١٢٧).

٢ ـ أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥).

٣ ـ صيد الخاطر ص٧٤.

٤ ـ صيد الخاطر ٧٥.

٥ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبين ص١٨٥.

قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «فمدار البلاغة على تخيُّرِ اللفظ، وتخيُّرُه أصعب من جمعه وتأليفه». (١)

وقال: «قال أبو داود: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدُّرَبة، وجناحها رواية الكلام، وحَلْيها الإعراب، وبهاؤها تخير الكلام، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه». (٢)

ولهذا فإن المحاور البارع هو الذي يصوغ محاوراته بما تحتمله العقول؛ فللعامة لغة، وللخاصة لغة، وللكبار لغة، وللصغار لغة، وللرجال لغة، وللنساء لغة، وهكذا، وقد مرَّ شيء من هذا القبيل في فقرة ماضية.

ومن تحديث الناس بما يعقلون أن تكون المحاورة ملائمة لكافة الطبقات خصوصاً إذا كانت عامة، أو في مكان عام؛ إذ هي تُلْقى على طبقات من الناس متفاوتة في العلم والفهم؛ فيحسن بالمحاور ألا يتعرض في محاورته إلى المسائل التي قد يتعثر فهمها على كثير منهم، أو أن يتناولوها على غير وجهها.

وكانت محاورات الرسول ﷺ جارية على هذا النحو؛ بحيث يستوي في فهمها الطبقاتُ المختلفةُ دون أن يجدوا فيها ما ينبو عنه الفكر، أو يحار فيه العقل. (٣)

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: «كانت لي جاريةٌ ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانيَّة، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكَّةً، فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله

---

١ ـ كتاب الصناعتين ص٢٣.

٢ ـ كتاب الصناعتين ص ٥٨.

٣ ـ انظر محمد رسول الله ص١٨٧.

أفلا أعتقها، قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[١].

ففي هذا الحديث تَنَزَّل النبيُّ ﷺ مع الجارية، وحدثها بما تعقل، وسألها عن أمرين من أعظم الأمور في الدين، وهما الإيمان بأن الله في السماء، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة.

ومع عظم هذين الأمرين فهما من الوضوح والبيان بمكان؛ حيث إنهما أمران يدركان بالفطرة، ويبادئ النظر؛ فهما لا يحتاجان إلى كبير فهم، أو إعمال للذهن؛ لذا أجابته الجارية على الفور؛ فكان ذلك علامة إيمانها، واستحقاقها للعتق.

٤- **إنهاء الحوار إذا لم يأت بفائدة:** ففي بعض الأحايين لا يجدي الحوار؛ فيكون الاستمرار فيه ضرباً من الهذيان الذي يصير ضرره أكثر من نفعه؛ ففي مثل ذلك يحسن التوقف، وقطع الحوار؛ فذلك أدب رفيع، ونظر في العواقب بعيد؛ إذ لو استمر الحوار - والحالة هذه - لربما كانت العاقبة وخيمة.

ولقد كان -عليه الصلاة والسلام- يأخذ بهذا الأسلوب الرفيع، فكان يحاور ما نفعت المحاورة؛ فإذا لم تَعُدْ تجدي أنهى الحوار، مراعياً مقتضى الحال، ناظراً في المآل.

ويشهد لذلك شواهد منها ما جاء في الصحيحين أن علياً ﷺ قال: «كانت لي شارف[٢] من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس يومئذ فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعَدْتُ رجلاً

١- مسلم (٥٣٧).

٢- الشارف: هي الناقة المسنة. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ح(١٩٧٩).

صواغاً من بني قينقاع يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين؛ فأستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفيَّ متاعاً من الأقتاب، والغرائر، والحبال، وشارفاي مُنَاخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، وجمعت حين جمعت ما جمعت؛ فإذا شارفاي قد اجُتُبَتْ أسنمتهما، وبُقِرَتْ خواصرهما، وأخذ من أكبادهما؛ فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما، قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبدالمطلب، وهو في هذا البيت في شَرْب[1] من الأنصار غَنَّتْهُ قينة وأصحابه فقالت في غنائها:

ألا يـــا حمـــزُ للـــشُّرُفِ النِّـــواء[2] .....

فقام حمزة بالسيف فاجتب[3] أسنمتهما، وبقر خواصرهما، فأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة، قال: فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك؟» قلت: يا رسول الله، والله ما رأيت كاليوم قط، عدا حمزةُ على ناقتيَّ فاجتب أسنمتهما، وبقر خواصرهما، وها هو ذا في بيت معه شَرْب، قال: فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذي فيه حمزة، فاستأذن فأذنوا له؛ فإذا هم شرب، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة محمرة عيناه فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صَعَّد النظر إلى ركبتيه، ثم صَعَّد النظر فنظر إلى سرته، ثم صَعَّد النظر

---

١ ـ الشَّرْب: الجماعة الشاربون.

٢ ـ النِّواء: السمينة.

٣ ـ اجتب: أي قطع.

فنظر إلى وجهه، فقال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؛ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل[١] فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى وخرج وخرجنا معه»[٢].

فالنبي ﷺ ذهب إلى حمزة رضي الله عنه يريد محاورته بالذي حصل منه، فلما بدأ -عليه الصلاة والسلام- يلومه على صنيعه، وانتظر جواب حمزة - لم يجد عنده جواباً يشفي، وإنما وجد رجلاً قد شرب من الخمر حتى الثمالة؛ فلم يعد فيه بقية من عقل كي يأخذ أو يعطي كما يفعل الرجل السوي؛ فأجابه إجابة تنم عن حاله التي هو عليها من جهة أن عقله قد غطّته الخمر، فقال: «وهل أنتم إلا عبيد لأبي».

فأدرك -عليه الصلاة والسلام- من نظرات حمزة، ومن جوابه أنه في غير وعيه، فقطع الحوار، وانصرف؛ لأن الحوار لا فائدة منه.

وهذه خير وسيلة إذا كان الأمر كما ذكر.

وما من ريب أن ذلك الحدث كان قبل تحريم الخمر.[٣]

وبهذا ينتهي الحديث عن الفصل الثالث الذي يدور حول أساليب الحوار في السيرة النبوية.

---

١ - ثمل: سكران.

٢- البخاري (٢٠٨٩ و ٢٣٧٥ و ٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٩).

٣ - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٦/٣.

الفصل الرابع

شمول الحوار النبوي

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

- تمهيد
- المبحث الأول: حواراته ﷺ مع النساء
- المبحث الثاني: حواراته ﷺ مع الشباب والصغار
- المبحث الثالث: حواراته ﷺ مع الشعراء
- المبحث الرابع: حواراته ﷺ مع المخالفين

الفصل الرابع: شمول الحوار النبوي

تمهيد

مر في مقدمة هذا البحث وفي تضاعيفه أن النبيﷺ هو الرسول المجتبى، والسيد المطاع، والزوج الوفي، والوالد الحاني، والمعلم المربي القدوة، وأنه كان يعامل الصغير والكبير، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، والمحارب والمسالم، والرجل والمرأة، والقريب والبعيد، والعالم والجاهل، والموافق والمخالف، وغير هؤلاء من فئات المجتمع؛ فهو -إذاً- يعامل كافة الطبقات على اختلاف مشاربهم، وأذواقهم.

وكان يأخذ في جميع تلك الأحوال بالحوار أخذاً عملياً، لا دعوى تتمضمض بها الأفواه دون أن تكون حقيقة ماثلة للعيان.

وقد مر في البحث ذكر لكثير من الأمثلة في ذلك على وجه العموم.

والحديث في هذا الفصل ذكر لشيء من هذا القبيل على وجه الخصوص، وذلك بإيراد نماذج من سيرته، تبين شمول حواره لكافة الطبقات.

وقبل الدخول في ذلك يحسن التنبيه إلى أن أكثر حواراته مع أصحابه الذين كان يحاورهم ويلاقيهم في بِشْرٍ وطلاقة محياً، ويخالطهم في تواضع، ويحمل لهم من الرحمة ما هو أرق من النسيم، وأجود من الغيث العميم [1].

وقد مضى أمثلة كثيرة على ذلك، وسيرد مزيد أمثلة فيما سيأتي؛ لذا فلن يفرد مبحث لحواره مع أصحابه؛ خشية الإطالة والتكرار؛ فإلى المباحث التالية التي تبين شمول حواره -عليه الصلاة والسلام-.

١- انظر: الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي ١/١٦١-٣٥٨، وإحياء علوم الدين للغزالي ٢/٣٥٧-٣٨٧، وأخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني ص١٣-١٨.

المبحث الأول: حواراته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع النساء

لقد أولى النبيﷺ النساء جانباً عظيماً من اهتمامه، وتوجيهه؛ فكان يأمر بالقيام بحقهن، ويحذر من التقصير في شأنهن؛ فنالت المرأة في شريعته ما لم تنله في أي شريعة أخرى، سواء كانت أماً، أو أختاً، أو بنتاً، أو قريبة، أو بعيدة.

وله في ذلك أقوال كثيرة تحث على حسن العشرة للنساء ورعاية حقوقهن.

ولا ريب أن من أيسر مظاهر حسن العشرة، ورعاية الحقوق ـ مراعاةَ النساء في باب الحوار.

وكما كان لهن نصيب من عطفه، ورعايته، ووصايته لهن بالإحسان ـ كان لهن نصيب غير منقوص من حواراته، وذلك من خلال ما يجري بينه وبينهن في شتى الشؤون، وفيما يلي بيان لشيء من ذلك:

أولاً: نماذج من حواراته ﷺ مع النساء عموماً:

حوارات النبي ﷺ مع النساء كثيرة جداً، ولقد دونت كتب السنة مئات الأحاديث في هذا الشأن، وفيما يلي ذكر لطرف من ذلك:

١ ـ **جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري** أنه قال: «قال النساء للنبيﷺ: غلبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا يوماً لنفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن...إلخ».[1]

٢ ـ **جاء في صحيح مسلم أن فاطمة بنت قيس** جاءت إلى رسول اللهﷺ وذكرت له أنه خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم ـ رضي الله عنهما ـ.

---

١ ـ البخاري (١٠١ و ١٢٤٩) ومسلم (٢٦٣٣).

فقال رسول الله ﷺ : «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، أما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد».

قالت فاطمة: فكرهته، ثم قال ﷺ : «انكحي أسامة».

قالت فاطمة: فنكحته، فجعل الله فيه خيراً كثيراً، واغتبطت»[١].

فمن خلال هذا الحوارِ ذكر لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ الخياراتِ، وبيَّن لها أسباب المفاضلة، وأنها تأتي من ناحية المال، والسلوك والمعاشرة، ثم أشار عليها بما يراه.

وفي هذا بيان أن النساء لم يكن ليتحرجن من محاورته ـعليه الصلاة والسلامـ وأنه لم يكن يأنف من ذلك.

٣ـ وجاء في الصحيحين عن خنساء بنت خذام الأنصارية: «أن أباها زوَّجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها»[٢].

فهذه المرأة زَوَّجها أبوها بدون إذنها، فلما حاورت النبي ﷺ في ذلك اقتنع بحجتها، ورد نكاحها.

٤ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن امرأة أتت النبي ﷺ فسألت عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل.

قال: «خُذِي فِرْصة[٣] من مِسْك فتطهري بها».

قالت: كيف أتطهر؟

١ـ رواه مسلم (١٤٨٠).

٢ـ البخاري (٥١٣٨) ومسلم (١٤١٩).

٣ ـ الفِرْصة: القطعة.

قال: «تطهري بها».

قالت: كيف؟

قال: «سبحان الله! تطهري».

قالت عائشة -رضي الله عنها-: فاجتبذتها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم.[١]

وفي هذا درس عملي في الحوار، والرفق بالمحاور؛ فالنبي ﷺ ههنا رفق بهذه المرأة، ولم يضجر من تكرار أسئلتها.[٢]

٥- **وعن عائشة - رضي الله عنها** - قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني لا أطهر، أفأَدَعُ الصلاة؟

فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة، فإذا ذهب قدْرُها، فاغسلي عنك الدم وصلّي».[٣]

٦- **وعن بريدة** ﷺ قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «وجب أجرُكِ، وَرَدَّها عليكِ الميراثُ».

قالت: يا رسول الله! إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟

قال: «صومي عنها»، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟

قال: «حجي عنها».[٤]

---

١ - أخرجه البخاري (٣١٤ و ٧٣٥٧) ومسلم (٣٣٢).

٢ - انظر فتح الباري لابن حجر ١/٥٤٠، ومن أسئلة للنبي ﷺ أ.د. فالح الصغير ص٨١.

٣ - البخاري (٣٠٦).

٤ - أخرجه مسلم (١١٤٩).

فهذه نبذة يسيرة من حوارات النبي ﷺ للنساء[١]، وهي تعطي العالم، والداعية، والمسؤول عموماً دروساً في سعة الصدر، والصبر على السائل، والحرص على إفهامه.

ثانياً: حواراته مع زوجاته: الناظر في سيرة المصطفى ﷺ يرى صوراً مشرقة من خلقه الكريم في معاملته الناس جميعاً.

ولكن سلوكه في بيته، ومع أزواجه له دلالتُه الخاصة المُبِيْنَةُ عن سلامة ذوقه، ورقة طباعه، وعمق عاطفته، وقدرته الفذة على مراعاة مشاعر أزواجه، واحترام رغباتهن ما دامت في حدود الشرع.[٢]

ولقد كان يحاورهن، ويستمع إلى أحاديثهن، ويفضي بشقوره إليهن[٣]، ويستطلع من خلال الحوار آراءهن، ويأخذ بتلك الآراء إذا كانت جارية على الصواب، وبذلك يدخل السرور والبهجة عليهن.

وفيما يلي أمثلة عملية تبيِّن شيئاً مما كان يجري بينه وبينهن.

المثال الأول: ما جاء في الصحيحين عن عائشة ـرضي الله عنهاـ في قصة بدء الوحي، قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في

---

١ ـ انظر كتاب أسئلة النساء للنبي ﷺ للشيخ أ.د فالح الصغير حيث ساق مائة وتسعة عشر حديثاً في هذا الشأن مع شرحها، وتخريجها، وبيان فوائدها.

٢ ـ انظر السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم العمري ٦٤٣/٢.

٣ ـ شقوره: بثه وهمه، وهذا مثل يضرب في الإطْلاع على مكنونات السرائر، ولمن يُفضى إليه بما يُكْتَمُ عن غيره من السر. انظر مجمع الأمثال للميداني ٧١/٢ـ٧٢ (٢٧٣٧)، والمستَقْصَى في أمثال العرب للزمخشري ٢٧٣/١ (١١٥٤).

النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ العلق.

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: «أي خديجة ما لي» وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت على نفسي».

قالت له خديجة: كلا، أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسِبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تَنَصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن

أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس[١] الذي أنزل على موسى ﷺ يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟».

قال ورقة: نعم؛ لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»[٢].

فانظر كيف فزع رسول الله ﷺ إلى أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- وهو في تلك الأثناء بأمس الحاجة إلى من يسليه، ويهدِّئ من روعه؛ فلما حاورهما في شأنه وجد عندها السلوة والبشرى؛ حيث استدلت -وهي العاقلة الحصيفة- على أن من كان هذا شأنه من البر ومحبة الخير للناس فلن يخذله الله؛ فسنة الله تقضي بأن الجزاء من جنس العمل.

وانظر كيف هُدِيَتْ إلى الذهاب به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل؛ لأنه كان ذا علم وكتابة، ولم تذهب به إلى غيره؛ لشعورها بأن هذا الأمر غريب، وليس من جنس ما يعتري البشر؛ لذا وجد النبي ﷺ عند ورقة ما سلاّه، وبث فيه الروح، وكان ذلك بسبب تلك الزوجة العاقلة[٣].

١- الناموس: صاحب سر المَلِك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر. انظر الروض الأنف للسهيلي ١/٤٠٨.

٢- البخاري (٣ و ٣٣٩٢ و ٤٩٥٣ و ٤٩٥٥) ومسلم (١٦٠).

٣- انظر الروض الأنف ١/٣٩٦، وخلاصة السيرة النبوية والدعوة الإسلامية للشيخ محمد رشيد رضا ص١٩-٢٠.

المثال الثاني: ما كان من أمر أم المؤمنين أم سلمة ـرضي الله عنهاـ في قصة الحديبية، وذلك عندما قال النبيﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» فما قام منهم رجل واحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله! أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك، فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم، حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه، فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً[1].

فتأملْ مجيءَ النبيِّ ﷺ إلى أم سلمة ـرضي الله عنهاـ وبَثَّهُ إليها ما لقيه من الناس ـوهو مغمومـ فلما حاورها في ذلك الشأن أشارت إليه بذلك الرأي الحصيف، وهو أن يبدأ ذلك بنفسه؛ فأخذ ـعليه الصلاة والسلامـ برأيها؛ فحصل الخير الكثير من جراء ذلك.

وفي هذا تنبيه إلى أن الزوج العاقل هو من يُعنى بزوجته، ويرفع من شأنها، ويحاورها، ويستشيرها فيما ينوبه من بعض أحواله.

وفيه إرشاد لمن يستهين بزوجته؛ فلا يراها إلا هملاً مضاعاً، أو لقىً مزدرىً تذروه الرياح؛ فلا يعتد بحوارها، ولا يستشيرها في أي شيء من شؤونه، ولا يأخذ برأيها إن هي أشارت؛ فيخسر بذلك خيراً عظيماً، وسعادة معجلة.

المثال الثالث: أن عائشة ـرضي الله عنهاـ كانت البِكْرَ الوحيدة من أزواجهﷺ

١ـ رواه البخاري من حديث الحديبية الطويل (٢٧٣١) و (٢٧٣٢)، وأحمد ٤/٣٢٦.

وكانت تُدِلُّ بذلك، وتشير إليه بذكاء وفطنة امتازت بها، تقول: «يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكِل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أيِّها تُرتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يُرتع منها» تعني أن رسول اللهﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.[١]

ففي هذا الحوار إدلال مقبول لا يخالف الحقيقة، ولا يجانب الصدق؛ فليس من ضرر في استجابة الرسولﷺ وإرضائه لهذا الإدلال والاعتزاز، وإدخاله بذلك السرور على قلب زوجه.

المثال الرابع: ما جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «خرجتُ مع النبيﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: تقدَّموا، فتقدَّموا، ثم قال لي: «تعالي أسابقك».

فسابقتُه فسبقتُهُ، فسكتَ عني حتى إذا حملت اللحم، وبدنت، ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال: «تعالي حتى أسابقك».

فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»[٢].

فهذا حوار مرح يُدْخِلُ ـعليه الصلاة والسلامـ به الفرح إلى زوجه.

المثال الخامس: ما كان من لطفه ـعليه الصلاة والسلامـ مع عائشة بالكلام، ومداعبته لها، حيث قال مرة: «إني لأعلم إذا كنت عنّي راضية، وإذا كنت عليّ غَضبى».

---

١ ـ انظر صحيح البخاري (٤٧٨٩).

٢ ـ رواه أحمد (٢٦٣٢٠) وأبو داود (٢٥٧٨).

قالت: ومن أين تعرف ذلك؟

قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم».

قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.[١]

فما أطيب هذه المعاشرة، وما ألطف رسول اللهﷺ، وما أحسن خلق عائشة -رضي الله عنها- مع زوجها الرسول الكريمﷺ.[٢]

فهذا شيء من سيرته -عليه الصلاة والسلام- في حواره مع زوجاته يتبين من خلاله ذوقه الرفيع، وقدرته على موائمة زوجاته، وإدخال السرور عليهن من خلال الحوار الهادئ الهادف.

ويتبين من خلال ذلك مقدار الخسارة التي يُمنى بها من يفرط بهذا الأدب مع أهل بيته؛ فمن الرجال من لا يأبه بحوار زوجته؛ فتراه يقاطعها إذا تحدثت، أو يتشاغل عنها بقراءة كتاب أو جريدة، أو بمكالمة هاتفية، أو بالإشاحة بالوجه عنها، أو إجالة النظر يمنة ويسرة.

ومن ذلك أن يستخف بحديثها، أو يبادر بإكماله إذا بدأت به، أو أن يقوم عنها قبل إكماله، أو أن يسارع إلى تكذيبها إذا طَرقَتْ سمعه بحديث لم يألفه.

وذلك مما ينغص عيش المرأة، ويوغر صدرها، كيف لا وهي تنتظر من الزوج أن

---

١ - رواه البخاري (٤٩٣٠ و ٥٧٢٨) ومسلم (٢٤٣٩).

٢ - انظر زاد المعاد لابن القيم ١/١٥١-١٥٢، وسيرة الرسولﷺ مقتبسة من القرآن الكريم لمحمد عزة دروزة ١/٦٨-٩٦، ومحمدﷺ المثل الكامل ص٢٥١-٢٥٩، وفقه السيرة لمحمد منير غضبان ص٦٤٣-٦٧٦.

يكون سميرها، وأنيسها الذي تفضي إليه بهمومها، وتجد عنده الحلول المثلى، والعزاء، والمواساة؟

فمن حق الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها، فيهش عند لقائها، ويمازحها ويداعبها؛ تطييباً لقلبها، وإيناساً لها في وحدتها، وإشعاراً لها بمكانتها من نفسه، وقربها من قلبه.

ومن حسن المعاشرة أن يعتني الزوج بمحادثة زوجته، فيصغي لها إذا تحدثت، ويظهر العناية بحديثها، فلا يتشاغل عنها، ولا يقوم قبل أن تكمل حديثها إلا بعد إذنها؛ فذلك من كمال الأدب مع كل أحد فكيف بالزوجة وهي من أحق الناس بالبر؟

وكيف إذا كان ذلك دأب نبينا ـعليه الصلاة والسلامـ مع أزواجه؟

المبحث الثاني: حواراته ﷺ مع الشباب والصغار

لمحادثةِ المربي الصغارَ فائدةٌ عظمى، وللحوار الهادئ معهم أهمية كبرى، ولتعليمهم آداب الحديث وطرائقه وأساليبه ثمرات جُلّى؛ فبذلك ينمو عقل الصغير، وتتوسع مداركه، ويزداد رغبةً في الكشف عن حقائق الأمور، ومجريات الأحداث.

كما أن ذلك يكسبه الثقة في نفسه، ويورثه الجرأة والشجاعة الأدبية، ويشعره بالسعادة والطمأنينة، والقوة والاعتبار، مما يعده للبناء والعطاء، ويؤهله لأن يعيش كريماً شجاعاً، صريحاً في حديثه، جريئاً في طرح آرائه.

ولقد كان للنبي ﷺ النصيب الأوفى، والقِدْحُ المعلى في ذلك الشأن؛ فلقد كان يعنى بهذه الطائفة من الناس؛ فكان يحرص على محاورتهم، ويصغي إلى أحاديثهم، وينظر في اهتماماتهم، ويجيب عن أسئلتهم، وربما ابتدرهم بالسؤال أو الحديثِ دون احتقار لهم، أو غض من شأنهم؛ فَيُعِدُّهم بذلك لأن يكونوا رجالاً يقومون بالمهمات العظام.

وسيرته -عليه الصلاة والسلام- حافلة بذلك الشأن، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، منها ما يلي:

١- جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، وإن كان ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يقال له أبو عمير: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَير؟[١]»[٢].

---

١ - طائر كان يلعب به.

٢ - البخاري (٦١٢٩ و ٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠).

فانظر إلى هذا الخلق، وذلك التواضع؛ حيث نزل بحواره إلى ذلك الصغير يسأله عن طائر كان يلعب به.

ولسائل أن يقول: وهل وجد النبي ﷺ فراغاً لكي يحاور هذا الصغير في هذا الأمر اليسير؟

ويقال: نعم هذا شأن العظماء؛ فهم لصغار الأمور وكبارها؛ فكيف بسيد العظماء وإمامهم؟

٢ـ **وجاء في الصحيحين عن مالك بن الحويرث** ﷺ قال: «أتينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَة[١] متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أننا اشتقنا أهلنا، وسَأَلَنَا عمن تركنا وراءنا من أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم، ومُرُوهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي».[٢]

فقد أدرك ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذوقه المرهف أن هؤلاء الشباب قد اشتاقوا إلى أهليهم؛ فسألهم عنهم، ثم أمرهم بالرجوع وتعليم أهليهم، وأمرهم، والصلاة كما كان يصلي.

ومن خلال ذلك الحوار تَلَمَّسَ النبي ﷺ حاجات هؤلاء، وراعى أسنانهم، وزرع الثقة في نفوسهم.

٣ـ **وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة** ﷺ قال: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا؛ فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا:

١ـ جمع شاب.

٢ ـ أخرجه البخاري (٦٠٥ و ٥٦٦٢ و ٦٨١٩) ومسلم (٦٧٤).

مه مه، فقال: ادْنه، فدنا قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أَفَتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أَفَتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه؛ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».[1]

وقد مضى إيراد هذا الحديث في الفصل الماضي، والشاهد ههنا أن النبيﷺ حاور هذا الشاب، وأدرك أنه صادق، وأنه يريد الزنا بدافع غريزته التي فطر عليها؛ فهو يستأذن النبيﷺ.

فلم يعنفه -عليه الصلاة والسلام- وإنما راعى حاله؛ فأدناه قريباً منه، وأجلسه، وحاوره بكل لطف، وبعد أن اقتنع الشاب من خلال تلك الأسئلة الخمسة التقريرية - وضع النبي ﷺ يده عليه، وفي ذلك مزيد عطف وحنان.

ولم يكتف - عليه الصلاة والسلام - بذلك، بل دعا له وهو يسمع بثلاث دعوات هو بأمس الحاجة إليها؛ فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب، ولم

---

١ - أحمد ٥ / ٢٥٦، ٢٥٧، وقال الألباني في الصحيحة (٣٧٠): «وهذا سنده سند صحيح، رجاله كلهم رجال الصحيح».

يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

٤ـ ما كان من مشاوراته لكثير من الشباب حتى في الشؤون الكبيرة، كما في مشاورتِه لأسامة بن زيد في قصة حديث الإفك، وفيه: قالت عائشة ـرضي الله عنهاـ: «فدعا رسول اللهﷺ عليَّ بن أبي طالب، وأسامة بن زيد ـرضي الله عنهماـ حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار على رسول اللهﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله! أَهْلَك، ولا نعلم إلا خيراً» الحديث[١]، وقد مضى ذكره في موضع سابق.

ولا ريب أن لهذه المشورة أثرها في نفس أسامة ﷺ فهو في مقتبل عمره، بل ربما لم يصل إلى الخامسة عشرة، ومع ذلك يستشار في مثل هذا الأمر العظيم.

وفي هذا تربية للشباب، واستثارة لقرائحهم، وزرع للثقة في نفوسهم؛ فلا غرو ـإذاًـ أن يكون أسامة من أكابر الصحابة، وأن يكون ذا الرأي السديد، والمواقف العظيمة إبان الفتن التي جاءت بعد ذلك.

٥ـ ما جاء في حديث عُمَرَ بن أبي سلمة ﷺ لما كان صغيراً، حيث كان في حَجْرِ[٢] النبيﷺ وكان يأكل طعاماً معه، وكانت يده تطيش في الصحفة، فقال له النبيﷺ: «يا غلام! سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»[٣].

فقد ناداه النبي ﷺ فاسترعى انتباهه، ثم وجَّهَهُ دون كهر ولا نهر؛ فأفاد عُمَرُ

---

١ ـ رواه البخاري (٤٧٥٠).

٢ـ في حَجْره: أي في تربيته وتحت نظره.

٣ ـ رواه البخاري (٥٣٧٦ و ٥٣٧٧) ومسلم (٢٠٢٢).

من ذلك الحوار المليء بالحنان، فقال ﷺ: «فما زالت تلك طِعْمَتي بعدُ»[١].

٦ـ ما جاء من حديث ابن عمر ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٢].

فانظر إلى هذا العطف في هذا الحوار؛ حيث وضع يده على منكبيه؛ ليشعره بالدفء والحنان، ثم أوصاه بتلك الوصايا العظيمة التي استوعبها ابن عمر؛ فكان من أشد الناس اتباعاً للنبي ﷺ وكان ﷺ يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[٣].

وهكذا يتبين لنا عناية رسول الله ﷺ بحوار الشباب الصغار؛ وأن لذلك أثره البالغ في حياة أولئك؛ حيث أصبحوا قادة وعلماء من جراء تلك الرعاية الكريمة، والتربية العظيمة.

وفي ذلك درس لكل مربٍّ يريد أن يطبع من تحت يده على الشهامة، والمروءة، ومواجهة الحياة؛ إذ يحسن به أن يفيد من تلك السيرة في محاورة صغاره؛ فلذلك أثره في إعداد أولئك لمواجهة تكاليف الحياة ومتغيراتها.

ومع أهمية هذا الأمر وعظم فائدته إلا أن هناك تقصيراً كبيراً فيه؛ فكثير من الناس لا يأبه بمحادثة الصغار ولا يلقي بالاً لتعليمهم آداب الحديث و أساليبه؛ فتراه لايصغي إليهم إذا تحدثوا، ولايجيب عن أسئلتهم إذا هم سألوا، بل ربما

---

١ ـ رواه البخاري (٥٣٧٦ و ٥٣٧٧) ومسلم (٢٠٢٢).

٢ ـ البخاري (٦٤١٦)، وأخرجه الترمذي (٢٣٣٣).

٣ ـ البخاري (٦٤١٦).

كذّبهم إذا أخبروا، ونهرهم وأسكتهم إذا تكلموا.

وهذا من الخلل الفادح، والتقصير الكبير؛ فهذا الصنيع مما يولّد الخوف في نفس الصغير، كما يورثه التردد، والذلة، والمهانة، والخجل الشديد، وفقدان الثقة بالنفس، بل قد يجر له أضراراً تؤثر في مستقبله ومسيرة حياته.

ولهذا كان حرياً بالمربين-من والدين ومعلمين وغيرهم-أن يعنوا بهذا الجانب، وأن يرعوه حق رعايته، ويفيدوا من السيرة النبوية في هذا الشأن؛ فيحسن بهم إذا خاطبهم الصغار أن يُقبلوا عليهم، وأن يصغوا إلى حديثهم، وأن يجيبوا عن أسئلتهم، وأن ينأوا عن كل ما يشعر باحتقار الصغار وازدرائهم.

إن تدريب الصغير على أدب المحادثة، وتعويده على الحوار الهادئ والمناقشة الحرة-يقفز بالمربين إلى قمة التربية والبناء؛ فبسبب ذلك ينطلق الطفل، ويستطيع التعبير عن آرائه، والمطالبة بحقوقه، فينشأ حراً كريماً أبيًّا، فيكون في المستقبل ذا حضورٍ مميز، ويكون لآرائه صدىً في النفوس؛ لأنه تربى منذ الصغر على آداب الحديث وطرائقه.

وليس المقصود مما مضى أن يُسرفَ في إعطاء الحرية المطلقة للصغير، فَيُلْقَى له الحبل على الغارب، ويفتح الباب على مصراعيه، فيسمح له بالصفاقة والوقاحة، ويُرضى عن تطاوله وإساءته، ويُضحك له إذا صدر منه عباراتٌ نابية أو كلمات ساقطة؛ زعماً أن ذلك من باب إعطائه الفرصة وتدريبه على الكلام!

لا، ليس الأمر كذلك؛ فالرضا عن سفاهته وتطاوله يغريه بقلة الأدب، والضحك له حال صدور الكلمات القبيحة منه يعد حافزاً له بتكرارها.

فالمقصود أن يؤخذ بيده إلى الآداب المرعية، وأن يدرب على الكلام في حدود الأدب واللياقة بعيداً عن الإسفاف والصفاقة.[١]

وهكذا نفيد من السيرة النبوية هذا الأدب العالي، والأسلوب الرفيع في تربية الصغار من خلال الحوار.[٢]

---

١ ـ انظر تربية الأطفال في رحاب الإسلام لمحمد الناصر وخولة درويش ص٣٢٣ـ٣٢٥، ومشكلات تربوية في حياة طفلك لمحمد رشيد العويد ص٣٧ـ٤١.

٢ ـ انظر أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة ص٤١ـ٤٢.

المبحث الثالث: حواراته ﷺ مع الشعراء

لقد خرج النبي ﷺ في بيئة عربية، تتنافس في نظم القصيد، والرجز؛ فكان من دواعي إعجابها، واغتباطها ما كان يفيض من قرائح شعرائها، وخطبائها في المفاخرات، والمنافرات، والحَمَالات، والمهادنات.

وما كان لكل عربي أن ينفتق لسانه بقول الجيد من الشعر أو النثر؛ فقد يأتي الجيل والجيلان والقبيلة العظيمة لا يظهر فيها شاعر أو خطيب يعلي صوتها، ويعدد من عام إلى عام مآثرها، ويرفع - بما ينشؤه - الضيم عن أهلها، ويُرهب بسلطان بلاغته عدوها.[1]

ولقد كان الشعر أنذاك أشبه بوزارة الإعلام في عصرنا الحاضر؛ فكان له صولة وجولة، ونفوذ ووقع في النفوس؛ فكان يخلد المآثر، ويبين المروءات والمكارم.

ولقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة؛ فكان للشعراء نصيب من حواره -عليه الصلاة والسلام- من خلال توجيهه إياهم، واستماعه لهم، واستنشادهم شِعْرَهم، وحَضِّهم على نصرة الإسلام، والدفاعِ عنه، وبيانِ محاسنه؛ فكان يشجعهم، ويسددهم، ويدعو لهم، ويكافئهم، ويستشهد بشعرهم، وربما استوقفهم وناقشهم.

وله في حواراته مع الشعراء أخبار يطول ذكرها، وفيما يلي أمثلة لذلك.

جاء في صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً؛ فإنه أشد عليها من رشق النبل».

فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم»، فهجاهم، فلم يُرْضِ، فأرسل إلى

---

١ - انظر أمراء البيان لمحمد كرد علي ص٩.

كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أَدْلَعَ لسانَه، فجعل يحركه، ثم قال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فريَ الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل؛ فإن أبا بكرٍ أعلمُ قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يُلَخِّصَ لك نسبي».

فأتاه حسان ثم رجع، فقال: يا رسول الله؛ قد لَخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسّان: «إن روح القُدُس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله».

وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى».[1]

وهكذا أفاد -عليه الصلاة والسلام- من موهبة حسان الشعرية، وبين له من خلال حواره معه ألا يعجل في الهجاء، حتى يعرف أنساب قريش؛ فلا يقع في ذم رسول الله ﷺ من حيث لا يشعر، ووجَّهه إلى نَسَّابة خبير ألا وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى يُلَخِّص لحسان نسب رسول الله ﷺ.

فلما لخص أبو بكر لحسان -رضي الله عنهما- نسب النبي ﷺ بث فيه الرسول ﷺ روح الشجاعة والتأييد، وذلك من خلال قوله لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله».

بل زاد على ذلك بالدعاء لحسان؛ فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله،

---

١ - مسلم (٢٤٩٠).

أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس».

قال: اللهم نعم.[١]

ولقد أنشد كعبُ بن زهير قصيدته المشهورة (بانت سعاد) أمام النبي ﷺ فكان للنبي ﷺ وقفات أثناء إلقاء القصيدة يحاور قائلها، وأصحابَه فيها، ومن ذلك أن كعباً لما بلغ إلى وصف راحلته، فقال:

قنواء في حرتيها للبصير بها ... عِتْقٌ مبينٌ وفي الخدين تسهيل

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما حرتاها؟ فقال بعضهم: عيناها، وسكت بعضهم، فقال رسول الله ﷺ: هما أذناها.

ولما بلغ كعب قوله في مدح المهاجرين:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل

نَظَرَ رسول الله ﷺ إلى من حوله من قريش نَظَرَ مَنْ يومئ إليهم أن اسمعوا هذا المدح.[٢]

ولقد بلغ من إعجابه -عليه الصلاة والسلام- بتلك القصيدة أن عفا عن كعب بعد أن كان قد أهدر دمه، ومنَّ عليه ببردته.

يقول الشيخ عبدالحي الكتاني رحمه الله: «وقد اشترى تلك البردة منه معاوية بثلاثين ألف درهم، وكانت عنده من أَجَلِّ ملكه وأعظم.

وكانت أمراء بني أمية يتبركون بلبسها في الأعياد والمواسم، ويعدونها أفخر لباس، حتى وصلت مع الدولة لبني العباس.

---

١ - البخاري (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٨٥).

٢ - انظر السيرة النبوية لابن هشام ١١٣/٤ و ١١٦، والهداية الإسلامية ٥٩٢/١٠-٥٩٣.

وكان للأمة الإسلامية كبير اعتناء بهذه القصيدة اللامية البديعة حفظاً، واستنشاداً، وشرحاً، ومعارضة.

قال الشيخ الأديب أبو جعفر البصير الألبيري الأندلسي لما ذكر الكعبية هذه: وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب في مسجده ـعليه السلامـ بحضرته، وحضرة أصحابه، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسد ﷺ خلته، وخلع عليه حُلَّته، وكَفَّ عنه كَفَّ مَنْ أراده، وأبلغه في نفسه وأهله مراده، وذلك بعد إهدار دمه، وما سبق من هدر كلمه، محت حسناتها تلك الذنوب، وستر محاسنُها وجهَ تلك العيوب».[1]

ومن الأمثلة على حواراته ـعليه الصلاة والسلامـ للشعراء، وإجازته لهم هذه القصة الغريبة التي ساقها الشيخ عبدالحي الكتاني بسنده، يقول رحمه الله:

«باب تكرمه ـعليه السلامـ بأعظم سَبْيٍ سُبِيَ له بسبب أبيات شعرية قدمت له ـعليه السلامـ».

ثم قال الكتاني: «هذه القصة غريبة في بابها، عزيز إسنادها، افتتن المحدثون، وتهافتوا على روايته؛ لأنه أعلى ما حصل للمتأخرين كالحافظين السيوطي، والسخاوي، وأمثالهما ممن أدرك المائة العاشرة، ورواياه عشارياً بينهم، وبين النبي ﷺ فيه عشرة وسائط.

قال السخاوي في فتح المغيث: تقع لي العشاريات بالسند المتماسك من المعجم الصغير للطبراني وغيره، ولا يكون في الدنيا أقل من هذا العدد.

---

١ ـ التراتيب الإدارية للشيخ عبدالحي الكتاني ٢١٣/١.

وقال السيوطي في التدريب: أعلى ما يقع لنا، ولأضرابنا في هذا الزمان من الأحاديث الصحاح المتصلة بالسماع ما بيننا، وبين النبيﷺ فيه اثنا عشر رجلاً، وبالإجازة في الطريق أحد عشر، وذلك كثير، وبضعف يسير غير واه عشرة، ولم يقع لنا بذلك إلا أحاديث قليلة جداً في معجم الطبراني الصغير.

قلت: حُبِّب إليَّ أن أسوقها هنا بأعلا ما حصل لنا، ولأقراننا في قرننا هذا الرابع عشر.

ثم ساقها الكتاني رحمه الله بسنده إلى أبي جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أَسَرَنا رسولُ اللهﷺ يوم هوازن ذهب يُفَرِّق السبي، فأتيته فقلت:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرءُ نرجوه وننتظر
امنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... مشتتٍ شَمْلُها في دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغَمَّاءُ والغُمر
إن لم تَدَارَكْهُمُ نعماءُ تنشرها ... يا أرجح الناس علماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنَّ كمن شالت نعامتُهُ ... واستبق منا فإنا معشر زُهُرُ
إنا لنشكر للنعماء إذ كُفِرَتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبسِ العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير مَن مرحت كُمْتُ الجيادِ به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفواً منك تُلْبسَه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفُ عفا الله عما أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع النبيﷺ هذا الشعر قال: «ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم».

وقالت قريش: ما كان لنا، فهو لله ورسوله.

وقالت الأنصار: ما كان لنا، فهو لله ورسوله.

قال السيوطي في التدريب: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه عشاري أخرجه أبو سعيد الأعرابي في معجمه عن ابن رماحس، وابن قار، عن عبيدالله ابن علي الخواص، عن ابن رماحس، وله شاهد من رواية ابن إسحاق في المغازي.

وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة من حديث زهير، واستشهد له بحديث عمرو ابن شعيب، فهو عنده على شرط الحسن.

ثم أتى السيوطي بكلام الذهبي، وابن عبدالبر، واقتصر عليه قبله شيخ شيوخه الحافظ العراقي في كتابه الأربعين العشاريات الإسناد، وغفلوا جميعاً عن طرقه التي جمعها له سيد الحفاظ ابن حجر في لسان الميزان، انظر ترجمة عبدالله بن رماحس منه ص٩٦ من الجزء الرابع تر عجباً، وقد انفصل على كون الحديث حسن الإسناد، وفي فتح الباري له هو حديث حسن، وقد وهم من زعم أنه منقطع.

وفي الإصابة ـأيضاًـ وهن ابن عبدالبر إسناده من غير قادح، وقد أوضحته في لسان الميزان في ترجمة زياد بن طارق.

وانظر غنيمة الواجد لأبي زيد الثعالبي، وكان عدد السبي الذي رده ـعليه السلامـ على هوازن لما استشفعوا له بهذه الأبيات، كما في المنح المكية للشهاب ابن حجر من النساء والذراري ٦٠٠٠، والإبل ٢٤٠٠٠، والغنم ٤٠٠٠٠، و٤٠٠٠ أوقية فضة»[1].

فهذا شيء من حواره للشعراء، وإجازته لهم، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفصل الخامس عند الحديث عن مجلس رسول الله ﷺ.

---

١ ـ التراتيب الإدارية ١/٢١٥ـ٢١٨.

المبحث الرابع: حواره ﷺ مع المخالفين

تمهيد

الحوار مع المخالف -أياً كان خلافه- مطلب له أصوله، وضوابطه، وآدابه، وليس المقام ههنا مقام البحث في ذلك.

وإنما المقصود بيان شيء من هديه -عليه الصلاة والسلام- في هذا الشأن.

فلقد كان ﷺ يحاور أصناف المخالفين من يهود ونصارى، ومشركين ومنافقين، ومسالمين ومحاربين سواء كانوا من أكابر أقوامهم، أو من عامتهم.

وكان -في ذلك كله- يأخذ بما أدَّبه به ربه في الكتاب العزيز، كمثل قوله -تعالى-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقوله -عز وجل-: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨).

إلى غيرها من الآيات الحاثة على العدل، والإحسان، ولو كان المخالف من ذوي الشنآن.

والسيرة العملية في حواراته مع الطبقات المخالفة ناطقة بذلك شاهدة به.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من التفصيل.

أولاً: حواراته مع اليهود: اليهود قوم بهت، وقبل بعثته -عليه الصلاة والسلام-

كانوا يستفتحون على الذين كفروا، ويخبرونهم بأنه سيخرج نبي، وأنهم سوف يحاربون معه، فلما جاءهم ما عرفوا من ظهور النبيﷺ كفروا، وكذبوا هذا النبي، وآذوه، وسحروه، وهموا بقتله، وأرادوا إطفاء نوره، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكان من جملة ما قاموا به: محاولة إيقاعه في الحرج بكثرة الأسئلة، وإثارة الشبه؛ إذ كانوا أهل علم وجدل؛ فكان -عليه الصلاة والسلام- يحاورهم ويجادلهم بالتي هي أحسن؛ فيجيب عن أسئلتهم، وإشكالاتهم، وشبههم التي يثيرونها.

كل ذلك في غاية ما يكون من الحسنى، ولين الكلام، وقوة الحجة.

وقد مضى شيء من ذلك في فصول سابقة من هذا البحث، ومن ذلك -زيادة على ما مضى- ما يلي:

المثال الأول: ما جاء في صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول اللهﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول اللهﷺ فجاء حبر من اليهود، فقال: السلام عليكم يا محمد؛ فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول اللهﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي».

فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول اللهﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك؟».

قال: أسمع بأذني، فنكت رسول اللهﷺ بعود معه، فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟

فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر» قال: فمن أول الناس

إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين».

قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

قال: «زيادة كبد النون».

قال: فما غذاؤهم على إثرها؟

قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها».

قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً» قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي، أو رجل، أو رجلان، قال: «أينفعك إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني.

قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأةِ أَذْكَرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأةِ منيَّ الرجل آنثا بإذن الله».

قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف، فذهب.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به»[1].

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- كان يُلْزِم أهل الكتاب بما في كتبهم من العلم، وينعى عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلهم، وكانوا؛ لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة تشتمل على شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالين.

والحبر اليهودي في هذا الحديث حاور النبيﷺ ودار في خلده أن النبيﷺ لن

---

١ ـ مسلم (٣١٥).

يستطيع الإجابة عن أسئلته، غير أن ظنه لم يكن في محله؛ حيث أجابه النبيﷺ عن تلك الأسئلة[١].

كما أن في ذلك الحوار أدباً نبوياً عالياً، ألا وهو التواضع الجم؛ فالنبيﷺ تواضع لهذا اليهودي، وتنزل في محاورته؛ حيث وافقه، ورضي منه بأن يناديه باسمه المجرد دون أن يعترف له بالرسالة؛ طمعاً في هدايته.

كما أن فيه أدباً آخر من آداب الحوار ألا وهو ترك التحاور فيما لا ينفع؛ حيث سأل النبيﷺ الحبرَ عن مدى نفع جوابه له، فقال: «أينفعك إن حدثتك؟».

ولهذا آتى الحوار ثمرته، وانقطع اليهودي، وأقر بالنبوة للنبيﷺ.

المثال الثاني: ما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب؛ إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: «ما رابكم إليه».

وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح؛ فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً؛ فعلمت أنه يوحى إليه؛ فقمت مقامي، فلما نزل الوحي، قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[٢].

المثال الثالث: ما جاء عن الفَلَتان بن عاصم، وذكر أن خاله قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شَخَص بصرُه إلى رجل؛ فإذا يهودي عليه قميص وسراويل

---

١ ـ انظر تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهره ص٤٩، والحوار للمغامسي ص١٤١.

٢ ـ البخاري (١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢) ومسلم (٢٧٩٤).

ونعلان، قال: فجعل النبي ﷺ يكلمه، وهو يقول: يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله؟» قال: لا.

قال رسول الله ﷺ: «أتقرأ التوراة؟» قال: نعم.

قال: «أتقرأ الإنجيل؟» قال: نعم.

قال: «القرآن؟» قال: لا، ولو تشاء قرأته.

فقال النبي ﷺ: «فِبمَ تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبياً؟» قال: «إنا نجد نَعْتَك ومخرجك؛ فلما خرجت رجونا أن تكون فينا، فلما رأيناك عرفنا أنك لست به.

قال رسول الله ﷺ: «ولِمَ يا يهودي؟» قال: إنا نجده مكتوباً يدخل من أمته سبعون ألفاً بغير حساب، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً.

فقال رسول الله ﷺ: «إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً».[1]

ثانياً: حواراته مع النصارى: لقد كان للنبي ﷺ حوارات مع النصارى سواء كانوا أفراداً أو جماعة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

المثال الأول: ما جاء في صدر سورة آل عمران إلى ثلاث وثمانين آية منها؛ حيث نزلت في وفد نجران من النصارى -كما يقول ابن كثير رحمه الله في مطلع سورة آل عمران-.[2]

---

١ - ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٠٧ - ٤٠٨ وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات».

وكذا ذكره ابن كثير في صحيح السيرة النبوية ص٧٤ - ٧٥ وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه».

وقال الألباني في صحيح السيرة النبوية لابن كثير ص٧٥: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

٢ - انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٥١.

وقال ﷺ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ (آل عمران: ٦١).

قال: «وكان سبب نزول هذه المباهلة، وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى لما قدموا؛ فجعلوا يحاجون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البُنُوَّة والإلهية؛ فأنزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم.

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أخو بكر ابن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد، وقيس، ويزيد وابناه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبدالله، ومحسن، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم:

العاقب: وكان أميرَ القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه.

والسيد: وكان عالِمَهُمْ وصاحبَ رحلهم ومجتمعهم.

وأبو حارثة بن علقمة: وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تنصر؛ فعظمته الروم وملوكها، وشرَّفوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكنْ حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية؛ لما يرى من تعظيمه فيها، وجاهه عند أهلها.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جُبَبٌ وأرديةٌ في جمال رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم؛ فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**» فَصَلَّوا إلى المشرق، قال: فَكَلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقبُ عبدُ المسيح، والسيدُ الأيهم، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ـتعالى الله عن قولهم علواً كبيراًـ.

وكذلك النصرانية، فهم يحتجون في قولهم هو الله، بأنه كان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً، وذلك كله بأمر الله، وليجعله الله آية للناس، ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يسمعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله ـتعالىـ: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا.

فيقولون: لو كان واحداً، ما قال إلا: فعلت، وأمرت، وقضيت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم ـتعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراًـ.

وفي كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: «**أسلما**»، قالا: قد أسلمنا.

قال: «**إنكما لم تسلما فأسلما**»، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك.

قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير».

قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قَوْمٌ نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه لَلاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبيﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، ونتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا.

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين».

فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظُّهر مهجراً، فلما صلى رسول اللهﷺ

الظهر، سلم ثم نظر عن يمينه وشماله، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره، حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه، فقال: «اخرج معهم؛ فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة ﷺ.

وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق، وزيادات أخر.[1]

فهذا شيء من حواراته مع النصارى، ونلاحظ فيها قوة الحجة، وجمال الحق، وشدة التأثير والإقناع.

ولولا أن أولئك النفر من النصارى كانوا أهل هوى وإيثار للدنيا على الآخرة لأسلموا وأذعنوا.

ولكنهم أصروا على كفرهم مع وضوح الحق، وعلمهم بذلك.

ولو كانوا على يقين من أمرهم لباهلوا النبي ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله في معرض حديث له عن ذكر فوائد تلك القصة: «ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب، ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامُه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة؛ فليولِّ ذلك إلى أهله، وليخلِّ بين المطي وحاديها، والقوس وباريها»[2].

١ـ انظر تفسير ابن كثير ١/٥٥١ـ٥٥٢، وانظر صحيح البخاري (٤٣٨٠ و ٤٣٨١) ومسلم (٢٤٢٠).

٢ـ زاد المعاد ٣/٦٣٩.

المثال الثاني: ما جاء في قصة قدوم عدي بن حاتم الطائي ﷺ: يقول ابن هشام رحمه الله: «وأما عدي بن حاتم فكان يقول فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرأً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[1] فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي، لما كان يُصنع بي.

فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيٍّ، وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك، أعْدُدْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً سماناً، فاحْتَبِسْها قريباً مني؛ فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني؛ ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن؛ فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: فقلت: فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام؛ فسلكت الجوشية، ويقال الحوشية فيما قال ابن هشام وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها»[2].

ويواصل ابن هشام الكلام على خبر قدوم عديٍّ، وأَسْرِ أُخْته سَفَّانة، فيذكر عن عدي قوله: «وتخالفني خَيْلٌ لرسول الله ﷺ فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصابت فَقُدِمَ بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام.

قال: فَجُعِلَتْ بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها،

١ـ أي آخذ ربع الغنيمة، وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية.

٢ـ السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٦٦ـ١٦٧.

فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلَةً، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فامنن عليَّ من الله عليك.

قال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفارُّ من الله ورسوله؟».

قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس.

قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أَنْ قُوْمِيْ؛ فكلميه قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فامنن عليَّ من الله عليك، فقال ﷺ: «قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك مَنْ يكون لك ثقة؛ حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني».

فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- وأقمت حتى قدم ركب من بَلِي أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام.

قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحَمَلَني، وأعطاني نفقةً، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة[1] تصوب إليَّ تؤمُّنا، قال فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي.

١ـ الظعينة: المرأة في الهودج.

فلما وقفت عليَّ انسحلت[١] تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك ـ عورتك ـ.

قال قلت: أي أخية لا تقولي إلا خيراً؛ فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت.

قال ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليُمْن، وأنت أنت.

قال قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته؛ فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته؛ فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بملك! قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوةً ليفاً فقذفها إلي، فقال: اجلس على هذه، قال قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، قال قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك! ثم قال: «إيه يا عدي ابن حاتم ألم تك ركوسياً؟» قال قلت: بلى.

قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟» قال قلت: بلى.

قال: «فإن ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينك» قال قلت: أجل والله.

وقال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل، ثم قال: «لعلك يا عدي إنما

---

١ ـ انسحلت: أخذت تلوم.

يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم؛ فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم؛ فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تَسْمَعَ بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان، وبقيت الثالثة والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه»[1].

فهذا نموذج رائع من حواراته ﷺ مع النصارى؛ حيث منَّ على سفانة أخت عدي بعد حواره معها؛ فأطلق سراحها، وكساها، وأعطاها نفقة.

ثم إن في حوارات النبي ﷺ عدياً ﷺ لفتاتٍ رائعةً في موضوع الحوار، وأصوله، وآدابه؛ حيث أحسن ـعليه الصلاة والسلامـ استقبال عدي، وأنزله منزلته اللائقة به؛ فَقَرَّب إليه الوسادة؛ لعلمه بأنه سيد قومه؛ فكان لذلك أثره في نفس عدي، ثم حاوره في دينه، وما كان عليه من أخذ المرباع، فكان لذلك ـأيضاًـ أثره في نفس عدي؛ إذ أدرك أن هذا النبي لا يتكلم إلا عن علم ويقين.

وفي نهاية المحاورة رَغَّبه النبي ﷺ بالإسلام، وحدَّثه عما سيكون في مستقبل الأيام؛

١ـ السيرة النبوية ٤/١٦٧ـ١٦٨.

فكان ذلك أقوى الدوافع لإسلام عديٍّ؛ فأسلم ورأى مصداق ما أخبره به النبي ﷺ.

ثالثاً: حواراته ﷺ مع المنافقين: لقد لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- من المنافقين ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة، والأفعال الساقطة.

ومع ذلك فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يعاملهم بما يشبه معاملة المهتدين من المسلمين من الرحمة، والرفق، ومعاملة الإساءة بالعفو، أو الإحسان.

وكان يحاورهم بألطف المحاورة، ويحملهم على ظواهرهم، دون بحث عما تكنه سرائرهم، وتنطوي عليهم دخائل نفوسهم.

ويشهد لذلك حوادث كثيرة، ولعل أجلاها ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبدالله بن أُبَي بن سلول، وإليك طرفاً من ذلك.

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد، أن نبي الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث من الخزرج، قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي -أي: يتظاهر بالإسلام- فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غَشِيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدابةِ خَمَّر عبدُالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف؛ فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال: عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله؛ فاغشنا به في مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون، والمشركون،

واليهود؛ حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يُخَفِّضُهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ: «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب -يريد عبد الله بن أبي- قال: كذا وكذا».

قال سعد بن عبادة: يا رسول الله! اعف عنه واصفح؛ فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، وقد اصطلح أهل هذه البحيرة -أي: البلدة، وهي يثرب التي صارت المدينة وطيبة- على أن يتوِّجوه، فَيُعَصِّبوه بالعصابة -أي: يتوجوا عبدالله بن أبي ملكاً عليهم- فلما أبى الله ذلك، فاتت الفرصة على عبد الله ابن أُبَي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك -أي: غص به وكرهه- فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ.[1]

فهذا الحديث من أعظم ما يكون من أمثلة التعامل مع المخالف.

ولو أراد باحث أن يستقصي ما فيه مما يتعلق بالحوار لطال به المقام؛ فانظر كيف اسْتُقْبِلَ -عليه الصلاة والسلام- بذلك الاستقبال الفاتر الذي لا يليق بأحط الناس؛ فكيف بخير الناس؛ حيث غطى ابن أبي أنفه بردائه؛ إشارة إلى الكراهية.

ولم يكتف بذلك، بل قال: «لا تغبروا علينا» فاجتمع في الإساءةِ إشارةُ اليد، وإطلاقُ اللسان.

ولم ينل ذلك الموقف نيله من النبي - عليه الصلاة والسلام- بل سلَّم عليهم؛ فلم يقابل إساءتهم إلا بالإحسان، ثم وقف، وتواضع؛ فنزل عن دابته،

---

١ - البخاري (٤٥٦٦) ومسلم (١٧٩٨).

ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، ثم أعطى الفرصة لمحاوريه، فتقدمهم عبدالله بن أبي، فقال بكل صفاقة وشك: «أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك؛ فمن جاءك فاقصص عليه».

فقد نادى النبيَّ ﷺ بنداء المُنْكِر له ولنبوته؛ فقال: «أيها المرء».

ولم يقل: يا نبي الله، أو يا أبا القاسم، أو يا محمد.

ثم أي أذية سوف تنالهم من حديث هذا النبي الأكرم حتى يقول ابن أبي: «فلا تؤذنا به»؟

وبعد أن استَبَّ المجلس، وكادوا يتقاتلون صار -عليه الصلاة والسلام- يخفضهم بلهجته الهادئة الرحيمة حتى سكنوا، وزالت عنهم سورة الغضب.

ثم لما لم يجد للحوار قيمة بعد ذلك ركب دابته، وانصرف.

وهل وقف الأمر عند هذا؟ لا، بل إنه لما دخل على سعد بن عبادة قال -عليه الصلاة والسلام-: «يا سعد! ألم تسمع ما قال أبو حباب -يريد عبدالله بن أبي- قال: كذا وكذا».

فتأمل هذا الأدب الرفيع، وهذه النفس الكبيرة، وذلك القلب المفعم بالحب، والعدل، والإحسان؛ لم يقل: ألم تسمع ما قال ذلك الأشقى، أو الألد، أو غيرها من الألفاظ التي تليق بعبدالله بن أبي، بل لم يُسَمِّه باسمه المجرد، ولم يقل: ابن أبيٍّ، وفي ذلك عدل، وإقساط.

وإنما ارتقى؛ ليفصح عما هو أعظم من ذلك، وليبين مدى تسامحه، ورقته، ورأفته، وسلامة صدره، وترفعه؛ فَكَنَّاه بكنيته وقال: «أبو حباب».

والتكنية المحببة إلى الإنسان هي مما يسره؛ ولا يقولها من في نفسه غضب أو غضاضة، ومع ذلك كناه بكنيته المحببة إليه، مع أن ابن أبيٍّ ناداه بـ: يا أيها المرء -كما مر-.

ثم تأمل ما كان من ذلك السيد الألمعي الصحابي الجليل سعد بن عبادة؛ حيث لمح تأثر النبيﷺ وأدرك سَعَةَ نفسه، وكِبَرَ قلبِه بتكنيته ابن أبي، فأراد تسليته، وطلبَ العفو منه؛ فطابت نفسه -عليه الصلاة والسلام- وعفا عن ابن أبي.

وهل صار لذلك الحوار، وتلك الإساءة من ابن أبي أثر في نفس النبيﷺ وهل قطع إحسانه عنه؟ أو جعلها ذريعة للوقيعة فيه؟.

وهل توقف ابن أبي عن مخازيه؟ لا؛ فهو الذي آذى النبي أيما أذية؛ حيث آذاه في بيته كما في قصة الإفك - فهو الذي تولى كبره، وأشاع قالة السوء عن عائشة -رضي الله عنها-.

وهو الذي رجع بمن تبعه من الطريق يوم أحد، فخذل النبيﷺ في أحرج أوقاته، وهو الذي قال -كما أخبر الله عز وجل عنه-: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ (المنافقون: ٨).

وهو صاحب المواقف المشهورة بالخزي والشنار.

هذا الرجل الذي كان من شأنه ما كان لما مات طلب ابنُه من النبي قميصه؛ ليكفنه فيه؛ تطهيراً له؛ فأعطاه قميصه كفناً لزعيم المنافقين!

أرأيت أكرم من هذا الصنيع؟ وهل وقف الأمر عند هذا الحد؟

لا، بل مشى - عليه الصلاة والسلام - إلى قبره، فوقف يريد الصلاة عليه، فوثب إليه عمر بن الخطاب ﷺ وقال: أتصلي على ابنِ أُبيٍّ وقد قال يوم كذا وكذا: كذا

وكذا؟ يعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخِّر عني يا عمرُ».

فلما أكثر عليه قال: «إني خيِّرت فاخترت؛ لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها».

وذلك إشارة إلى قوله -تعالى- في المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٨٠).

ففي الخيار بين أن يستغفر أو لا يستغفر نزعت به طبيعته الرحيمة إلى الاستغفار لأعدائه.

قال عمر بن الخطاب في نهاية الحديث: «فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف؛ فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ (التوبة).

قال: فعجبت بَعْدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ، والله ورسوله أعلم».[1]

فهذه مواقفه مع زعيم المنافقين؛ فما ظنك بمن دونه؟

ولا ريب أن لتلك الحوارات والمواقف أثرها البالغ على الموافق والمخالف؛ فالموافق يأخذ العبرة؛ فيصبر على جفاء المسيء، وينتظر حسن العاقبة.

والمخالف يُقْصِر عن التمادي، ويراجع نفسه، وربما رجع عن غيه؛ لأن النار إنما تُذكى بالعودين.

والمتأمل للسيرة النبوية يلحظ أن النبي ﷺ لم يكن ليستعديَ أحداً من الناس كائناً من كان، بل كان يخطب الود في كافة حواره، وفي أي فرصة تسنح له.

---

١ - انظر صحيح البخاري (١٣٦٦).

رابعاً: حواراته مع المشركين: لقد خرج -عليه الصلاة والسلام- في بيئة عم فيها الشرك، والتقرب للأوثان؛ فكانت قبيلة قريش على الشرك.

وقد جاء بتلك الدعوة الطاهرة التي تأمر الناس بتوحيد الله، وتنهاهم عن الشرك به؛ فما كان من أولئك القوم إلا أن كذبوه، وناصبوه العداء؛ فكان يعفو، ويصفح، ويلقاهم بالجميل، ويعرض عليهم الدعوة بوضوح وجلاء.

ومما كان يأخذ به إبان دعوته - مبدأ الحوار، فكان يبتدرهم بالحوار، وكان يجيب عن إشكالاتهم، وكان ينصت لهم، ويصغي لما يقولون، ويأخذ بكل ما تقتضيه أصول الحوار وآدابه.

وقد مر في فصول ماضية نماذج من ذلك، ومن أجلاها حواره العظيم مع زعيم من زعماء قريش وهو عتبة بن ربيعة.

ومما كان يأخذ به حال حواره معهم أنه يحسن استقبالهم، ويرغّبهم في الإسلام، ويُقبل على من يرغب بالدخول فيه، ويشعرهم بعظيم مغفرة الله، وجزيل ثوابه، وعفوه عما سلف.

وإذا دخلوا في الإسلام لم يُذكّرْهم بماضيهم، وما كان منهم قبل الإسلام؛ فالعبرة عنده بكمال النهاية لا بنقص البداية.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ومن أجلاها ما يلي:

أ- ما جاء في قصة الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ وهو في سياق الموت؛ فقد جاء في صحيح مسلم عن ابن شِمَاسة المَهْرِي قال: حَضَرْنا عَمْرَو ابن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنُه

يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟

قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعِد: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ إني قد كنت على أطباق ثلاثٍ: لقد رأيتُني وما أحدٌ أشدّ بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟».

قال: قلت: أردتُ أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟».

قلت: أن يُغْفَر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله».

وما كان أحد أحبّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أُطيق أن أملأَ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطَقْتُ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم وَلِينَا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مُت فلا تَصْحَبْني نائحةٌ، ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قَدْرَ ما تُنحر جزور ويُقسم لَحْمُها؛ حتى أسْتَأْنِسَ بكم، وأنظر ماذا أراجعُ رسلَ ربي».[1]

والشاهد ههنا ما كان في حوار عمروٍ للنبي ﷺ لما أراد الدخول في الإسلام وذلك عندما قال: فقبضت يدي، فقال الرسول ﷺ: «مالك يا عمرو»؟

فإن عمراً ههنا توقف، وأراد أن يعرف مصير أعماله التي سلفت منه في الكفر؛ فاشترط أن يغفر له.

---

١ ـ مسلم (١٢١).

فما كان من النبيﷺ إلا أن أقبل عليه، ورغَّبه في الإسلام، وبَشَّره بأعظم مما كان يتصور، وبيَّن له أن الإسلام، والهجرة، والحج كل أولئك يهدم ما قبله؛ فكان ذلك دافعاً لإقبال عمرو على الإسلام.

ولما أسلم عمرو، وحسن إسلامه كان من أكابر الصحابة، وكانَ النبيﷺ يُدْنيه، ويتطلَّق له، ولا يذكِّره بماضيه؛ فملكت تلك المعاملةُ شِغَافَ قلب عمرو، فانقلبت تلك البغضة إلى محبة، بل إنه -كما يقول- لا يستطيع وصف رسول الله؛ لأنه لم يملأ عينيه منه؛ إجلالاً له.

وهكذا ملك - عليه الصلاة والسلام - قلب هذا الرجل الداهية العظيم، وإنما ملكه بحسن حواره، ولطف معاملته؛ فصار أحب الناس إليه.

ب - ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالكﷺ قال: نهينا أن نسأل رسول اللهﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من أهل البادية؛ فيسأله، ونحن نسمع، فأتاه رجل منهم، فقال: يا محمد، أتانا رسولك؛ فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق».

قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله».

قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله».

قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: «الله».

قال: فمن جعل فيها هذه المنافع؟ قال: «الله».

قال: فبالذي خلق السماء والأرض، ونصب الجبال، وجعل فيها هذه المنافع، الله أرسلك؟ قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا صدقة في أموالنا؟ قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا؟ قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم».

قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق».

قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم».

قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن.

فلما مضى، قال: «لئن صدق، ليدخلن الجنة»[1].

وهكذا اتسع صدر النبيﷺ لهذا السائل وهو ضمام بن ثعلبة، وأجابه عن أسئلته كلها بحلم، وصبر، وعلم؛ فكانت سبباً لدخول ضمام في الإسلام.

ج ـ ما كان منه ـعليه الصلاة والسلامـ في فتح مكة؛ فالنبيﷺ لا يتخلى عن عادته الجميلة، وأخلاقه الكريمة في الحوار حتى في حال الحرب، التي ـغالباًـ ما يزهو فيها المنتصر، ويحاور خصومه بلغة التعالي، والشماتة، والفخر، والإعجاب بالنفس.

وإذا أردت مثالاً يثبت فؤادك فانظر إلى ما كان منه ـعليه الصلاة والسلامـ يوم فتح مكة الذي حصل بعد صراع مرير، وبعد أن فعلت قريشٌ بالنبيﷺ وأصحابه ما فعلوا.

فعندما انتصر عليهم، وأحاط بهم إحاطة السِّوار بالمِعْصم، وظنت قريش الظنون؛ لعلمهم بسوء صنيعهم السابق، وحسبوا أنه سيدخل مكة دخول الجبابرة والطغاة مزهواً منتقماً ـ فاجأهم بأن جاء متواضعاً متخشعاً لربه، غير مَزْهوٍّ بنصره، ولا شامت بأعدائه.

وعندما رأى قريشاً وهم يتوقعون الإجهاز عليهم، ورأى جموع الصحابة وهم يتلمظون تَلَمُّظَ الحيَّات وهم ينتظرون أدنى إشارة منه حتى يبيدوا خضراء قريش ـ قال

---

[1] ـ البخاري (٦٣) ومسلم (١٢).

النبي ـعليه الصلاة والسلامـ مخاطباً قريشاً: «ما تظنون أني فاعل بكم»؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: «فاذهبوا فأنتم الطلقاء».[1]

أين هذا الحوار الراقي من كثير مما نراه في حروب اليوم، من الغطرسة، والكبر، وظلم الضعفاء، وإذلالهم؟!

خامساً: حواراته مع الزعماء والملوك: لقد كان ـعليه الصلاة والسلامـ يدعو الناس جميعاً إلى دين القيِّمة.

ومن أولئك الناسِ الزعماءُ والملوك؛ فقد كان يحاورهم بالتي هي أحسن، إما حواراً مباشراً، أو عبر الكتب التي يكاتبهم بها، أو يرسل إليهم رسلاً، ويعلمهم كيف يحاورون أولئك.

وكان في ذلك كله يأخذ بالحكمة مع أولئك؛ فيحاورهم بما يليق بهم من مراعاة أحوالهم، وتنزيلهم منازلهم، ومخاطبتهم بما هو أدعى لهدايتهم، وأقرب إلى جلب المصالح للمسلمين، ودفع الغوائل عنهم.

---

١ ـ انظر سنن البيهقي الكبرى ١١٨/٩، وفتح الباري لابن حجر ١٨/٨.

وما مضى من أحكام الحرب وآدابها إنما هو نزر يسير مجمل، أما تفاصيل ذلك، واستثناءاته وأحكامه فهي مبثوثة في التفاسير، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والكتب التي أفردت في الحرب، والجهاد وما إلى ذلك.

انظر المبسوط للسرخسي ٥/١٠، وشرح فتح القدير لابن الهمام ٩٠/٤، والمغني لابن قدامة ٣٢٦/٩، وروضة الطالبين للنووي ١٥٠/١٠، وآداب الحرب في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين، وقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية للشيخ عواض الوذيناني.

وقد مر في فصول مضت شيء من ذلك كما في مكاتباته لهرقل عظيم الروم، وكما في حواره مع ثمامة بن أثال ـ وهو من زعماء قومه ـ وكما في حواره مع عدي بن حاتم.

قال ابن القيم رحمه الله في فصل من فصول كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد: «فصل في كتبه ورسله ﷺ إلى الملوك».

قال: «لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل إليهم رُسَلَه، فكتب إلى ملك الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً؛ فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش عليه ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع».[1]

ثم شرع ابن القيم رحمه الله في تفصيل ذلك، وبيَّن ما دار بين أولئك الرسل الذين بعثهم النبي ﷺ ومن أرسلوا إليه من الملوك، وأن أوَّلَ أولئك الرسل عمرو بن أمية الضمري بعثه النبي ﷺ إلى النجاشي؛ فعظم كتاب النبي ﷺ وأسلم، وشهد شهادة الحق.

وثاني أولئك الرسل: دحية الكلبي الذي بعثه إلى قيصر ملك الروم، وقد مضى الحديث عنه، وأنه همَّ بالإسلام، وكاد ولم يفعل.

وثالثهم: عبدالله بن حذافة السهمي الذي بعثه إلى كسرى؛ فمزق كتاب النبي ﷺ فمزق الله ملكه، وملك قومه.

ورابعهم: حاطب بن أبي بلتعة بعثه إلى المقوقس، واسمه جريج بن ميناء، ملك الإسكندرية، عظيم القبط، فقال: خيراً، وقارب الأمر، ولم يسلم، وبعث إلى النبي ﷺ بهدايا.

---

١ ـ زاد المعاد ١/١١٩.

وخامسهم: شجاع بن وهب الأسدي بعثه إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني ملك البلقاء.

وسادسهم: سليط بن عمرو إلى هَوْذَة بن علي الحنفي باليمامة».

ثم تكلم ابن القيم رحمه الله عن آخرين أرسلهم النبي ﷺ إلى ملوك وزعماء آخرين في كلام يطول ذكره، وليس هذا مجال بسطه، وإنما المقصود به الإشارة إلى أن النبي ﷺ لم يهمل تلك الطائفة من الناس من حواره، بل جعل لها الاهتمام الأكبر؛ لعلمه بأن هداية أولئك سيترتب عليها خير كثير، وسيدفع بسببها شر مستطير.[1]

وبالجملة فإن محاوراته مع المخالفين عموماً يطول وصفها، وقد اعتنى المُحَدِّثون، وأهل السير، والفقهاء بتلك المعاملات مع المخالفين من الذميين، أو المستأمنين، أو المحاربين أو غيرهم، والمقام ليس مقام بسط لذلك.[2]

---

١ ـ انظر تفصيل ذلك في زاد المعاد ١/١١٩ـ١٢٤.

٢ ـ انظر المبسوط للسرخسي ١٠/٥، وشرح فتح القدير لابن الهمام ٤/٩٠، وروضة الطالبين للنووي ١٠/١٥٠، والفروق للقرافي ٣/١٤، وآداب الحرب للشيخ محمد الخضر حسين، وأهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي لنمر محمد الخليل ص١٢٧ـ١٦١، وأهل الذمة في الحضارة الإسلامية لحسن المِمّي ص١٠١ـ١٠٥، وحقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية د. علي الطيار.

الفصل الخامس

الأماكن التي يجري فيها الحوار النبوي

وتحته: تمهيد، وأربعة مباحث:

- تمهيد
- المبحث الأول: في ورود المجلس الرسولي في القرآن، وصفة ذلك المجلس
- المبحث الثاني: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التئامه وخروجه إليه
- المبحث الثالث: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه
- المبحث الرابع: وقت المجلس الرسولي، وآدابه

الفصل الخامس: الأماكن التي يجري فيها الحوار النبوي

تمهيد

حوارات النبي ﷺ تجري في أماكن عديدة، وفي أزمان مختلفة، وقد مر في فصول البحث الماضية أنه كان يحاور كافة الطبقات، ومن خلال ذلك يُلحظ أنه كان يحاور أصحابه وغيرهم في البيوت، وفي الطرقات إذا كان يسير فيها، وفي حال السفر، وعلى ظهور الدواب، حيث يحاور رديفه أو من بجواره، إلى غير ذلك من الأماكن.

أما مكان جلوسه المعتاد الذي يلتف حوله فيه أصحابه، وتدور فيه أغلب حواراته، وتجري فيه معظم أعماله في شؤون المسلمين فهو في مسجده، وأن ما عداه من الأمكنة التي ورد في الآثار حلوله فيها إنما هي مقاعد كان يحل فيها قبل البعثة، وبعدها قبل الهجرة، وبعدها قبل أن ينتظم أمر المسلمين، أو بعد ذلك فيما بعد الهجرة؛ لعوارض تعرض من زيارة، أو ضيافة، أو عيادة، أو قضاء مصالح، أو نحو ذلك؛ فقد جلس قبل البعثة وهو بمكة في دار ابن جُدعان، وفي المسجد الحرام، وأوى إلى غار حراء يَتَحَنَّث بإلهام من الله -تعالى- استئناساً بالوحي، وجلس بعد البعثة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وفي شعب أبي طالب مدة القطيعة، وسكن دار أبي أيوب الأنصاري عند مَقْدَمِهِ المدينةَ، وجلس بمسجد قباء قبل بناء المسجد النبوي، ولم يلبث أن بنى مسجده؛ فكان مجلسه بَعْدُ في ذلك المسجد فيما عدا أحوالاً تعرض مثل خروجه إلى بني عمرو ابن عوف؛ للإصلاح بينهم[1].

والحديث في هذا الفصل سيدور حول ورود ذلك المجلس في القرآن، وصفة

---

١ - انظر صحيح البخاري (٦٨٤) ومسلم (١٢١).

ذلك المجلس، وتحقيق مكانه، وكيفية التئامه، وخروج النبي ﷺ إليه.

كما سيدور حول هيئة ذلك المجلس، وما كان يجري فيه، ووقت المجلس الرسولي وآدابه.

ومما يبين أهمية البحث في ذلك أمور كثيرة منها ما يلي:

١ـ أنه موضوع نادر لا تجد من أفرده بالبحث والتقصي لا من المتقدمين ولا من المتأخرين إلا العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله ١٢٩٦ـ١٣٩٤هـ حيث كتب بحثاً عنوانه مجلس رسول الله ﷺ[1].

٢ـ أنه موضوع لطيف يخدم ما نحن بصدده من البحث في جوانب الحوار؛ حيث يُجلِّي ذلك غاية التجلي، ويمثِّله أحسن تمثيل.

٣ـ أن مجلس رسول الله ﷺ ميدانٌ لِتَسَابُقِ الآداب، وجوٌّ لِتَرَفْرُفِ الكمالات.

٤ـ أن للناس مجالس يرتادونها، وحوارات يتجاذبون أطرافها، ولكل من المجالسة والحوار آداب يحسن مراعاتها، ويجمل الأخذ بها.

ولا ريب أن الوقوف على مجلس رسول الله ﷺ وأحاديثه من أعظم ما يرتقي بالحوارات والمجالس؛ فإلى مباحث هذا الفصل.

---

١ ـ وذلك في مجلة الهداية الإسلامية، الجزء العاشر، المجلد العاشر، ص٥٧٨ـ٥٩٧ في ربيع الثاني ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م، وقد أفدت منه كثيراً في هذا الفصل، وانظر الرحمة والعظمة في السيرة النبوية ص١٦١ـ١٩٨.

المبحث الأول: في ورود المجلس الرسولي في القرآن، وصفة ذلك المجلس

أولاً: ورود المجلس الرسولي في القرآن:

لقد وردت الإشارة في القرآن الكريم إلى مجلس رسول الله ﷺ وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ (المجادلة: ١١).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: «قال جمهور العلماء من السلف ومن بعدهم: المراد بالمجلس في الآية هو مجلس رسول الله، وسأذكر ذلك في المبحث المناسب له.

ثم إني لم أر لأحد من الباحثين في السيرة مَنْ ذكر هذا المجلس سوى عياض في كتاب الشفاء؛ فإنه ذكره بكلمة واحدة في غرض آخر؛ إذ قال في فصل زيارة القبر الشريف هذه العبارة: (قال إسحاق بن إبراهيم[١] الفقيه: ومما لم يزل مِنْ شأن مَنْ حجَّ المرورُ بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤيته، وروضته، ومنبره، وقبره، ومجلسه)[٢] ا-هـ.[٣]

فكان حقّاً علينا أن نخصه بمقال أتقصَّى فيه ما تناثر في خلال كتب الحديث والسيرة؛ فيجيء بحثاً أُنُفاً[٤] يبهج من كان بسيرة رسول الله كلفاً».[٥]

١- هو إسحاق بن راهويه.

٢- التبرك بهذه الأشياء بإطلاق يحتاج إلى دليل.

٣- الشفا للقاضي عياض ٦٦٩/٢-٦٧٠، وانظر شرح الشفا للقاضي عياض للملا علي قاري ١٥١/٢.

٤- أُنُفاً: أي جديداً.

٥- الهداية الإسلامية ٥٨١/١٠.

ثانياً: صفة مجلس رسول الله ﷺ :

لقد جاء مجلس رسول الله ﷺ على غاية ما يكون من البساطة، والتواضع، والخلو من مظاهر الأُبَّهة؛ لأنه أعظم المصلحين وأفضل المرسلين، فأراد الله -عز وجل- أن يكون ذلك النبي مقصوراً على التأييد بالدلائل الحقة الباقية على الزمان، وأن يجرده عن وسائل الخِلاَبة والاسترهاب؛ فتكونَ دعوته أكمل الدعوات، وعظته أبلغ العظات كما هو أكمل الدعاة والواعظين.

وذلك -كما يقول ابن عاشور[1]- لحكم جمة، منها ما يلي:

الحكمة الأولى: أن لا يكون جلالُ قَدْرِه في النفوس، ونفوذُ أمره في الملأ محتاجاً إلى معونة بوسيلة من الوسائل المكملة للتأثير الذاتي النفساني، بل يكون تأثيره الذاتي كافياً في نفوذ آثاره في قلوب أتباعه؛ إذ كانت نفسُه الشريفةُ أكملَ نفسٍ برزت في عالم الوجود الحادث، فتكون أغنى النفوس عن التوسل بغير صفاتها الذاتية؛ إذ لا نقص في تأثير نفسه.

من أجل ذلك ادَّخَر الله لرسوله التأييد بأوضح الدلائل، وأغناها عن العوارض التي تصطاد النفوس، وتسترهب العيون؛ حتى لا يكونَ شأنه جارياً على الشؤون المألوفة.

ولعل هذا مما يُلوِّح إليه قوله -تعالى-: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ (الكهف: ٢٩).

---

١ - الهداية الإسلامية ١٠/٥٨١-٥٨٢، وانظر شرح الشفا للقاضي عياض للملا علي قاري ٢/١٥١.

أي هذه دعوة الحق المحض الغَنِيَّةُ عن البهرجةِ الزائلة والله أعلم؛ فيكون هذا من المعجزات الخفية التي هي آيات للمتوسمين على كُرور الأيام والسنين.

الحكمة الثانية: أن يكون الرسول غيرَ مشارك لأحوال أصحاب السيادة الباطلة من الجبابرة والطغاة؛ حتى لا يكون من دواعي إيمان بعض الفرق به وطاعتهم له ـما بهرهم من تلك الزخارف، كحال الذين استكبروا من قوم نوح؛ إذ قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾(هود: ٢٧).

وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «**خيرت بين أن أكون نبيًّا عبداً، أو نبيًّا ملكاً، فاخترت أن أكون نبيًّا عبداً**».[١]

الحكمة الثالثة: أن يحصلَ له ـمع ذلكـ أعظمُ جلال في نفوس أعدائه بله أوليائه؛ فيكون فيه دليل على أن جلاله مستمد من عناية الله ـتعالىـ وتأييده.

روى أبو داود، والترمذي أن قيلة بنت مَخْرمة جاءت رسول الله في المسجد وهو قاعدٌ القرفصاءَ قالت: «فلما رأيت رسول الله المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق».[٢]

فقولها: المتخشع في الجلسة أَوْمَأَ إلى أن شأن المتخشع في المعتاد ألا يرهب، وهي قد أَرْعَدَتْ منه؛ رهبة.

ووصف كعب بن زهير رسول الله حينما دخل عليه المسجد في أصحابه مؤمناً تائباً، وكان كعب يومئذ أقرب عهداً بالشرك، وأوغل في معرفة مظاهر ملوك العرب وسادتهم؛ إذ هو الشاعر ابن الشاعر؛ فإذا هو يقول بين يدي رسول الله يصف مجلسه:

لقد أقوم مقاماً لو أقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

---

١ ـ رواه أحمد في المسند (٧١٦٠).

٢ ـ أبو داود (٤٨٤٧) والترمذي في سننه (٢٨١٤) وفي الشمائل (١٢٠).

لظـل يرعـد إلا أن يكـون لـه ... مـن الرسـول بـإذن الله تنويـل

ثم يقول في صفة الرسول:

لـذاك أهيـبُ عنـدي إذ أُكَلِّمُـه ... وقيـل: إنـك منـسوب ومـسؤول

مـن خـادر مـن ليـوث الأسـد مـسكنه ... مـن بطـن عَثَّـرَ غِيـلٌ دونـه غيـلُ[1]

وجاء في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص ﷺ -وهو في سياق الموت- أنه قال: «وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عينِي منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينَيَّ منه؛ إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأُ عينَيَّ منه».[2]

---

١ - عثَّر: مكان مشهور بكثرة السباع، والغيل: الشجر الكثير الملتف. انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/١١٤-١١٥.

٢ - أخرجه مسلم (١٢١).

المبحث الثاني: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التنامه وخروجه إليه

أولاً: مكان مجلس الرسول:

إن من مارس الحديث والسيرة لا يَشُكُّ في أن مجلس رسول الله الذي يلتف حوله فيه أصحابه، وتجري فيه معظم أعماله في شؤون المسلمين ـ إنما كان بمسجده.

وقد أرشدنا إلى ذلك أحاديث، منها ما جاء في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «توضأت يوماً وخرجت من بيتي فقلت: لألزمن رسول الله يومي هذا، ولأكونن معه، فجئت المسجد فسألت عنه، فقالوا: خرج... إلخ».[1]

فقوله: «فجئت المسجد، فسألت عنه» ينبئ بأن مَظِنَّةَ لقاءِ الرسول هو المسجد.

وكذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول أنس: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد» الحديث وسيأتي[2].

فقوله: «في المسجد» يدل على أن مكان مجلسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في المسجد.

ثم إن تعيين مكان جلوسه من المسجد لم يَجْرِ له ذكر في كلامهم.

والذي يظهر أنه كان يلزم مكاناً معيناً للجلوس؛ لينتظره عنده أصحابه

---

١ ـ مسلم (٢٤٠٣).

٢ـ البخاري (٦٣) ومسلم (١٢).

والقادمون إليه.[١]

والظاهر أن هذا المكان المعين هو ما بين المنبر وحجرة عائشة ـرضي الله عنهاـ وهو الملقب بالروضة، ويدل لذلك ثلاثة أدلة:

الدليل الأول: ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».**[٢]

وللعلماء في معنى ذلك تأويلات أظهرها والذي مال إليه جمهورهم أنه كلام جرى على طريقة المجاز المرسل؛ فإن ذلك المكانَ لما كان موضع الإرشاد والعلم كان الجلوس فيه سبباً للتنعم برياض الجنة؛ فأطلق على ذلك المكان أنه روضة من رياض الجنة بإطلاق اسم المسبب على السبب.

أو جرى على طريق الاستعارة بأن شَبَّه ما يصدر في ذلك المكان من الإرشاد والتشريع والعلم والموعظة والحكمة المنعشة للأرواح بما في رياض الجنة من الثمار والأزهار والأنهار ذات الإنعاش الخالد، فأطلق اسم المشبه به على المشبه.

وفي هذا إنباء بأن موضع الروضة مجلس رسول الله الذي كان فيه معظم إرشاده وتعليمه الناس.

الدليل الثاني: أنا نجد أحاديث كثيرة روتها عائشة ـرضي الله عنهاـ تتضمن ما دار بين رسول الله وبين سائليه، ولم نجد مثل ذلك لبقية أمهات المؤمنين؛ فعلمنا أن ذلك انفردت به عائشة؛ من أجل قرب بيتها من مجلس الرسول، وقد

---

١ ـ انظر الهداية الإسلامية ١٠/٥٨٤ـ٥٨٦.

٢ ـ البخاري (١١٩٦) ومسلم (١٣٩٠ و ١٣٩١).

كان بيتها بقرب الروضة.

الدليل الثالث: ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أنه قال: «لقد رأيتني وإني لأَخِرُّ فيما بين منبر رسول الله وحجرة عائشة؛ فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي يرى أن بي جنوناً وما بي جنون، وما هو إلا الجوع».[١]

مع ما رواه البخاري ومسلم من أن أبا هريرة قال: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإخوتي من الأنصار يشغلهم عملٌ في أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً ألزم رسول الله على مِلْء بطني؛ فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون».[٢]

فينتج من ذلك أن مقام أبي هريرة كان في الروضة، وأن ملازمته رسول الله كانت في ذلك المقام، وأن الروضة هي مجلس رسول الله ﷺ.[٣]

قال ابن عاشور رحمه الله: «هذا وقد رأيت في كلام شهاب الدين الخفاجي في شرحه على شفاء عياض كلمة تقتضي الجزم بأن مجلس رسول الله هو الروضة؛ فإنه لما بلغ إلى قول عياض: «لم يزل من شأن مَنْ حج المرورُ بالمدينة والقصد إلى التبرك برؤية مسجد رسول الله وروضته ومنبره وقبره ومجلسه» إلخ...

قال: «ومجلسه أي موضع جلوسه في الروضة المأثور ا ـ هـ».

---

١ ـ الترمذي (٢٣٦٧) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

٢ ـ أخرجه البخاري (١١٨ و ٢٢٢٣) ومسلم (٢٤٩٢).

٣ ـ انظر الهداية الإسلامية ١٠/٥٨٦ـ٥٨٧.

ولم أقف على مستنده الصريح فيما جزم به».[١]

قال الشيخ ملا علي قاري في شرح الشفا عند قول عياض: «ومجلسه» قال: «أي محل جلوسه في المسجد، ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها».[٢]

ثانياً: كيفية التئام مجلس الرسول وخروجه إليه:

كان أصحاب رسول الله إذا قصدوا مسجده يحضرون المكان الذي اعتاد الجلوس فيه، فإذا قدموا قبل خروج الرسول ﷺ يجلسون ينتظرونه حتى إذا خرج رسول الله كانوا يقومون له، فنهاهم عن ذلك، روى أبو أمامة، قال: «خرج علينا رسول الله فقمنا له، فقال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً»[٣] فصار القيام منسوخاً على الأصح.

وعندما يخرج رسول الله على أصحابه يبقون جلوساً؛ فلا يرفع أحد منهم بصره إلى رسول الله إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه، ويبتسم إليهما، كذا في الشفاء.

وفي الشفاء أنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم.[٤]

والظاهر أن معنى ذلك أنه حين يخرج إليهم لا يتخطى رقابهم، ولكن يجلس حيث انتهى به المجلس؛ ففي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان منهم إلى رسول الله، وذهب واحد،

---

١ ـ الهداية الإسلامية ١٠/٥٨٧.

٢ ـ شرح الشفا ٢/١٥١.

٣ ـ أخرجه أبو داود (٥٢٣٠).

٤ ـ انظر شرح الشفا ١/٢٨٩، والهداية الإسلامية ١٠/٥٨٨.

فوقفا على رسول الله، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ـأي من كلامهـ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».[١]

وفي أسباب النزول والتفسير أن رسول الله كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، وأن ناساً منهم جاؤوا إلى مجلسه فلم يجدوا موضعاً، فقاموا مواجهين له، ولم يوسع لهم أحد، فقال رسول الله لبعض من حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان ويا فلان، وفي ذلك نزل قوله ـتعالىـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ الآية، (المجادلة: ١١).[٢]

وسيأتي تفصيله في ذكر آداب مجلسه ﷺ.

وربما وقف الذي يحاور رسول الله ﷺ، وفي البخاري: باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، وأخرج حديث أبي موسى الأشعري: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا».

قال الراوي: وما رفع رأسه إليه إلا أن السائل كان قائماً».[٣]

وكان الملازمون مجلسَ رسول الله ﷺ أصحابَه من الرجال.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «قال النساء للنبي: غلبنا عليك

---

١ ـ البخاري (٦٦ و ٤٧٤) ومسلم (٢١٧٦).

٢ ـ انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٣٦ـ٤٢، والهداية الإسلامية ١٠/٥٨٨ـ٥٨٩.

٣ ـ البخاري (١٢٣) ورواه مسلم (١٩٠٤).

الرجال؛ فاجعل لنا يوماً لنفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن... إلخ».[1]

وظاهر ترجمة البخاري لهذا الحديث أن اليومَ المجعولَ للنساء لم يكن يوماً مفرداً وحيداً، بل جعل لهن نوبة من الأيام؛ فيحتمل أنه جعل لهن يوماً في الأسبوع، أو في الشهر، أو بعد مدة غير معينة يعين لهن موعده من قبل، والله أعلم.

---

١ ـ البخاري (١٠١ و ١٢٤٩) ومسلم (٢٦٣٣).

المبحث الثالث: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه

أولاً: هيئة المجلس الرسولي:

تدل الآثار على أن مجلس رسول الله ﷺ الذي كانت تجرى فيه معظم حواراته كان على صورة الحلقة الواحدة، أو الحِلَق المتداخلة كما ورد في حديث أبي واقد الليثي في الصحيحين؛ إذ قال فيه: «فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم».[١]

وقد تقدم آنفاً، بل صرح بعض الرواة بأن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجلسون حوله حِلَقاً.

أما رسول الله ﷺ فكان مجلسه في وسطهم؛ ففي الصحيحين عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن ضماماً بن ثعلبة السعدي رضي الله عنه لما دخل المسجد قال: أيكم محمد؟ قال أنس: والنبي متكئ بين ظهرانيهم[٢].

وسيأتي الحديث، ومعنى بين ظهرانيهم أنه في وسطهم.

وجاء في سنن أبي داود والنسائي عن أبي ذر وأبي هريرة: «كان النبي ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أهو هو حتى يسأل، فطلبنا لرسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً كي يعرفه الغريب، فبنينا دكاناً من الطين يجلس عليه فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبتيه».[٣]

---

١ ـ البخاري (٦٦ و ٤٧٤) ومسلم (٢١٧٦).

٢ ـ البخاري (٦٣) ومسلم (١٢).

٣ ـ أبو داود (٤٦٩٨) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٣١): «صحيح» والنسائي (٤٩٩١) وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٦١٨): «صحيح».

وكانت هيئة جلوس رسول الله ﷺ في مجلسه غالباً الاحتباء، فقد ذكر الترمذي في كتاب الشمائل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه».

وقول الراوي: كان يفعل، يدل على أنه السُّنةُ المتكررة.

والاحتباء: هو الجلوس وإيقاف الساقين، فتجعل الفخذان تجاه البطن بإلصاق، ويلف الثوب على الساقين والظهر، فإذا أراد المحتبي أن يقوم أزال الثوب.

وأما الاحتباء باليدين فهو أن يجعل المحتبي يديه يشد بهما رجليه عوضاً عن الثوب، فإذا قام قالوا حلَّ حُبوته -بكسر الحاء وضمها-.

وكان الاحتباء أكثر جلوس العرب، وربما جلس رسول الله ﷺ القُرْفُصَاء -بضم القاف وسكون الراء بالمد والقصر- وهي الاحتباء باليدين، وربما جعلت اليدان تحت الإبطين، وهي جلسة الأعراب والمتواضعين.

وقد وُصِف جلوس رسول الله ﷺ القرفصاء في حديث قيلة بنت مخرمة -رضي الله عنها- وقد تقدم آنفاً، وربما اتكأ رسول الله ﷺ في مجلسه في المسجد.

وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور...إلخ».[1]

= والغريب أن الشيخ ابن عاشور رحمه الله قال: «ومن الغريب ما ذكره القرطبي في كتاب (المفهم على صحيح مسلم) عن البزار عن عمر بن الخطاب ثم ذكر الحديث السابق.

وقال: «وهذا غريب؛ إذ لم يُذكر هذا الدكان فيما ذكروه في تفصيل صفة المسجد النبوي في الكتب المؤلفة في ذلك».

١ - البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

وفي حديث جابر بن سمرة ﷺ رأيت رسول الله ﷺ متكئاً على يساره وربما اتكأ على يمينه.[١]

وفي حديث حنظلة بن حِذْيَم قال: «أتيت النبي ﷺ فرأيته جالساً متربعاً».[٢]

وقد تجعل له وسادة، روى الترمذي عن جابر بن سمرة ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ متكئاً على وسادة على يساره[٣].

وعددُ جُلساء رسول الله ﷺ لا ينضبط، بل كان يختلف باختلاف الأيام وأوقات النهار، فربما اشتمل المجلس على أربعين رجلاً كما ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: «أرسلني أبو طلحة الأنصاري ﷺ أدعو له رسول الله ﷺ خامس خمسة لطعام صنعه لرسول الله ﷺ فوجدت النبي ﷺ في المسجد معه ناس فقمت، فقال: «أأرسلك أبو طلحة؟» قلت: نعم، قال: «لطعام؟» قلت: نعم، فقال لمن معه: «قوموا» وكانوا نحو الأربعين»[٤].

وربما كان مجلسه يشتمل على عشرة، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذا أُتِيَ بجمار نخلة؛ فقال النبي ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت، فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتُّ، فقال النبي ﷺ هي النخلة».[٥]

---

١ ـ أخرجه ابن عدي في الكامل ٤٢٥/١.

٢ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٧٩) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٩٩): «صحيح لغيره».

٣ ـ سنن الترمذي (٢٧٧٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب» والشمائل للترمذي (١٢٣).

٤ ـ البخاري (٤٢٢ و ٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

٥ ـ البخاري (٥٤٤٤) ومسلم (٢٨١١).

ثانياً: ما كان يجري في مجلس رسول ﷺ:

نبعت ينابيع الهدى، والحكمة، والتشريع من مجلس رسول الله ﷺ ومن منبره، ولقد كان أكثر ما رواه أصحابه عنه مما سمعوه منه في مجلسه؛ لذلك يكثر أن تجد في الأحاديث المروية عن الصحابة أن يقول الصحابي: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ».

وفي ذلك المجلس تتلى آيات الكتاب الحكيم -كما سيأتي في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه-.

وكان يقع التحاكم عند رسول الله ﷺ في مجلسه، وقد حكم فيه بين المسلمين كثيراً، وبين اليهود في قصة الرجم؛ إذ جاءه اليهود برجل وامرأة زنيا فأمر بهما، فرجما في موضع الجنائز من المسجد.[١]

وكانت تفد عليه الوفود وهو في مجلسه، ويأتيه سفراء المشركين من أهل مكة، ويَعْتَورُه العُفاة، وأصحاب الحاجات.

وربما اختلف الصبيان إلى ذلك المجلس، أو دعاهم إليه رسول ﷺ فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت حَسَناً[٢] قطّ إلا فاضت عيناي دموعاً، وذلك أن النبي ﷺ خرج يوماً، فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي، فانطلقت معه، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع، فطاف فيه، ونظر، ثم انصرف وأنا معه، حتى جئنا المسجد، فجلس، فاحتبى، ثم قال: «أين لَكاع؟ ادعُ لي لَكاع[٣]».

فجاء حسن يشتد، فوقع في حجره، ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل النبي ﷺ يفتح

---

١ - انظر البخاري (٧٥٤٣) ومسلم (١٦٩٩).

٢ - يعني الحسن بن علي -رضي الله عنهما-.

٣ - اللُّكع عند العرب يطلق على عدة معان، يطلق على العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، يقال للرجل لُكع، ويقال للمرأة لكاع، وأكثر ما يقع في النداء، وقد يطلق على الصغير، وهو المراد هنا.

فاه، فيدخل فاه في فيه، ثم قال: «اللهم إني أحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ من يحبه».[١]

وإلى ذلك المجلس يأوي الفقراء، فكان -عليه الصلاة والسلام- يدنيهم، ويتألفهم، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم، وإن بعضهم يستتر من العري، وقارئ يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله -تعالى- فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم نفسي».

قال: ثم جلس رسول الله ﷺ وسَطَنا؛ ليعدل بيننا نفسه فينا، ثم قال بيده هكذا؛ فاستدارت الحلقة، وبرزت وجوههم.

قال: فما عرف رسول الله ﷺ منهم غيري، فقال رسول الله ﷺ:

«أبشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل الأغنياء يوم القيامة بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام».[٢]

ثم هو -أيضاً- مجلس أدب ينشد فيه الشعر، وتضرب فيه الأمثال.

ولقد أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة، وقد مرَّ ذكرٌ لشيء من ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

وروى الترمذي عن جابر بن سمرة ﷺ قال: جالست رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة، وكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما يبتسم معهم.[٣]

---

١ - الأدب المفرد (١١٨٣) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٠٢): «حسن».

٢ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/٣٥١-٣٥٢، والترمذي (٢٣٥٣) عن أبي هريرة، وقال: «حسن صحيح».

٣ - الترمذي (٢٨٥٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وربما أُنْشِد الشِّعرُ، فتمثل في بعض ما أُنْشِدَ أمامه، فعن الأعشى المازني قال: «أتيت النبيﷺ فأنشدته:

يـا مالـك النـاس وديـانَ العـرب ... إنـي لقيـت ذِرْبـةً مـن الـذِّرب

أخلفـتِ الوعـدَ ولَطَّـت بالـذنب ... وهـن شـرُّ غالـبٍ لمـن غلـب

فجعلﷺ يتمثلها، ويقول: وهن شرٌّ غالبٍ لمن غلب».[1]

وربما أنشده أحد الشعراء، فاستوقفه، وحاوره، وسأله عن مقصوده في أحد الأبيات، وربما دعا له، فعن يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة الجعدي يقول: أنشدت النبيﷺ:

بلغنـا الـسماءَ مجـدنا وجـدودنا ... وإنـا لنرجـو فـوق ذلـك مظهـرا

فقال: «أين المظهر يا أبا ليلى؟».

قلت: الجنة، قال: «أجل إن شاء الله».

ثم قال:

ولا خـير في حلـم إذا لم يكـن لـه ... بـوادرُ تحمـي صـفوه أن يكـدرا

ولا خـير في جهـل إذا لم يكـن لـه ... حلـيمٌ إذا مـا أورد الأمـرَ أصـدرا

فقال رسول اللهﷺ: «لا يفضضِ الله فاك مرتين».

ويروى أن النابغة كان أحسن الناس ثغراً، وأنه عاش مائة وثلاثين سنة، فكان إذا سقطت له ثنية نبتت مكانها أخرى.[2]

وربما استنشد -عليه الصلاة والسلام- أحد جلاسه؛ فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «استنشدني النبيﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت؛ فأنشدته مائة

---

١ - أخرجه أحمد (٦٨٨٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٩٠٤).

٢ - انظر مسند الحارث (زوائد الهيثمي (٨٩٤) وسبل الرشاد للصالحي ٣٤٩/٩.

قافية وبيت».[١]

وربما تمثل بالشعر في مجلسه؛ ففي الصحيحين عن جندب بن عبدالله ﷺ قال: أصابت أصبعُ النبي ﷺ شيئاً، فدَمِيت.

وفي لفظ: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في بعض المشاهد إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت أصبعه فقال:

هـــل أنـــت إلا أَصْـــبُعٌ دَمِيـــت وفي ســـبيل الله مـــا لقيـــت[٢]

وعن عكرمة قال: سألت عائشة -رضي الله عنها-: هل سمعت رسول الله ﷺ يتمثل شعراً قط؟

فقالت: أحياناً إذا دخل بيته يقول: «**ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ**».[٣]

وقوله: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود» هذا عجز بيت لطرفة بن العبد في معلقته المشهورة، وصدره:

ستبدي لـك الأيـام مـا كنـت جـاهلاً .....

وقد ورد في الأثر أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا دخلوا عليه كانوا لا يفترقون إلا عن ذَواق، ويخرجون أدلة -أي فقهاء-.[٤]

وللعلماء اختلاف في تأويله، فحمله بعضهم على ظاهره، أي لا يفترقون إلا بعد أن يطعموا طعاماً قليلاً؛ ولذلك عبر عنه بذَواق، وهو بفتح الذال الشيء المَذُوق من تمر أو نحوه أو ماء.[٥]

---

١ - أخرجه أحمد (١٩٤٧٤) وابن ماجه (٣٧٥٨) والطبراني في الأوسط (٢٤٢٩).

٢ - البخاري (٥٧٩٤) ومسلم (١٧٩٦).

٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٩٢) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٠٨): «صحيح».

٤ - أخرجه الطبراني في الكبير ١٥٧/٢٢، وانظر الشفا ٢٠٤/١.

٥ - انظر أخلاق النبي ﷺ للأصبهاني ص٢٤، والهداية الإسلامية ٥٩٣/١٠.

وقد جاء في الصحيحين حديث عبد الله بن عمر ـرضي الله عنهماـ أنه قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذا أُتِيَ بِجُمَّار نخلة...إلخ، أي أتي به ليؤكل في مجلسه، ولذلك ترجم البخاري لهذا الحديث: «باب أكل الجمار» وقد مر هذا الحديث.[١]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يذكر أنه وقع على أهله في نهار رمضان إلى أن قال: فبينما نحن على ذلك إذ أُتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر[٢]... إلخ.

والعَرَق بفتح العين وفتح الراء ويجوز كسرها هو المكتل أي الزبيل.

وتأوله ابنُ الأنباري، وابنُ الأثيرِ، وغيرُ واحدٍ أنه أراد أنهم لا يتفرقون إلا عن علم تعلموه يَقُوْم لأنفسهم مقامَ الطعامِ والشراب للأجسام في الانتعاش والالتذاذ؛ فجرى الكلام على طريقة الاستعارة.[٣]

وفي ذلك المجلس ينكر ـعليه الصلاة والسلامـ ما يراه مجانباً للصواب مع احتفاظه بعادته الجميلة في التعريض والتعميم، حيث يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغي مأخذاً لطيفاً، فلا يوجّه الإنكار إلى من صدر منه الخطأ بعينه ما وجد في الموعظة العامة كفاية من باب قوله: «ما بال أقوام».

جاء في الصحيحين عن عائشة ـرضي الله عنهاـ قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخَّص فيه، فتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب، فحمد الله ثم قال: «ما بال

---

١ ـ البخاري (٥٤٤٤)، ورواه مسلم (٢٨١١).

٢ ـ البخاري (١٨٣٤ و ٥٠٥٣ و ٥٧٣٧ و ٦٣٣١ و ٦٣٣٣) ومسلم (١١١١).

٣ ـ انظر الهداية الإسلامية ٥٩٣/١٠.

أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية». [١]

وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا الحديث بعنوان: «باب من لم يواجه الناس في العتاب».

وشكى إليه رجلٌ رجلاً حين كان يطيل بهم صلاة الغداة، فاشتد غضبه ﷺ ولكنه احتفظ بعادته الجميلة؛ فلم يخاطب الذي كان يطيل على التعيين، بل عمم الموعظة وقال: «أيها الناس إن منكم منفِّرين؛ فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيهم المريض، وذا الحاجة». [٢]

وربما احتاج -عليه الصلاة والسلام- إلى التعيين، إذا استدعاه المقام؛ فقد جاء في الصحيحين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلَّم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إنَّا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «يامعاذ! أفتان أنت؟ اقرأ بكذا، واقرأ بكذا».

وفي رواية: «يامعاذ! أفتان أنت -ثلاثاً- اقرأ: (والشمس وضحاها) و(سبح اسم ربك الأعلى) ونحوهما».

وفي رواية: «فتان، فتان، فتان» ثلاث مرار أو قال: «فاتناً، فاتناً، فاتناً». [٣]

---

١ - البخاري (٦١٠١) ومسلم (٢٣٥٦).

٢ - رواه البخاري (٧٠٢) و(٧٠٤) و(٦١١٠) ومسلم (٤٦٦).

٣ - البخاري (٧٠١ و٥٠٧ و٧١٠ و٦١٠٦) ومسلم (٤٦٥).

وفي ذلك المجلس يجيب عن الأسئلة التي ترد عليه ـكما في حديث جبريل عليه السلام المشهورـ حيث سأل النبيﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان.[١]

وكما جاء في الصحيحين من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه أنس بن مالكرضي الله عنه يقول أنس: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل عليه رجل على جمل؛ فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض» الحديث[٢].

وفي هذا الحديث سأل ضمامٌ النبيﷺ ستة أسئلة وأجابه النبيﷺ عنها جميعاً، وقد مرَّ الحديث بتمامه عند الحديث عن محاورته مع المشركين.

والأحاديث في هذا السياق كثيرة جداً.

وربما وجَّه النبي ـعليه الصلاة والسلامـ السؤال إلى من حوله، وهذا كثير جداً كما في الصحيحين من حديث أبي هريرةرضي الله عنه قال: «كنا في قُبَّة نحواً من أربعين رجلاً مع رسول اللهﷺ فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» الحديث[٣].

وقد يبتدر الحديث من تلقاء نفسه، وهذا ـأيضاًـ كثيرٌ جداً كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «لقابُ قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[٤].

ومما يجري في ذلك المجلس العظيم المبارك كثرة ذكر الله، ودعائه، واستغفاره ـكما سيأتي في آداب المجلس الرسوليـ.

---

١ ـ رواه مسلم (٨).

٢ـ البخاري (٦٣) ومسلم (١٢) وهذا لفظ البخاري.

٣ ـ البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (٢٢١).

٤ ـ البخاري (٢٧٩٣) ومسلم (١٨٨٢).

المبحث الرابع: وقت المجلس الرسولي، وآدابه

أولاً: وقت المجلس الرسولي:

لعل معظم جلوس رسول الله ﷺ للناس كان في أوقات تفرغ معظم الصحابة من العمل، **فكان يجلس لهم بعد صلاة الصبح** كما يشهد لذلك حديث كعب ابن مالك رضي الله عنه وتوبته، قال كعب: «ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا؛ فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله -عز وجل- منا سمعت صوت صارخ أَوْفَى على سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج.

إلى أن قال كعب: حتى دخلت المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس» الحديث.[1]

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المتقدم إذ يقول: توضأت يوماً وخرجت من بيتي فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ يومي هذا، وأكون معه، فجئت المسجد... إذ لا شك أن ذلك وقت صلاة الصبح.

ولا ريب أن طول فترة المجلس تعطي الفرصة لأكبر قدر من الحوار والمحاورين؛ إذ فتره الصبح أطول أوقات النهار.

وما كان رسول الله ﷺ يستغرق الصباح كله في المجلس؛ فإن أصحابه كانوا يذهبون إلى أعمالهم وحاجاتهم، ولأن رسول الله ﷺ كان يدخل بيوت أزواجه،

١- انظر حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه الطويل في صحيح البخاري (٢٧٥٧ و ٢٩٤٧ و٣٥٥٦ و٣٨٨٩) ومسلم (٢٧٦٩).

فقد قالت عائشة ـرضي الله عنهاـ: كان يكون في بيته في مَهْنَةِ أهله.[١]

وفي حديث عليﷺ من رواية الترمذي ورواية عياض: كان دخوله لنفسه؛ فكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس، فَيَرِدُ ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً.[٢]

أي كان له في بيته وقت يجلس إليه فيه خاصة أصحابه ومن له حاجة خاصة.

ومعنى يرد ذلك على العامة أنه تحصل منه منفعة للعامة بما يرويه الخاصة من علمه للناس، وفي هذا دليل على أن مُعْظَمَ ما عدا وقت دخوله إلى منزله كان وقت مجلسه إلا إذا عرضت حاجة يذهب إليها.[٣]

ثانياً: آداب مجلس رسول الله ﷺ:

كيف لا يكون مجلس يحتله رسول الله ﷺ ميداناً تسابق الآداب فيه إلى غاياتها، وجوًّا ترفرف فيه الكمالات راقيةً إلى سماواتها.

فإن صاحبَه هو الذي أَدَّبه ربه بأحسن تأديب، وجلساءَه هم أولئك الغُرُّ المناجيب، وناهيك بأن ورد بعض آدابه في الكتاب المجيد، قال الله ـتعالىـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ (المجادلة: ١١).

قال الواحدي، وابن عطية عن مقاتلٍ وقتادةَ وزيدِ بنِ أسلم: كان النبيﷺ يجلس في المسجد فجلس يوماً وكان في المجلس ضيق؛ إذ كان الناس يتنافسون في

---

١ ـ انظر صحيح البخاري (٦٧٦).

٢ ـ انظر معجم الطبراني ١٥٧/٢٢، وشعب الإيمان للبيهقي ٢١٤٥/٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٣/١.

٣ ـ انظر الهداية الإسلامية ٥٩٤/١٠.

القرب من رسول الله ﷺ وفي سماع كلامه، والنظر إليه، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء أناس من أهل بدر، فلم يجدوا مكاناً في المجلس، فقاموا وجَاهَ النبي ﷺ على أرجلهم يرجون أن يوسع الناس لهم، فلم يوسع لهم أحد، فأقام رسول الله ﷺ أناساً بقدر من جاء من النفر البدريين، فعرف رسول الله ﷺ الكراهية في وجوه الذين أقامهم، فنزلت الآية.

فقوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ فيما إذا كان في المجلس ضيق، فيتفسح الناس بدون أن يقوم أحد.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا عن المجلس فافعلوا، أي إذا أمركم الرسول ﷺ في مجلسه بالقيام فلا تتحرجوا، وهو ضرب من التفسح.

وقيل: التفسح يكون بالتوسعة من قعود أو من قيام، فهما داخلان في قوله: تفسحوا، والنشوز هو أن يؤمروا بالانفضاض عن المجلس، فإذا أمروا بذلك فلا يتحرجوا؛ لأن رسول الله ﷺ يحب أحياناً الانفراد بأمور المسلمين؛ فربما جلس إليه القوم، فأطالوا؛ لأن كل أحد يحب أن يكون آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ وكل ذلك من فرط محبتهم إياه، وحرصهم على تلقي هداه.[1]

ومن آدابه المذكورة في الكتاب المجيد ما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ﴾ (الحجرات: ٢).

---

١ ـ انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٣٦ـ٤٢، والهداية الإسلامية ١٠/٥٩٤ـ٥٩٥.

وقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣).

قال علماء التفسير: نزلت هاتان الآيتان بسبب محاورة جرت بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- بين يدي رسول الله ﷺ في مجلسه، وذلك حين قدم وفد بني تميم أشار أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ أن يُؤَمِّر على بني تميم القعقاع بن معبد، فقال عمر رضي الله عنه: بل أمِّر عليهم الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي! فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماديا، وارتفعت أصواتهما، فنزل القرآن بهذه الآية، قالوا: فكان أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار -أي كصاحب السر والمسارة- وكان عمر رضي الله عنه بعد ذلك إذا كلم رسول الله ﷺ لا يكاد يسمعه حتى إن رسول الله ﷺ لَيَسْتَفْهِمه.[1]

ومن آداب ذلك المجلس أن خاصة أصحابه لا يسألون النبي ﷺ إلا إذا ابتدرهم النبي ﷺ كما في حديث جبريل المشهور؛ فإن جبريل -عليه السلام- يسأل والنبي ﷺ يجيبه، وجبريل على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة -كما ذكر ذلك عمر ابن الخطاب-.

ومع هذه الحالة الغريبة، والتشوف لمعرفة هذا السائل لم يسأل عنه أحدٌ من الصحابة؛ إجلالاً لرسول الله ﷺ حتى ابتدرهم النبي ﷺ وأعلمهم به.

قال عمر في آخر الحديث: ثم انطلق -يعني جبريل- فلبث ملياً، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟».

قلت الله ورسوله أعلم.

---

١ - انظر صحيح البخاري (٤٣٦٧ و ٤٨٤٥).

قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[١].

ومن آداب مجلسه -عليه الصلاة والسلام- أن أصحابه يكونون فيه على غاية التؤدة والسكينة؛ فقد روى أبو داود في سننه عن أسامة بن شريك قال: «أتيت النبيﷺ وأصحابُه كأنما على رؤوسهم الطير»[٢].

ومعنى «كأنما على رؤوسهم الطير»: أي أنهم في حالة السكون؛ لأن الطائر ينفر من أدنى تحرك.

وهكذا ينبغي أن تكون عليه مجالس الحوار.

وكان رسول اللهﷺ يعطي كل أحد من جلسائه نصيبه لا يحسب أحد أن أحداً أكرم عليه منه.

وكان مجلسه مجلس وقار، وحلم، وحياء، وخير، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحُرَمُ، ولا تثنى فلتاته.

ومعنى لا تؤبن فيه الحرم: أي لا تذكر فيه حرمات الناس بسوء، يقال أَبَنه إذا ذكره بسوء، والمراد بالحرم هنا أعراض الناس، وما يحرِّمون تناوله منهم.

ومعنى لا تثنى فلتاته: لا تعاد، مأخوذٌ من التثنية وهي الإعادة، والفلتات جمع فلتة، وهي الزلة من القول والفعل إذا جرت على غير قصد بغتة؛ يعني أن أهل ذلك المجلس أهل حفظ للسر، وإعراض عن اللغو، فلو صدرت من أحد فلتة لم يتناقلها جلساؤه بالتسميع والتشنيع.

وهذا أدب عربي رفيع، وفي هذا المعنى قال ودَّاك بن ثميل من شعراء الحماسة:

وأحلام عاد لا يخاف جليسهم ... إذا نطق العَوَارَ غربُ لسان

---

١ - رواه مسلم (٨).

٢ - أبو داود (٣٨٥٥).

ومن آداب ذلك المجلس أن أصحابه لا يقاطعون الرسولﷺ إذا تكلم، وإذا سكت تكلموا، وإذا تحدثوا عنده لم يختلفوا، ولم يتخاصموا، وإن تخاصموا لم يطل وقت الخصام.

ومن أراد الكلام أنصتوا، واستمعوا له حتى يفرغ من كلامه.

وكان آخر من يتكلم عند النبيﷺ له نفس حظ أول المتكلمين من الإنصات والاهتمام.

وكان ـعليه الصلاة والسلامـ يضحك مما يضحكون، ويعجب مما يعجبون إذا كان في حدود الأدب.

وكان يصبر على الغريب إذا جفاه في مقاله وسؤاله، حتى إن أصحابه قد لا يرضون ذلك، ولكنهم لا يتقدمون بين يديه ـعليه الصلاة والسلامـ ولا يتجاوزون ما علمهم من الصبر، والرحمة، وإعانة طالب الحاجة على طلبه.

ولهذا كان جلساؤه يتواصون بالتقوى، ويحفظون المروءات في مجلسه، فيوقِّرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويتعَطَّفون على الغريب، ويحتملون جفوته، بل ربما علموه بعض آداب ذلك المجلس قبل دخولهم فيه.[1]

يقول الشيخ عبدالحي الكتاني رحمه الله في كتابه التراتيب الإدارية: «وفي تفسير المولى أبي السعود الحنفي: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول اللهﷺ الوفود أرسل من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول اللهﷺ» اهـ.

---

١ ـ انظر أوصاف النبي ﷺ للترمذي ص٢٨٠ـ٢٨٢، والشفا ٢٠٦/١، وشرح الشفا ٢٧٢/١، وأخلاق النبيﷺ للأصبهاني ص٢٣ـ٢٧، والهداية الإسلامية ٥٩٦/١٠ـ٥٩٧.

قلت -أي الكتاني-: وهذا يفهمنا -أيضاً- أن أبا بكر يشغل -أيضاً- وظيفة مدير التشريفات». [١]

ومن آداب ذلك المجلس إلقاء السلام في أوله وآخره؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة». [٢]

وأعظم ما يجري في ذلك المجلس من آدابٍ وأعمالٍ وأقوالٍ كثرةُ ذكرِ الله -عز وجل- ودعائه واستغفاره؛ فكان -عليه الصلاة والسلام- لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله. [٣]

وجاء في الأدب المفرد للبخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «وإن كنا لَنَعُدُّ في المجلس للنبيﷺ: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» مائة مرة». [٤]

وروى الترمذي وحسّنه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: ما كان رسول اللهﷺ يقوم من مجلسه حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما

---

١ - نظام الحكومة النبوية المسمى: التراتيب الإدارية للكتاني ١/٣٩.

٢ - أخرجه أحمد ٢/٢٨٧، والترمذي (٢٧٠٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٠٧) وابن حبان (٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦) والبغوي في شرح السنة (٣٣٢٨) كلهم عن أبي هريرة، وقال الترمذي: «حديث حسن» وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (٧٨٣٩) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٥٧).

٣ - انظر الشفا ١/٣٩.

٤ - الأدب المفرد (٦١٨) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٨١): «صحيح».

أحيينا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مَبْلَغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».[١]

وإذا انتهى ذلك المجلس خُتِمَ بكفارة المجلس، فعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «من جلس في مجلس، فَكَثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك - إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك».[٢]

وعن أبي برزةﷺ قال: كان رسول اللهﷺ يقول بأَخَرَةٍ[٣] إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى.

قال: «ذلك كفارة لما يكون في المجلس».[٤]

قال ابن عبد البررحمه الله: «وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قول الله -عز وجل-: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٨﴾﴾ (الطور: ٤٨) منهم مجاهد، وأبو الأحوص، وعطاء، ويحيى بن جعدة، قالوا: حين تقوم من كل

---

١ - الترمذي (٣٥٠٢).

٢- أخرجه أحمد٢/٤٩٤، والترمذي(٣٤٣٣) والبغوي(١٣٤٠) والحاكم١/٥٣٦، وابن حبان (٥٩٤) عن أبي هريرة وقال الترمذي: «حديث حسن غريب صحيح» وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٠٦٨).

٣- بأخرة: بفتح الهمزة والخاء: آي في آخر عمره.

٤- أخرجه أبو داود(٤٨٥٩) والحاكم١/٥٣٧، والدارمي٢/٧٣٦ (٢٥٥٩) عن أبي برزة الأسلمي، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود(٤٠٦٨): «حسن صحيح».

مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك.

قالوا: ومن قالها غفر له ما كان في المجلس.

وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفّارة.

ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبحمده من كل مكان، ومن كل مجلس».[1]

١ـ بهجة المجالس ١/٥٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة بحث (الحوار في السيرة النبوية): هذا ذكر لأهم النتائج التي وردت فيه، مع ذكر لبعض التوصيات والمقترحات.

أولاً: أهم النتائج التي وردت في البحث:

١ـ الحوار نوع من الحديث بين طرفين أو أكثر بحيث يجري الكلام بينهما متكافئاً، مع غلبة الهدوء، ورحابة الصدر.

٢ـ هناك ألفاظ قريبة من مدلول لفظ الحوار كالجدال، والمناظرة، والمناقشة ونحوها من الألفاظ التي ترجع إلى طريقة البيان، فهي بهذا الاعتبار مرادفة للحوار، وباعتبار تَمَيُّزِ بعضِها عن بعض يكون بينها وبينه شيء من التباين.

ويبقى ـمع ذلكـ لفظ الحوار أعذبها، وأرقها، وأسيرها في الناس، وأكثرها علوقاً بالنفس.

٣ـ للحوار أهمية كبرى تتبين من خلال شدة الحاجة إليه، وعناية القرآن به، وكثرة حديث الناس عنه، وكثرة المؤلفات فيه، وما يترتب عليه من الثمرات.

٤ـ ورد في البحث بيانٌ لمفهوم السيرة النبوية، وشيء من أسرارها، ومناهج البحث فيها.

٥ـ البحث في الحوار من خلال السيرة النبوية مهم للغاية؛ إذ هو من أعظم وسائل النهوض بالحوار.

٦ـ للحوار المنضبط الراقي أصول عظيمة كثيرة يمكن إجمالها بسلامة المقاصد،

والتثبت، والعلم بمادة الحوار، ولزوم العدل مع المحاور.

وتتجلى هذه الأمور غاية التجلي في السيرة النبوية، وقد ورد في البحث تفصيل لذلك، وذكر أمثلة عليه.

٧ـ للحوار الناجح آداب لا بد من توافرها، وتكاد ترجع إلى إقبال المحاور على صاحبه، ورَفْعِهِ من شأنه، وإحسانِه إليه، وحَذَرِه مما ينافي ذلك؛ فهذه الآداب المجملة وما يندرج تحتها تمثل آداب الحوار.

ولقد كان النبي ﷺ يأخذ بها في حواراته مع كافة الطبقات، وفي شتى الأحوال، وقد ورد ذكر أمثلة كثيرة في هذا الشأن.

٨ـ للحوار المتميز أساليب كثيرة من شأنها النهوض بالحوار، وإتيانه النتائج الباهرة.

ولقد كان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ يأخذ بتلك الأساليب، وينوع فيها، ويراعي مقتضيات الأحوال، ويستخدم أنواعاً من التأثير سبقت كثيراً من النظريات والدراسات في فن الحوار، والإلقاء، والتأثير في الناس.

وقد ورد في البحث ذكر لشيء من ذلك، وأمثلة عليه.

٩ـ الحوار النبوي شامل لكافة فئات المجتمع وطبقاته من رجال ونساء، وصبيان، وموافقين ومخالفين، ومسالمين ومحاربين.

وكان ـعليه الصلاة والسلامـ يأخذ بالحوار مع تلك الطبقات أخذاً عملياً، وقد ورد في البحث ذكر لأمثلة من هذا القبيل.

١٠ـ حوارات النبي ﷺ تجري في أماكن كثيرة، وفي أوقات متفرقة، غير أن مكانه المعتاد الذي يلتف فيه أصحابه حوله، وتدور فيه أغلب حواراته ـ هو

مسجده، وبعد صلاة الفجر، وقد ورد في البحث تفصيل لذلك المجلس من حيث وروده في القرآن، وصفة ذلك المجلس، وتحقيق مكانه، وكيفية التئامه، وخروج النبي ﷺ إليه، وهيئة ذلك المجلس، وما كان يجري فيه، ووقته، وآدابه.

ثانياً: توصيات ومقترحات:

الحوار في السنة النبوية باب واسع، وموضوع مترامي الأطراف، وميدان فسيح لمن أراد أن يبحث فيه، وإن مما يوصى به في هذا الشأن أن يُعْنَى بهذا الباب، وأن يُسْتَحْضَر أهميتُه، وأن يُدْرَك أنه مرتعٌ خصب لكثير من الموضوعات التي يمكن أن تبحث فيه.

ومما يقترح في ذلك، و يحسن أن يُفَصَّل فيه ما يلي:

١ـ أصول الحوار في السيرة النبوية.

٢ـ آداب الحوار من خلال السيرة النبوية.

٣ـ أساليب الحوار النبوي.

٤ـ حوارات النبي ﷺ مع النساء.

٥ـ حوارات النبي ﷺ مع الأطفال.

٦ـ حوارات النبي ﷺ مع المخالفين.

٧ـ حوارات النبي ﷺ مع أهل الكتاب.

٨ـ حوارات النبي ﷺ مع الملوك والزعماء.

٩ـ حوارات النبي ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

إلى غير ذلك مما يمكن البحث فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار الريان للتراث.

٢ـ أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣ـ أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق عصام الدين الصبابطي.

٤ـ أخلاق النبي ﷺ، للحافظ أبي محمد جعفر بن حيان الأصبهاني، دراسة وتحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦ـ آداب الحرب في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ـ أدب الحوار، د. سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٨ـ أدب الحوار في الإسلام للأستاذ غسان بن عبدالعزيز القين، دار المعرفة بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٩ـ الأدب الصغير والأدب الكبير، عبدالله بن المقفع، شرح ودراسة د. مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٠ـ أدب الموعظة، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١١ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

١٢ـ أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، قدَّم له وشرحه وعلَّق عليه محمد شريف سُكَّر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق د.ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٤ـ أمراء البيان للأستاذ محمد كرد علي، دار الآفاق العربية، مصر، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥ـ الأنوار في شمائل النبي المختار، للبغوي، تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

١٦ـ أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، حسن الممي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م.

١٧ـ أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، إعداد نمر محمد خليل النمر، المكتبة الإسلامية، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٨ـ بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.

١٩ـ البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق أ.د عبدالله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ـ بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس للإمام ابن عبدالبر، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٢١ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني، وعلق عليه السيد محمد محمد هاشم الندوي، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٢ـ التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣ـ تفسير التحرير والتنوير، تأليف العلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٢٤ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢٥ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي للإمام الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٦ـ جوامع السيرة النبوية، لابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٧ـ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، لابن الدَّيبع الشيباني الشافعي، حقَّقه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طُبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

٢٨ـ الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين، دار الاعتصام.

٢٩ـ حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، د. علي بن عبدالرحمن الطيار، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٠ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١ـ الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد المغامسي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣٢ـ الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ليحيى زمزمي، دار المعالي، الدمام، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣٣ـ الحوار دائماً وحوار مع مستشرق، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٤ـ الخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق د. محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية بعابدين.

٣٥ـ الخطابة ـأصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العربـ للشيخ محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي.

٣٦ـ خلاصة السيرة النبوية، وحقيقة الدعوة الإسلامية، للشيخ محمد رشيد رضا، صححها وعلّق عليها عبدالله السيد أحمد حجاج، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٧ـ الدعوة إلى الإصلاح، للشيخ محمد الخضر حسين، تحقيق علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٨ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثّق أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٩ـ دروس وعبر من سيرة خير البشر محمد ﷺ، د. زهير محمد عفانة، دار النقاش، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٠ـ ديوان أبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤١ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه عبدالحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ب.ت).

٤٢ـ الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤٣ـ رسائل الإصلاح، للشيخ محمد الخضر حسين، دار الإصلاح، السعودية، الدمام.

٤٤ـ الرسالة الخالدة، للأستاذ عبدالرحمن عزام، دار الشروق، دار الفكر.

٤٥ـ الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط٢، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٤٦ـ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، ومعه السيرة النبوية للمعافري، علّق عليه ووضع حواشيه مجدي بن منصور بن سيد الشورى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٧ـ روضة الطالبين، للنووي، المكتب الإسلامي، بدمشق وبيروت.

٤٨ـ روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ومحمد عبدالرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٤٩ـ الرياض الناضرة، والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبدالرحمن السعدي، عني به أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مؤسسة قرطبة.

٥٠ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق الشيخ

شعيب الأرناؤوط والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥١- زهر الآداب وثمر الألباب، للحُصري القيرواني، فصله وضبطه وشرحه د. زكي مبارك، وزاد في ذلك محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.

٥٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

٥٤- سنن ابن ماجة، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبدالباقي، ط٢.

٥٥- سنن ابن ماجة، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر.

٥٦- سنن أبي داود، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

٥٧- سنن أبي داود، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.

٥٨- سنن الترمذي، أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٩- سنن الترمذي، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

٦٠- سنن الدارمي، للإمام الدارمي، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦١- سنن النسائي، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ، ط٢.

٦٢ـ سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٦٣ـ سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف الأستاذ محمد عزة دروزة، عُني بها الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طُبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

٦٤ـ السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٦٥ـ السيرة النبوية لابن هشام، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، ضبط وتعليق طه عبدالرؤوف سعد.

٦٦ـ شرح الشفا للقاضي عياض، شرح الملا علي القاري، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٦٧ـ شرح فتح القدير لابن الهمام مع تكملة نتائج الأفكار في كشف رموز الأسرار، للقاضي زاده، ط١، ١٣١٥هـ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.

٦٨ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجادي، طُبعَ بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٦٩ـ شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، لابن كثير، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة الأدبية العربية، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٧٠ـ الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، إخراج وتعليق محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٧١ـ الشوقيات ـديوان أحمد شوقي ـ المكتبة التجارية بمصر.

٧٢ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ط٢.

٧٣ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٧٤ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تعليق وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدِّيق للنشر والتوزيع، الجبيل، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٧٥ـ صحيح البخاري، د. مصطفى أديب البُغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ط٣.

٧٦ـ صحيح البخاري، للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، عناية أبي صهيب الكرمي، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٧ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٧٨ـ صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه الشيخ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٩ـ صحيح السيرة النبوية لابن كثير، بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٨٠ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر.

٨١ـ صحيح مسلم، للإمام مسلم، عناية محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٢ـ صحيح مسلم، للإمام مسلم، بيت الأفكار الدولية، عناية أبي صهيب الكرمي، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨٣ـ صفة الصفوة لابن الجوزي، ضبط إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٨٤ـ صيد الخاطر لابن الجوزي، تحقيق عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٥ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٤، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٦ـ عيون الأخبار لابن قتيبة الدِّينَوري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨٧ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨٨ـ الفتاوى السعدية، للشيخ عبدالرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٨٩ـ الفروق، لشهاب الدين القرافي، عالم الكتب، بيروت.

٩٠ـ فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، د. رقية العلواني، جائزة الأمير نايف ابن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية

المعاصرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥.

٩١- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، خرَّج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٧، ١٩٧٦م، دار إحياء التراث العربي.

٩٢- فقه السيرة النبوية، لمحمد منير غضبان، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٩٣- فن الحوار والإقناع، د. فهد خليل زايد، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٩٤- الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٩٥- في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٦- قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، د. عبدالله الرحيلي، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٧- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٨- الكليات لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخ وأعده للطبع، د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.

٩٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين

الهندي، تحقيق محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

١٠٠ـ كيف تحاور، د. طارق الحبيب، دار المسلم، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٠١ـ لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٠٢ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، للسان الدين بن الخطيب، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

١٠٣ـ المبسوط، للسرخي، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

١٠٤ـ مجمع الأمثال للميداني، حققه محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م.

١٠٥ـ محمد رسول الله ﷺ، للعلامة أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٦ـ محمد رسول الله وخاتم النبيين، للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد وضبط الأستاذ علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠٧ـ محمد المثل الكامل، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، ط٦، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

١٠٨ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق وتعليق المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٠٩ـ المستدرك للحاكم، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ط١.

١١٠ـ المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

١١١ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

١١٢ـ مسند الإمام الحافظ أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١١٣ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط٢.

١١٤ـ معجم الطبراني الكبير، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١١٥ـ مع المصطفى د. سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ط١، ١٤٢٨هـ.

١١٦ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم أنيس وزملائه، عني بطبعه ونشره عبدالله الأنصاري، إدارة إحياء التراث بقطر.

١١٧ـ معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١٨ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبط هيثم نعيمي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١١٩ـ من أسئلة النبي ﷺ للنساء، د. فالح محمد الصغير، كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٢٠ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر بن عوض الألمعي، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٢١ـ المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها، للخرائطي، انتقاء أبي طاهر السلفي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، دار الفكر،

دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢٢- من صفات الداعية اللين والرفق، د. فضل إلهي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢٣- من صفات الداعية مراعاة أصول المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، إدارة ترجمان الإسلام باكستان.

١٢٤- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢٥- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف معالي الشيخ د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد مَلُّوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٢٦- موطأ الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٧- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، للشيخ عبدالحي الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٢٨- نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه الشيخ محمد بن عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع، وصححه الشيخ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.

١٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

فهرس الموضوعات

ـ المقدمة : ٣

ـ خطة البحث ٤

ـ عمل الباحث ٦

ـ تنبيهات ٧

تمهيد : في مفهوم الحوار، وأهميته ٩

أولاً : مفهوم الحوار: ١١

١ ـ تعريف الحوار ١١

٢ ـ بين الحوار والجدال ١٢

٣ ـ ألفاظ مرادفة للحوار ١٥

ثانياً: أهمية الحوار ١٩

مدخل : في مفهوم السيرة النبوية، وأسرارها، ومناهج البحث فيها ٢٥

أولاً: مفهوم السيرة النبوية ٢٧

ثانياً: في أسرار السيرة النبوية ٢٨

ثالثاً: مناهج البحث في السيرة النبوية ٣٤

الفصل الأول : أصول الحوار في السيرة النبوية ٣٩

ـ تمهيد ٤١

المبحث الأول: سلامة المقاصد في الحوار النبوي: ٤٢

١ـ إخلاص النية في الحوار ٤٢
٢ـ البعد عن الدخول في النيات ٤٤
٣ـ الفرح بظهور الحق على يد أي أحد: مثالان على ذلك ٤٥
المبحث الثاني: التثبت في أثناء الحوار: ٤٨
ـ حديث عن التثبت، وأمثلة عليه: ٤٨
المثال الأول: ما جاء في قصة حاطب بن أبي بلتعة ٤٨
المثال الثاني: ما جاء في قصة توبة كعب بن مالك وصاحبه ٥١
المثال الثالث: تثبته ﷺ من بني سلمة ٥٢
المثال الرابع: ما جاء في قصة ماعز بن مالك ٥٢
المبحث الثالث: العلم بمادة الحوار ٥٥
ـ حديث عن ذلك، وأمثلة عليه: ٥٥
المثال الأول: ما جاء في حديث جبريل ـعليه السلامـ ٥٦
المثال الثاني: حديث أبي هريرة لما كان النبي ﷺ بارزاً للناس ٥٨
المثال الثالث: ما جاء في حديث الرجل الذي وجد امرأة في بستان ٥٨
المثال الرابع: حديث الرجل الذي قال: يا رسول الله! أي البلدان شر؟ ٥٩
المثال الخامس: حديث بعث معاذ إلى اليمن ٥٩
ـ بيان لأهمية العلم في الحوار ٦٠
المبحث الرابع: لزوم العدل مع المحاور: ٦٥

- بيان لأهمية العدل، وأمثلة على العدل النبوي في الحوار: ٦٥

المثال الأول: شاهد من حديث حاطب بن أبي بلتعة ٦٦

المثال الثاني: ما جاء في حديث فتح حنين، وقسم الغنائم ٦٨

المثال الثالث: ما جاء في قصة أبي هريرة مع الشيطان ٧١

المثال الرابع: ما جاء في قصة أسامة بن زيد لما قتل الرجل الجهني ٧٢

- دروس مستفادة في الحوار من تلك القصة ٧٣

المثال الخامس: ما جاء في حديث معاذ لما كان يطيل الصلاة في قومه ٧٥

- نبذة عن الإنصاف وفضله ٧٧

الفصل الثاني: آداب الحوار في السيرة النبوية ٨١

- تمهيد ٨٣

المبحث الأول: إقباله ﷺ على محاوريه: ٨٤

أولاً: تواضعه لمحاوريه ٨٤

- نبذة عن أهمية التواضع للمحاور ٨٤

- أمثلة على تواضع النبي ﷺ لمحاوريه: ٨٥

١- حديث الأَمَةِ التي تأخذ بيده -عليه الصلاة والسلام- ٨٥

٢- حواره مع المرأة التي في عقلها شيء ٨٦

٣- حوار مع الرجل الغريب ٨٦

ثانياً: إصغاؤه ﷺ وحسن استماعه لمحاوريه: ٨٧

- نبذة عن منزلة ذلك الأدب في الحوار، وذكر لعدد من الوصايا فيه ٨٨

- كلمة لابن القيم في وصف أدبه ﷺ لما عُرج به إلى السماء وكلم ربه ٩٠
ثالثاً: إعطاؤه ﷺ محاورَه الفرصة الكافية: ٩١
- منزلة ذلك الأدب في الحوار، وذكر لعدد من الوصايا فيه ٩٢
- حوارات النبي ﷺ كانت أعظم مثال لذلك الأدب ٩٣
- مثال عظيم من السيرة، وهو حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة: ٩٤
- وقفات مع هذا المثال ٩٥
المبحث الثاني: رفعه ﷺ من شأن محاوريه: ٩٨
- وقفة مع هذا الأدب، وجماع ما يشتمل عليه ٩٨
- مظاهر ذلك الأدب في السيرة النبوية: ٩٨
١- إنزاله ﷺ المحاوَرين منازلهم، ومن ذلك: ٩٨
أ- التعرف على أسماء المحاوَرين: مثال على ذلك -حديث وفد عبد القيس- ٩٨
ب - مخاطبة المحاوَر بما يجب أن يُنادى به؛ مثال على ذلك -ما جاء في كتاب النبي ﷺ لهرقل- ٩٩
ج - معرفة مستوى المحاور: مثال على ذلك -حديث بعث معاذ إلى اليمن- ١٠٢
د - التنويع في الإجابة رغم اتحاد السؤال: مثالان على ذلك عن أفضل العمل ١٠٣
هـ - تخصيص بعض الصحابة ببعض الأخبار دون بعض -تخصيصه ١٠٤

معاذاً بشيء من ذلك، مع تعليق للعيني.

٢ـ التسليم للمحاور: مثال على ذلك وهو مشورة الحباب بن المنذر في غزوة بدر ١٠٥

ـ تعليق على مسألة الرجوع في الحوار عن الرأي إذا كان الحق بخلافه ١٠٦

٣ـ النظر في شبهات المحاورين، والإجابة عنها: ١٠٧

ـ مثال على ذلك ـحديث سهل بن حنيف حين قام يوم صفين وذكر ما جرى يوم الحديبية. ١٠٧

٤ـ استنباط آراء المحاوَرين، واستشارتهم ١٠٨

ـ منزلة مشاورة المحاوَرين ١٠٥

ـ مثال على ذلك ـما جاء في قصة أسارى بدر. ١٠٩

ـ تعليق لابن تيمية عن الشورى في الحوار ١١٠

ـ كلام للبخاري في تقرير مبدأ الشورى في حوارات النبي ﷺ والأئمة من بعده ١١١

المبحث الثالث: أخذه ﷺ بالرفق والإحسان وسعة الصدر حال الحوار: ١١٣

أولاً: أخذه ﷺ بالحلم والصبر وسعة الصدر ١١٣

ـ نبذة عن هذا الخلق، ومنزلته في الحوار ١١٤

ـ مثالٌ عالٍ من حوارات النبي ﷺ ـقصة حواره ﷺ مع ثمامة ابن أثال. ١١٤

ـ تعليق للنووي على هذه القصة ١١٦

ثانياً: بسط الوجه، ولين القول: ١١٦
ـ أثر ذلك الخلق في الحوار ١١٧
ـ السيرة النبوية حافلة بهذا الخلق ١١٨
ـ أمثلة على ذلك: ١ـ قصة الرجل الذي أتى يتقاضى النبي ﷺ فأغلظ له القول ١١٩
٢ـ رهط اليهود الذين قالوا: السام عليكم ١١٩
ـ كان ـعليه الصلاة والسلامـ يأخذ بالرفق في حواراته، وقد يأخذ بالحزم أحياناً ١٢٠
ـ أمثلة على الحزم في حواراته ١٢١
ـ السبب في تنويع النبي ﷺ في حواراته ١٢٢
ثالثاً: استعمال المداراة حال الحوار ١٢٣
ـ تميز المداراة عن المداهنة ١٢٣
ـ مثال نبوي على الأخذ بالمداراة حال الحوار ١٢٤
الفصل الثالث: أساليب الحوار في السيرة النبوية ١٢٧
تمهيد: في حسن البيان النبوي ١٢٩
المبحث الأول: جمال العرض وقوة التأثير في الحوار النبوي: ١٣٢
١ـ حسن الاستفتاح للحوار: أهمية ذلك، وأنه سمة محاورات النبي ﷺ ١٣٢
ـ أمثلة على ذلك ١٣٤
أـ حواره مع الأنصار في فتح حنين ١٣٤

ب ـ استعماله أسلوب التشويق، مثاله حديث: «أتدرون من المفلس» ١٣٥
ج ـ حواره مع معاذ لما كان رديفاً له ١٣٥
٢ـ الترسل في الكلام وإلقاؤه مفصلاً دون إبطاءٍ أو تعجيل: ١٣٦
ـ وصف عائشة لحديثه ﷺ وتعليق ابن حجر عليه ١٣٦
ـ وصف جابر لحديثه ﷺ ١٣٧
٣ـ حسن الاستخدام للتكرار: ١٣٧
خمسة أمثلة على ذلك ١٣٨
٤ـ إثارة العواطف، ومخاطبة الوجدان: ١٣٩
ـ أثر ذلك في نجاح الحوار ١٣٩
ـ مثالان من السيرة النبوية على ذلك: ١٤٠
أـ حديث: «لأعطين الراية غداً...» ١٤٠
ب ـ قوله لعلي: «اجلس أبا تراب مرتين» ١٤١
٥ـ استعمال أسلوب النداء، ومناداة المحاوَر بما يحب: ١٢٤
ـ أحدَ عشرَ مثالاً على ذلك ١٤٢
٦ـ حسن الختام للحوار: أثر ذلك على الحوار، وأمثلة عليه: ١٤٣
أـ حديث أنس: «فإنك مع من أحببت» ١٤٣
ب ـ حديث: «سبقك بها عكاشة» ١٤٤
ج ـ حديث: «كل مسكر حرام» ١٤٥

ـ كلمة لأبي موسى الأشعري عن جوامع كلمه ﷺ ١٤٥

المبحث الثاني: تقريب المعاني إلى الأذهان حال الحوار: ١٤٦

١ـ صوغ التشابيه، وضرب الأمثلة: أثر ذلك في نجاح الحوار ١٤٦

ـ ثلاثة أمثلة على ذلك ١٤٦

٢ـ استعمال القياس، مثال على ذلك من حوارات النبي ﷺ ١٤٨

٣ـ إعطاء الوسائل صورة ما تفضي إليه من الخير والشر، مثالان من حوارات النبي ﷺ ١٤٨

٤ـ توجيه السؤال للمحاوَرين: ١٤٩

ـ خمسة أمثلة من حوارات النبي ﷺ على ذلك ١٥٠

ـ تنبيه على هذا الأدب ١٥٠

٥ـ استدعاء طلب البيان، مثال من السيرة النبوية على ذلك ١٥٠

٦ـ قرن القول وبعض الإشارات الحسية، ثلاثة أمثلة على ذلك ١٥١

٧ـ مراعاة المدة الزمنية للحوار: ١٥١

ـ ستة آثار تدل على ذلك ١٥٢

المبحث الثالث: مراعاة المآلات ومقتضيات الأحوال ١٥٤

١ـ التذكير بالعاقبة في الحوار: مثال من السيرة ـحديث أبي ذرٍّ ـوإن زنا وإن سرق- ١٥٤

٢ـ التمهيد في العرض، وتنزيل الأمور على أحوال المحاورين: مثال من السيرة ـقصة الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنا- ١٥٥

٣ـ تحديث الناس بما يعرفون: آثار في هذا المعنى: ١٥٥
ـ محاورات النبي ﷺ جارية على هذا النحو. ١٥٧
ـ مثال على ذلك ـ حديث معاوية بن الحكم السلمي مع جاريته ـ. ١٥٨
٤ـ إنهاء الحوار إذا لم يأتِ بفائدة: ١٥٨
ـ مثال على ذلك ـ حوار النبي ﷺ مع عمه حمزة ـ. ١٥٨
الفصل الرابع: شمول الحوار النبوي ١٦١
ـ تمهيد ١٦٣
المبحث الأول: حواراته ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ١٦٤
أولاً: نماذج من حواراته مع النساء عموماً: ١٦٤
ـ ستة أمثلة على ذلك ١٦٤
ثانياً: حواراته مع زوجاته: ١٦٧
ـ خمسة أمثلة من ذلك ١٦٧
المبحث الثاني: حواراته ﷺ مع الشباب والصغار: ١٧٤
ـ نبذة عن فائدة حوار المربي صغارَه ١٧٤
ـ ستة أمثلة من السيرة النبوية في محادثة الشباب والصغار ١٧٤
ـ أثر التربية النبوية بالحوار، وكون ذلك درساً لكل مربٍّ ١٧٨
المبحث الثالث: حواراته ﷺ مع الشعراء: ١٨١
ـ نبذة عن أثر الشعر، وإدراك النبي ﷺ لذلك ١٨١
ـ إرساله ﷺ إلى الشعراء، ومحاورتهم بشأن هجاء قريش ١٨١

- وقوفه مع أبيات لكعب بن زهير لما أنشد قصيدته -بانت سعاد- ١٨٣
- قصة غريبة من حواراته ﷺ مع الشعراء ١٨٤
المبحث الرابع: حواره ﷺ مع المخالفين: ١٨٧
تمهيد ١٨٧
أولاً: حواراته مع اليهود: ١٨٧
المثال الأول: حواره مع الحبر اليهودي ١٨٨
المثال الثاني: حواره مع اليهود الذين سألوه عن الروح ١٩٠
المثال الثالث: حواره مع رجل يهودي ١٩٠
ثانياً: حواراته مع النصارى: ١٩١
المثال الأول: حواره مع وفد نصارى نجران ١٩١
المثال الثاني: ما جاء في قصة قدوم عدي بن حاتم، وحوار النبي ﷺ مع أخته سفانة، ومع عدي نفسه ١٩٦
ثالثاً: حواراته ﷺ مع المنافقين: ٢٠٠
مثال على ذلك: وهو حواره مع زعيم المنافقين عبدالله بن أبيّ ٢٠٠
رابعاً: حواراته مع المشركين: ٢٠٥
- نبذة عن طريقة حواره معهم ٢٠٥
- أمثلة من حواره معهم: ٢٠٥
أ- ما جاء في قصة عمرو بن العاص ٢٠٥
ب- ما جاء في قصة ضمام بن ثعلبة ٢٠٧

ج- حواره مع مشركي مكة لما فتحها ٢٠٨
خامساً: حواره مع الزعماء والملوك: ٢٠٩
مكاتباته إلى ملوك الأرض ٢١٠
الفصل الخامس: الأماكن التي يجري فيها الحوار النبوي ٢١٣
تمهيد: في تعدد أماكن حواره ﷺ وتحديد مكان جلوسه الذي تجري فيه أكثر حواراته. ٢١٥
المبحث الأول: ورود المجلس الرسولي في القرآن، وصفة ذلك المجلس ٢١٧
أولاً: ورود المجلس الرسولي في القرآن ٢١٧
ثانياً: صفة ذلك المجلس، وكونه على غاية ما يكون من البساطة، والحكم من ذلك ٢١٨
المبحث الثاني: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التئامه وخروجه إليه: ٢٢١
أولاً: مكان المجلس الرسولي ٢٢١
ثانياً: كيفية التئام مجلس الرسول وخروجه إليه ٢٢٤
المبحث الثالث: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه: ٢٢٧
أولاً: هيئة المجلس الرسولي: ٢٢٧
- كان على صورة الحلقة الواحدة ٢٢٧
- كانت هيئة جلوس رسول الله ﷺ في مجلسه غالباً الاحتباء، وربما جلس القرفصاء ٢٢٨
- عدد جلسائه لا ينضبط ٢٢٩

ثانياً: ما كان يجري في مجلس رسول الله ﷺ ٢٣٠
المبحث الرابع: وقت المجلس الرسولي وآدابه: ٢٣٧
أولاً: وقت المجلس الرسولي ٢٣٧
ثانياً: آداب مجلس رسول الله ﷺ ٢٣٨
- الخاتمة ٢٤٧
أولاً: أهم نتائج البحث ٢٤٧
ثانياً: توصيات ومقترحات ٢٤٩
- فهرس المصادر والمراجع ٢٥١
- فهرس الموضوعات ٢٦٥